الشعر التونسى الحديث

بقلم : البشير بن سلامة

زرت أخيرا بباريس المعرض الدولى للاعلامية والمواصلات والتنظيم المكتبى Sicob واعجبت بما وصل اليه العلم فى هذا الميدان من اسباب القوة والدقة والنجاعة . ولفت نظرى خاصة امر جديد هو التفاعل بين التلفزة والاعلامية لا بالصورة المعروفة العملاقة بل بتوخى الاعلامية الدقيقة الصغيرة التى لا ترتفع تكاليفها ارتفاعا باهظا . بحيث اصبحت آلات هذا القطاع فى متناول الجميع (فى مستوى معين بالطبع) ومعنى هذا ان المعطيات المعقدة الصعبة المنال فى مستطاعها ان تبلغ الى من لم يكن فى مقدوره أن تبلغه قبل الآن واهم ما شاهدته هو الآلة الراقنة ذات الذاكرة وآلة حساب للجيب القابلة للبرمجة .

وليس هذا مجال للدخول فى دقائق هذه الاختراعات وانما الذى استنتجه العارفون فى هذا الميدان هو ان قطاع الخلق وتبليغ المكتوب ومعالجته بقيا دهرا طويلا بعيدين عن الاعلامية وعن عناصر التقدم التقنى الهامة ، ولكنهما اليوم اصبحا غير قادرين على أن يستغنيا عن جملة من التقنيات المتعلقة بما يسمى المكتبية . اذ أن معالجة النصوص عن طريق آلات الرقن ذات الذاكرة القابلة للبرمجة .

وهكذا فانه لا مناص للأدب شعرا أو نثرا ، وهو من المكتوب ، من ان يتأثر بكل ما هو عصرى وخاصة اذا كان الامر يمسه بالذات . ولكن القارىء الكريم من حقه ان يسائل نفسه قائلا : ما دخل هذا فى الشعر وفى الشعر التونسى الحديث بالذات ؟

نعم . ان الشعر التونسى الحديث الذى ابتدأ منذ استهلال هـذا القـرن سيطر عليه مفهوم يكاد يكون واحدا هو العصرية . فعبارة الشعر العصـرى بدأت مع مجلة خير الدين وبقيت تتردد تحت شعارات مختلفة الى يومنا هذا. والعصرية فى الشعر أو الحداثة عرفت مدلولات عديدة أغـرقت جانبـا مـن الشعر التونسى احيانا فى متاهات لم يقدر على الخروج منها ، وأضاع فيهـا كنهـه ومدلولـه .

ولعله من الصواب ، وان لم يكن هذا من الهين ، هو ان نتتبـع مـن خـلال الانتاج الشعرى التونسى الحديث هذا الخيط المتوارى عن الاعيـن والـذى ستكشف عنه هذه الصفحات التى ساهم فى تحبيرها ثلة من الشعراء والدارسين والباحثين وخاصة جماعة نادى الشعر بدار الثقافة ابن خلـدون . اذ بـدون الظفر بهذا الخيط لا يمكننا أن نتبين بالضبط لا ماضى شعرنا ولا حاضره ولا مستقبله ، ونبقى مكتوفى الايدى امام هـذا الخضـم المائـج باللآلـىء تـارة وبالحصى اطوارا .

وهذا جر فى الواقع كل من فكر فى الشعر وما اليه الى ان يضع السؤال المزدوج ما هو الشعر ولماذا الشعر ؟

ما هو الشعر ؟ سؤال أجاب عنه منذ أن عرفت البشرية هذا الفن ، الفلاسفة والادباء وكل من اهتم بالخلق . والاجوبة متعددة لا تكاد تحصـى . والشعـر عندى هو ما اودعه الشاعر ايقاعا هو ايقاعه وجعل هذا الايقاع يتفـاعل مـع رؤيته الكونية ويتجاوب مع مظاهر الحياة حوله وقدر على ان يشعر به القارىء ويغمر وجوده به . ولا يقتضى المجال تدقيق هذا التحديد الذى أراه للشعـر خاصة وان الكثيرين من الذواقين لهذا الفن يميلون الى هذا التحديد الذى لا يضيق من الافاق الفسيحة المعروفة عند هذا الفن ، (راجع ما كتبته عن هذا الموضوع فى كتاب لى بعنوان اللغة العربية ومشاكل الكتابة) . فلا الـوزن ولا القافية ولا التفعيلة تكفى وحدها لاعطاء الكلام صفة الشعر بل الايقاع هو الذى يضفى عليه هذه الصفة اذ كم من كلام منظوم له وزنه وله قافيته ولكـن خال من كل ايقاع وليس بشعر . ولهذا فان النظر فى مقاييس جديدة للشعر أمر يفرض نفسه . وما المحاولة التى قام بها محمد العياشى فى كتابه نظرية إيقاع الشعر العربى (انظر دراسة له فى هذا العدد ايضا) الا دليل على هذه الحاجة الملحة . ثم ان الانتاج الذى يصر أصحابه على أن يضعوه فـى بـاب

الشعر أصبح متنوعا وراح يدعو الى مزيد من النظـر والتعمـق . ولعل بعض الدراسات او المقالات الواردة فى هذا العدد تحفز على مزيد من التدبر .

ثم لماذا الشعر ؟ سؤال أصبح تتناقله الالسن فى هذا العصر الذى تحكمت فيه الآلة منذ الثورة الصناعية التى بدأت فى فترتها الاولى بتمكين الانسـان من القوة المادية وعوضت قوة يده بقوة المكنة ــ الأداة Machine - outil فتضاءل بهذه الصورة المجهود البدني الذى كان العامل مطالبـا بـه . ثم فـى فترة اخرى وليست بالبعيدة سمح للانسان ان يضخم قدرته العقلية ويوسع فى نطاقها بما اتاحه له ناظم الآلة Ordinateur من فرصة تعويـض الجهـد الذى يقوم به دماغ الانسان فكفته هذه الآلة مؤونة الحسابات التى كان مـن المفروض أن تدوم أعواما وأعواما بدون هذه الآلة وصرفته عن مشقة الاعمال الادارية المكررة الجالبة للسآمة وأتاحت له الفرصة للانصراف تماما الى العمل الفكرى المثمـر .

هذه الثورة الصناعية التى خلقت وسائل جديدة للابلاغ لم تقتل الشعـر فى أول امرها بل كان ذلك حافزا لظهور تيارات شعرية لها وقعها فى النفوس اذ هى استشفت الخطر الذى يهدد الانسان من غرقه فى المـادة وحذرت منـه وأعطت للبشرية طاقات جديدة للتدبر والوعى بمصيره . ولكن صوت الشعر فى هذا الخضم ، وان بقى جهوريا ، قويا ، جبارا انسانيا لم يعد يسمع أمـام أصوات الآلة ولغة المادة الصارخة المصمة للآذان ، النافذة الى صميم الانسان تكتسحه اكتساحا وترجعه الى حيوانية العصور الحجرية فتكـا ، وامتهانـا ومحقا لذاته وتثير فيه غول النهم والشره والحقد والبغضاء كأحد ما عرفتـه البشرية فى عصورها الحوالك وتتفنن فـى قتـل نـوازع الخيـر والتآخـى والتحابب والطيبة فيه لتحيله آلة صماء مثلها تديرها كلها حفنة من الايـدى الخفية الحاذقة الماسكة بنواصى الامور الحريصة على الا تفلت منها الخيوط .

لهذا فان حاجة البشر اليوم الى الشعر اكبر من اى وقت مضى لان الوظائف التى قام بها هذا الفن خلال اطوار تقدم البشرية لم تعد صالحـة لـه اليـوم

(*) انظر ايضا دراسة للبشير بن سلامة حول نظرية التطعيم الايقاعى فـى الفصحى بمجلة الفكر السنة ــ 23 العدد 8 ماى 1978 ص 1000

فالصحافة والوسائل السمعية والبصرية والاختصاصات السياسية والاجتماعية كفت الشاعر ان يكون الصحفي والخطيب والممثل المنتخب في المؤسسات العمومية اذ ان اصوات هؤلاء أقدر منه على النفاذ الى عقول الناس ونفوسهم بالوسائل السهلة القريبة المستعملة في هذا الشان .

فانحصر دور الشعر اذن في تذكير الانسان بانسانيته اكثر من غيره من الفنون ولا مفر له ، ان هو رام البقاء ، من ان يدفع عن انسان هذا العصر هذا الغول المادي الذي اجتاح مشاعره وشنجها الى حد التصلب والجفاف .

وان تيه الشعر وما طرأ عليه من غموض واسفاف وحقارة انما هو مرده هذه الغفلة عن الغول المادي او الانقياد له او الانبهار بأساليبه بالتبني والمحاكاة فدخل هذا الفن في دوامة ليس له الا ان يفقد فيها توازنه وكنهه .

هذا راي قد يحتاج الى مزيد من التعمق ولكني اعتقد ان الشعر اذا حاد عن هذا الدور فانه لن يسمع أبدا ولن يحتاج اليه انسان هذا العصر .

هذه الخواطر حول ماهية الشعر ودوره لا تضيع في ذهني رأس ذلك الخيط الذي المحت اليه في أول هذه السانحة المتعلق بالشعر التونسي الحديث لان هذا الشعر تاثر بما تاثر به عالم الناس في هذا العصر .

فالمتتبع للشعر التونسي من أول هذا القرن الى اليوم يجد أنه اتبع نهجين اثنين من جهة العصرية الهاربة الى الامام دائما ومن جهة اخرى السلفية المتجهة الى الماضي المنكفئة على نفسها من دون ان تكون غير شاعرة بمآتي العصر .

فالعصرية أخرجت الشعر التونسي من آفات التشطير والتخميس والتسبيع ودخلت به الى مكافحة الغول المادي الذي جثم على الشعب التونسي في شكل الاستعمار بمعداته وآلاته وأساليبه الشيطانية المركزة على التقنيات العصرية والهادفة الى استعباده واذلاله وقتل ذاتيته ، فقام هذا الشعر العصري، موقظا للهمم، منبها للاحاسيس حافزا للكرامة، حاثا على النهضة دافعا الى الحياة . وبلغت قمة هذا الشعر مع أبي القاسم الشابي عندما غنى للحياة في ديوانه أغاني الحياة بما فيها من ثورة وحب للوطن وانتماء ويقظة واحساس .

وتواصل هذا النهج مع شعراء كثيرين ظن بعضهم أن العصرية فى الطرافة مهما كانت والجرى وراءها بأ ىَّ ثمن ولم يعرفوا ان ذلك ضعفهم لانهم لم يقدروا فى الواقع على الافلات من الماضى فلم يتجاوزوه بالمعرفة والخبرة بل اصبح عندهم وسواسا يفسد عليهم قريحتهم . ومن هنا ضاع هذا الاتجاه فى متاهات الغموض والشكلية والاوهام وانزلق أصحابه فى شباك الغول المادى عن وعى أو غير وعى وبقوا يتخبطون ولا من سامع لندائهم ولا من منقذ .

أما النهج الثانى وهو ما سميته بالسلفية فهو الذى ثبت الى يومنا هـذا وأعطى ما لم يعطه الشعر العصرى فى طور ضياعه وتيهه وبقى شعره راسـخ القدمين ثابت الجنان يؤدى وظيفة قد لا تغنى ولا تسمن من جوع فى بعـض الاحيان ولكنها فيها طعم الشعر وريحه ونكهته وجلاله .

هذا أهم ما رأيت أن أشير اليه من دون أن أضطر الى تصنيف الشعراء لان واقع الشعر التونسى يدعونى الى أن أقول بان من شعرائنا من تجده يجمع فى شعره بين هذين النهجين فهو منجذب تارة الى العصرية وطورا آخر الـى السلفية بمعناها النبيل لا الهجين .

كيف سيخرج الشعر التونسى من هذا المأزق ؟ لا يمكن التنبؤ بأى شـىء لان هذا مرده الى ظهور النوابغ والعبقريات . ولعل هذا العدد بما احتواه من استقتاء حول الشعر التونسى الحديث ومن دراسات ومقالات ونماذج شعرية يعطى أجوبة على بعض التساؤلات التى تمر بخاطر القـارىء الكريـم . ولقـد حرصنا على ان نشرك أكثر ما يمكن من الشعراء والدارسين التونسيين الذين سمح لهم وقتهم فاستجابوا الى ندائنا مشكورين ونحن نعلم ان فى تـونس عدة أقلام اخرى لها نظرتها الخاصة الى الموضوع ولكنها لم تتمكـن لضيـق الوقت او لدوافع أخرى ، من المشاركة فى هذا العدد ولكنها مدعوة حتى بعد صدور هذا العدد الى الادلاء برأيها متى عن لها ذلك . خاصة وان كثيرا من الآراء الموجودة فى هذا العدد ليست كلها مدعمة ولا عميقـة ولا مطابقـة للواقـع ولا موافقة لرأينا بل هى يمكن أن تكون شهادة لوضع شاذ او لحالة خاصة ولكننا رغم هذا حرصنا على ادراجها على صفحات هذه المجلة عملا بحرية الفكر فعسى ان يصادف هذا العدد من نفوس قرائنا هوى وعسانا بذلـك قد خدمنـا الادب التونسى فى هذه الربوع وبالتالى الادب العربى .

البشير بن سلامة

استجواب حول الشعر التونسي الحديث

نص الاستجـواب

عندما عزمنا على اصدار عدد خاص بالشعر التونسي الحديث متكامل الملامح من دراسات حول المضامين والاشكال الى النماذج الشعرية . اعلنا عن ذلك في الابان وفتحنا الملف طويلا لجميع الاقلام التونسية ووجهنا استجوابا الى فريق من الادباء والشعراء والكتاب والنقاد ناف عددهم عن الخمسين . وننشر فيما يلي نص اسئلة الاستجوابات وتليها كل الاجابات التي وصلتنا منوهين بمجهود كل من تفضل بالاجابة .

هذا نص الاسئلة التي تضمنها الاستجواب :

1) الشعر التونسي الحديث بدأ مع أمثال أبي القـاسم الشابي ومصطفى خريف والطاهر الحداد وسعيد أبي بكر والشاذلي خزندار وغيرهم . هل الحداثة في شعر شعراء تونس مرتبطة بحداثة الشعر في العالم العربي أم هي منبثقة من الخصوصية التونسية .

2) ما هي أهم خصائص هذه الحداثة شكلا ومضمونـا ؟ وهل كانت تنبيء بمستقبل زاهر للشعر التونسي ؟ وهل ان الحداثة في رأيـك في المضمـون فقط أم الشكل فقط أم الاثنين معا ؟

3) هلا ترى ان سلطان الشعر كان أقوى في هذه المرحلة من المراحل التي عقبته . ام ان دور الشعر في تـونس بقي هزيـلا الى جـانب دور النثـر . لماذا ان كان ذلك ؟

4) هل مر الشعر التونسي الحديث بمراحل ؟ وبعبارة أخرى هل تطور وفي أي اتجاه ؟ ما هي اذن هذه المراحل وهذه الاطوار ؟.

5) هل حافظ الشعر التونسي في سيره على خصوصيته وظل رافدا للشعر العربي تأثيرا وتأثرا أم ابتعد عن الواقع التونسي ولم يتفاعل معه ؟.

6) ما رأيك في حاضر الشعر التونسي اي شعر ما بعد الاستقلال ؟ هل أدى دوره الخالد أم لم يقدر على ذلك ؟ ما هي الاسباب في الحالتين ؟

7) من هم الشعراء الذين استجابوا في اعتقادك الى مفهومك للشعر ومن هم الذين لم يستجيبوا الى ذلك ؟

8) ما هو مستقبل الشعر التونسي في رأيك ؟ هل سيحقق ما ننتظره منه أم لا ؟ ما هي الاسباب في الحالتين ؟

① جواب الاستاذ : أحمد القديدي

1) الشعر التونسي الحديث نشأ فعلا مع أبي القاسم الشابي ومعاصريه ، ولم يرتبط في هذه النشأة بالشعر المشرقي بمفهوم التأثر ، لكنه ارتبط به بمفهوم وحدة الهدف ، فقد كان الشعر العربي مشرقا ومغربا متحد الغاية اي نيل استقلال الشعوب العربية . ولا نبالغ ان قلنا ان أبا القاسم الشابي كان أكثر عمقا وأبعد معنى وأخطر وقعا ممن جايله من شعراء المشـرق ، فأدبـه تونسي عربي ، بمفهوم ان ارادة الحياة فلسفة تونسية صميمة نجد جـذورها لدى أدباء تونس في تاريخ ما قبل الفتح الاسلامي ، ثم لـدى أدبـاء الغربة القيروانيين ابن رشيق وابن شرف والحصري (في أدبه الملحمـي : اقتـراح القريح ...) ثم لدى ابن خلدون المفكر وبعد ذلك لدى الشابي .

2) المدرسة التونسية الشعـرية تتميـز كما اسلفت بالنفس الملحمي وهي ظاهرة غريبة عن أدب المشارقة ، فشعر الشـابي مثلا كلـه قصيـدة واحـدة ملحمية بدأ يكتبها من سن الثـامنة عشرة وانتهت بوفاتـه الا ان الهيكليـة التقليدية للشعر العربي فرضت عليه كما فرضت على جده أبي الحسن الحصري تقسيم الملحمة الواحدة على ما يسمى عادة وعرفا بالقصائد . فالملحمة هي التي تطبع الشعر التونسي منذ نشأته الى حداثته .

3) صحيح ان الشعر التونسي لم يواكب حركة التحرير بقـوة مـا عـدا الشابي في مفهومه المطلق وهو المتماشي أكثر مع طبيعة الشعر وما عدا الطاهر الحداد ومحمد العيد الجباري ومحمد الشاذلي خزندار . فقد ظل هامشيا ، وبعد الاستقلال ولد شعراء عانقوا قضية بناء حضارة شعب وتحدثـوا عن أكثـر

القضايا الحساسة فى العالم : فلسطين فيتنام ، حروب التحرير الافريقية ... ومنذ عام 71 الى اليوم لا شيء يذكر ، فالشعر اتصف بالغموض وأصبحت بصراحة لا افهمه ولعلنى أنا الذى لم اتحرك فى اتجاهه لافهمه ، فانا ذو تكوين تقليدى قرأت أمهات الكتب من الصعب أن أستسيغ الغموض والاشارة .

4) مر الشعر التونسى بأطوار معلومة ، فهناك ما يسمى بطور الشابى الذى انفرد فيه هو بقوة شعره واتساع ثقافته وشدة وعيه ثم تلاه الطور الغنائى الذى برز فيه مصطفى خريف ثم مع الاستقلال الطور الرومنسي الاجتماعى المتحرر الذى برز فيه شعراء أمثال محيى الدين خريف والميدانى بن صالح وجعفر ماجد وعبد العزيز قاسم وتيار غير العمودى والحر على أيدى الزناد والهمامى والتيار الاجتماعى لدى المنصف الوهايبى ومحمد الغزى وحسن المؤذن وكان لمجلة الفكر وللملحق الثقافى لجريدة العمل اثر بالغ فى بلورة هذه التيارات وايجاد مدرسة شعرية ثرية وناضجة ، بدأت تتقلص منذ سنة 71 الى ان وصلت درجة الصفر او ما يعادلها ما عدا بعض الاصوات الفريدة أمثال الصادق شرف (أبو وجدان)والمختار اللغمانى ونور الدين عزيزة ومحمد أحمد القابسى .

5) الواقع التونسى موجود فى الشعر التونسى ولعل هذا الشعر لا ينشر ولا نقرؤه ، فانا لا استطيع الحكم الا على ما أقرأ ، فلا ذنب لى اذا لم أطلع عليه . فهناك اعراض غموض وهروب من الواقع فيما نقرؤه منشورا .

(6 و 7) اعتقد انى اجبت عنهما اثناء اجابتى عن الاسئلة السالفة .

8) مستقبل الشعر التونسى فى أيدى الشعراء اذا ما عرفوا كيف يواجهون واقعهم بنضج ووعى . فهم مطالبون ان يكونوا فى الطليعة ، واعتقد ان جيل شعراء 1960 ــ 1970 كانوا انضج وأكثر وعيا ، فالقضايا التى طرحت فى قصائد العشرية الماضية أهم وأعمق وأبعد أثرا مما نقرأ اليوم . ومستقبل الشعر التونسى هو قبل كل شيء التحرر من قالب الغموض الاجوف لاكتساح دروب الابداع ، كما ان مستقبله يكمن فى ثقافة الشاعر ، فلقد كاد يغمى على حينما اتصلت بأحد الذين يكتبون الشعر وقال لى انه لم يقرأ دواوين الشعر العربى القديم لانه « مجدد » الثقافة الثقافة الثقافة ...! ولا ابداع الا لمن هضم تجارب الاقدمين وصبر وصابر فى مطالعة أدب الاجيال السالفة ، فكيف تتصورون شابا يكتب شعرا وثقافته تقتصر على بعض المجلات الشرقية الهزيلة المليئة بالكليشيات والقوالب الجوفاء .

2) جواب الشاعر نور الدين صمود

الجواب عن السؤال الأول :

ـ الشابي شاعر تونسي لكن مضامينه ذات طابع إنساني عام صالح لكل زمان ومكان .

ـ **وخزنه دار شاعر تونسي صميم ذو مضامين تونسية صرف فيها مطامح** الانسان التونسي العربي المسلم الذى كان يتوق الى التحرر من ربقة الاستعمار ... ويحن الى الامجاد العربية الاسلامية التى حققها الاجداد .

ـ **والطاهر الحداد مصلح مفكر نائر لكن كتب شيئا من الشعر او النظم** الذى يغلب عليه التفكير فلم يكن شاعرا بالمعنى الصحيح .

ـ وسعيد أبو بكر شاعر اهتم بالمضامين التونسية التى عاصرها لكن لغته الشعرية كانت دون مطامحه الشعرية فكان معظم شعره مهلهلا من الناحية الشكلية .

ـ وخريف ولد فى سنة واحدة مع الشابى 1909 وامتد به العمر الى الستينات فعاش الحرب العالمية الاولى طفلا ... والحرب الثانية كهلا ... وعهد الاستعمار ... وأيام الكفاح وأيام الاستقلال ... وعرف طبيعة الجنوب وطبيعة الشمال ... فكان لكل ذلك أثره فى شعره ... الى جانب المدارس الادبية التى مر بها من قديم ومحدث ... ومشرقى ومغربى وعربى وغربى ... ومحافظ ومجدد ...

وهؤلاء الشعراء وغيرهم ارتبطت حداثة شعرهم بحداثة الشعر فى العالم العربى فى كثير من الاحيان فقد ظل الشعراء التونسيون فى العهود السابقة

يتأثرون خطى الشعراء المشارقة باعتبار أن الشعر العربى واللغة العربية آتيان من الشرق العربى فظل الادباء المغاربة يقتفون آثار الادباء المشارقة فى كل العصور تقريبا .

فكلما ظهرت مدرسة أدبية فى المشرق تبناها الشعراء التونسيون ... فحتى المدارس الادبية التى يستوردها شعراء العالم العربى من أوروبا - التى هى أقرب الينا من المشرق - نأخذها عن شعراء المشرق ولا نأخذها مباشرة من الغرب . فمثلا عندما شاع المذهب الرومنطيقي فى الشرق متسربا اليه من الغرب وصل الينا عن طريق المجلات المشرقية مترجما فاعتنقه شعراء تونس بعد ما قرؤوه فى مجلات مثل مجلة « أبولو » وعلى أيدى شعراء هذه المجلة ، وقل مثل ذلك بالنسبة للمذاهب الادبية الاخرى .

لكن الشعراء فى السنوات الاخيرة بدأت تنبثق حداثتهم من الخصوصية التونسية وبدؤوا يثورون على « التمشرق » والمتمشرقين الذين ظل أدبهم منذ عهد ابن عبد ربه مصداقا للآية التى استشهد بها الصاحب بن عباد عندما اطلع على العقد الفريد : « هذه بضاعتنا ردت الينا » .

على أن هذه الثورة قد بدأت منذ عهد ابن بسام فقد ألف كتابا بعنوان : « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » وقد أطنب فى مقدمة هذا الكتاب فى الحديث عن مميزات شعر شعراء أهل الجزيرة أى الاندلس وفضلهم على شعراء الجزيرة العربية وكافة شعراء العالم العربى .

الجواب عن السؤال الثانى :

بدأ الشعر الحديث أو « الشعر العصرى » مع محمود قابادو الذى كان يدرس فى المدرسة العسكرية « العلوم الصحيحة » وقد تغنى كثيرا بالعلم الحديث الذى هو كفيل بأن يخرجنا من الظلمات الى النور وأن يجعلنا فى مصاف الدول المتقدمة وأن يعيد للامة العربية الاسلامية سالف مجدها ، ولكن اللغة العويصة التى كان يكتب بها مضامينه المعاصرة كانت تحول دون إدراك القارىء لها الا بالالتجاء الى المعاجم الكبرى .. وان الاثر الادبي الذى يكون جزء من معناه خارجا عنه لا يكون جديرا بالانتشار ونيل الاعجاب ، فلئن جدد قابادو فى بعض المضامين فانه قد قلد القدماء فى لغتهم بل تعلق بالميت من لغة القدماء حتى نسب اليه قوله :

لما رمى بالقطنجوب تقعقرت

شرخافتاه وفاض بالخر بعطل

فكأنه والبجفطان تنوشه

فرغنبس يعدو على مستعبل ...

بل تاه فى طلاسم القصائد البديعية المتكلفة الغائصة فى بحار « حساب الجمل » و القصائد المستخرجة من قصائد » ... وغيرها مما شاع فى عهود الانحطاط الادبى قبله.. ولولا اهتمامه بتمجيد العلم والتحريض على الاخذ بأسبابه لما عد من الشعراء المحدثين فهو فى تونس كسميه محمود سامى البارودى فى مصر كما يعد خزنه دار كشوقى فى مصر فى المحتويات مع مراعاة البون الشاسع بينهما فى الصياغة الشكلية .

ان الحداثة الحقيقية والتجديد الحقيقى بدأ مع الشابى من 1924 الى 1934 وبوفاته استمر مع مصطفى خريف الى الستينات ولكن تجديد خريف الذى كا امتدادا لتجديد الشابى لم يسر فيه الى نهاية الشوط بل نجده كثيرا ما يتعلق بالقديم من الناحية الشكلية فمعظم شعره عمودى ... لكن المعانى فيها محاولة التجديد ، وهذا طبيعى فما من شاعر يكتب شعرا فى عصر من العصور الا لمحنا آثار عصره وآثار الحداثة فى شعره ، ألم يعتبر القدماء أن أبا تمام قد خرج عن عمود الشعر بشعره الذى نعتبره الآن قديما ... وقبله ألم يقل أحد رواد الادب العربى القديم عن الفرزدق وجرير : (لقد حسن شعر هذين المولدين حتى كدت آمر صبياننا بحفظه ؟!) فكل قديم كان جديدا فى زمانه وكل جديد سيصبح قديما بمرور الزمان وما أصدق الشاعر العربى القديم الذى يقول :

إن هذا القديم كان جديدا

وسيمسى هذا الجديد قديما

فان كل جديد يحمل نواة قديمة ، ألم ينسب القدماء الى امرىء القيس قصائد منوعة القوافى ؟! كالرباعيات أو ما شاكلها من أنواع التقفية . كما نسبوا مثل ذلك الى أبى نواس وغيره من الشعراء القدماء . ليست العبرة فى التجديد بتنويع القوافى والبحور فهو أمر شكلى سبق اليه الاندلسيون فى موشحاتهم وغيرهم فى كافة عصور الادب ولكن العبرة بالتجديد فى المعانى وفى الروح الشعرية التى يكتب بها الشاعر وفى كيمياء الكلام وتركيبه ، وفى

إحساس الشاعر بمعانيه ونوعية هذه المعاني ، وتحسيس القارىء بتلك المعاني .

يجب أن يتعانق التجديد في المعاني مع التجديد في اللفظ بدون تكلف **فيهما .**

فكما أنك لا تستطيع أن تميز في الاغنية الجيدة ، بين الشعر واللحن كذلك لا يمكن التمييز في تجديد الشعر ، بين اللفظ والمعنى ، بين الشكل والمضمون فالتجديد **اما أن يكون في الكل أو لا يكون .**

الجواب عن السؤال الثالث :

ـ سلطان الشعر كان قويا في هذه الفترة خاصة الشعر الملتزم المعادي للاستعمار حيث كان ينشد في المحافل وتتلقفه الصحف بشغف ويقرؤه القراء باهتمام لكن الآن تغيرت الاحوال ولم يعد للشعراء عدو ظاهر ... وضعفت الاسباب الرابطة بين القراء والشعراء لضعف حركة النشر بدعوى عدم رواج الشعر (بينما تروج كتب التراث ...) .. فيجب التثبت من هذه الدعوى التي يكذبها نفاد نسخ الطبعات الاولى من معظم الدواوين المنشورة فلماذا لم تقع إعادة طبعها أو طبع غيرها من الدواوين لهؤلاء الشعراء ... فكيف يكون للشعر سلطان ما لم يقع ترويجه و « توزيعه » بالطرق الشرعية التي رصدتها الدولة لنشر الثقافة .؟!

الجواب عن السؤال الرابع :

ـ مراحل الشعر التونسي معروفة ولعل في بعض أجوبتي السابقة ما يشعر بجوابي عن هذا السؤال ... وقد ألف فيه المؤلفون الكتب المطولة . فقد تطور طبعا ... وتفصيل القول في ذلك يحتاج الى كتاب أو كتب وفي الموجود منها ما هو كفيل باعطاء صورة مصغرة عن هذا الشعر .

الجواب عن السؤال الخامس :

ـ الشعر التونسي جزء لا يتجزأ من الشعر العربي ... ولم يحاول أن **يكون في يوم من الايام انفصاليا ، فأحاسيس الشاعر التونسي هي نفس** أحاسيس الشاعر العربي في أي بقعة من بقاع العالم العربي ولغته هي نفس لغة الشاعر العراقي والسوري والمصري وتاريخه هو نفس تاريخه ومشاعره هي نفس مشاعره ... فصلاح الدين الايوبي وخالد بن الوليد وطارق بن زياد

وموسى بن نصير وعقبة بن نافع والناصر والداخل والجاحظ والمتنبي والمعرى والحصرى وابن رشيق وكل ما يمكن أن يتغنى به الشعراء من أمجاد هذه الأمة مشترك بين المشرق والمغرب ، لذلك تأثر الشعر التونسي بالشعر العربي واثر فيه عندما أتيحت له الفرصة للتأثير . ألم تسر مدرسة الشابي في الآفاق العربية مشرقا ومغربا فأثرت في جميع الشعراء المحدثين ابتداء من أبي شادى ومدرسة أبولو بأجمعها الى بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة الذين كانوا يقتفون آثار هذا الشاعر الكبير عندما أتيحت له فرصة النشر في مجالات المشرق ونال شهرة هناك وقد اعترفوا جميعا بتأثير الشابي في شعرهم .

الجواب عن السؤال السادس :

ـ كيف تريد للشعر التونسي أن يؤدى دوره الخالد وهو لا يجد الوسيلة الحقيقية للنشر ... فهل يكفي أن يظل الانسان ينشر في مجلة واحدة ووحيدة في الميدان هي مجلة « الفكر » .!؟ إن « الفكر » نافذة يطل منها القراء على حديقة غناء لا يرى منها الناظر إلا بضع شجيرات بعضها مثمر وبعضها غض طرى لم يؤت أكله ... فكيف يستطيع هذا الناظر أن يحكم على بقية ثمار هذه الحديقة ؟!

افتحوا أبواب الحديقة ودعوا الناس يدخلوها ويتذوقوا ثمارها ... انشروا ووزعوا الشعر ثم اسألوا الناس : « هل أدى الشعر التونسي دوره الخالد أم لم يقدر على ذلك ؟. تلك هي الاسباب التي تجعلني أقول : « إن الشعر لم يؤد ، على الصورة المثلى ، دوره الخالد ، وتجعلني أتألم من حاضر الشعر التونسي وأتشاءم لمستقبله الذى لن يكون أحسن من حاضره ما لم يخطط لمستقبله مع من يهمهم الامر خاصة في ميدان النشر والتوزيع .

الجواب عن السؤال السابع :

ـ لا أحب أن أذكر الاسماء فالشعراء الذين استجابوا الى مفهومي للشعر أقل من القليل وحتى البقية ممن لم يستجب لمفهومي للشعر ، في معظم شعرهم ، فانهم يستجيبون أحيانا له في بعض شعرهم والعكس صحيح فلنذكر المفهوم الصحيح للشعر حسب مفهومي ... وليضع القارىء من يشاء حيث يشاء : يخطىء الذين يعرفون الشعر بأنه « الكلام المنظوم المقفى » لذلك استبعد جميع النظامين من حضيرة الشعر ، واسخر بجميع صيادى القوافي والراكضين خلف كل قافية شرود ... ولا يهمني من الشعر إلا حسن المعاني في جودة الصياغة ... ولست مع الداعين حتما الى الالتزام فكم من معنى

شريف ابتذله متشاعر ضعيف ، وحاول أن يشغلنا عن ضعفه فى ميدان الشعر بالتعلق بالموضوعات التى يتعاطف معها الجمهور ... فماذا تجدى قصيدة ضعيفة المبنى تكتب عن فلسطين أو عن الفقر أو عن العمال أو أو ... ألا نفضل عليها ـ من الناحية الفنية ـ قصيدة غزلية .!؟ ولكن حبذا لو اجتمعت الجودة الفنية مع حسن اختيار الموضوع . فماذا تجدى جوهرة ملفوفة فى خرقة .!؟ وماذا يجدى خاتم من نحاس مهما كان لماعا ؟! على أن الاولى والاحرى أن يتناول تلك الجوهرة صائغ ماهر فيضعها فى خاتم أو يرصع بها تاجا جميلا ... هل عرفت الآن من هم الشعراء الذين استجابوا ، فى اعتقادى ، لمفهومى للشعر ومن هم الذين لم يستجيبوا .؟!

الجواب عن السؤال الثامن :

ـ لست من الذين يتكهنون بالغيب ، فكيف لى أن أعرف مستقبل الشعر التونسى ؟! لكننى أستطيع أن أقول : إن مستقبل الشعر رهين بمستقبل النشر والتوزيع فى هذه الربوع ، فما لم يتحمس القيمون على حظوظ النشر فى بلادنا للشعر ، وما لم يشعروا بأهمية الشعر ، فن العربية الاول ، وما لم يحسوا بقيمة هذا الفن الذى يلقى الرعاية والاهتمام والاحترام لدى الاوروبيين والامم التى نزعم أن لغتنا شاعرية أكثر من لغاتها ، ويلقى الاهمال والجحود والتجاهل من قبل الساهرين على حظوظ النشر عندنا .. وما لم تنشر المجموعات الشعرية الكثيرة النائمة فى الادراج فان الشعر لن يزدهر ولن يكون له مستقبل زاهر ، بل لن يواصل الشعراء تحملهم لرسالتهم على الصورة المرضية ، ومتى لقى الشعر الرعاة الاكفاء المتحمسين فانه سيحقق المعجزات .. وتكون آنذاك لشعراء تونس الشهرة والمكانة المرموقة . وخير مثال نقدمه كدليل على صحة ذلك هو أن التونسى عندما لقى الحظوة والعناية فى « ميدان الرياضة » استطاع أن يصنع المعجزات وأن يرفع رأس تونس عاليا فى « الارجنتين » ، وفى طريقه الى الأرجنتين وما وصوله الى هناك إلا نتيجة عناية فائقة بهذا الميدان ، واهتمام كبير بالرياضيين ، وتشجيع مثالى لهم خلال فترة طويلة ، ولو ظفر الشعراء بجزء صغير مما ظفر به الميدان الرياضى لاستطاعوا أن ينالوا إعجاب وتقدير القراء شرقا وغربا ولحققوا ما تنتظره منهم الأجيال .

أم ننتظر أن يهاجر البعض من آن الى آخر أو أن تشق شهرته الحدود كما فعل ابن خلدون وابن رشيق والحصرى والشابى ان ذلك رهين الظروف والصدف ولن تتكرر الظروف والصدف الا المرات القليلة فى القرون الكثيرة .

3) جواب الشاعر : محيي الدين خريف

حين نحاول تبين موقع بداية الحداثة بالنسبة لشعرنا التونسي فاننا لا بد أن نسلم بالارتباط المتين القائم بين الشعر التونسي والشعر العربي فقبادو كان امتدادا لمدرسة البارودي التي ظهرت في بداية عصر الاحياء نافضة عن الشعر غبار عصر الانحطاط رافضة ما كان من تنميق ومحسنات باحثة عن مضامين هي أقرب لروح المعاصرة . وكذلك خزندار فهو لم يكن بعيدا عن شعراء المدرسة الكلاسيكية الحديثة فقد احتداهم وقلدهم ، وارتضى ان يلقب بأمير الشعراء مثل ما لقب أحمد شوقي ورغم ما عرف عن شعره من ارتباط بالمناسبة وتأثر بالاحداث السريعة ونثرية تصل في بعض الاحيان الى درجة الاسفاف فانه كان من الاشارات المنبهة لبداية شعر تونسي حديث . فمصطفى خريف الذي كان امتدادا لصوت خزندار كان من المولعين بـه ومن المتتلمذين عليه في صناعة الشعر شكلا وموضوعا رغم ما بين الشاعرين من بعـد في الابداع وهما اللذان ينتميان لمدرسة واحدة ، وقد قلت رأيي في خزندار منذ سنوات في ارجوزة الالفية وهو :

فخزندار شاعر كبير ... زيادة عن أنه أمير
لكنه بعيبه الاكثار ... فلست تدرى ما له تختار
وكثرة التهويل والمبالغه ... والحشو والتمطيط والمراوغة
وقد يفيد شعره المؤرخا ... ولو رأى من دون ذاك برزخا

وقد قررت نفس الرأى في مصطفى آغة الذى أقول عنه :

أبرد من ماء الشتاء شعره ... وقد أتى من دون ذاك نثره
تكلف تسوده الجهالة ... لم ار في بلادنا مثاله
خدعه الاصحاب بالمديح ... فحاد عن طريقه الصحيح

ولعل أبا القاسم الشابى كان الشارة الاولى المضيئة فى حداثة شعرنا فقد منحه نضارة جديدة وحياة اضافية بما وهبه من استقلال فى الرؤيا وحظ وافر من الغنائية ، وقد قلت فيه :

أما أبو القاسم فذ العصر   ففلتة من فلتات الدهر
جاء الى بلادنا على قدر   فبدد الظلام بعد ما انتشر
عمر قصير مثل عمر الورد   وطفرة ليس لها من حد
لكنه فى شعره الجديد   لم يحتفل ببلد الجريد
ولم يهم بالنخل فى الواحات   وما بتلك الارض من جنات

ولا أعرف أن للحداد وسعيد أبى بكر مشاركة تذكر فى قضية تطوير الشعر التونسى فقد اهتما بالمضمون وأهملا الجوانب الاخرى للشعر مع قصور فى موقفيهما مع اللغة ومن هنا لا يمكن أن نعتبرهما شاعرين فى مستوى التجربة والايداع وهما اللذان يجعلان الشاعر يؤثر ويتأثر ويترك بصماته فى ذاكرة التاريخ والاجيال من بعده ويبقى بعد ذلك التصور الصحيح للمسار الواضح الذى سلكه الشعر التونسى من بداية هذا القرن الى نهاية الاربعينات، ولا يكون هذا التصور الا بوضع العلامات الحقيقية لهذا المسار وذلك بالاشارة الى الشعراء الذين حملوا لواء الحداثة وفى رأيى أنهم لا أكثر من ثلاثة وهم خزندار ومصطفى خريف والشابى وهؤلاء نجدهم غير منفصلين عن حركة الشعر الحديث فى العالم العربى غير انهم كانوا بالنسبة لتطور الشعر التونسى أكثر من غيرهم فيما رسموا بأقلامهم من وعى شعرى وما التف من حولهم من المعجبين بطرقهم وأساليبهم وان كنت من هنا اختار كلمة تطور الشعر على أيديهم من كلمة الجدة والجديد لانهم لم يأتوا فى الحقيقة بما يخالف أساليب الشعراء المبدعين من قبلهم وانما طوروا هذه الاساليب بما يناسب الظروف الموضوعية التى عايشوها ، والتى شاركت فى تكوينهم النفسى . هذا اذا عرفنا أن الفن لا يخضع للاساليب المنطقية من تحديد وتعريف كالذى يمكن أن تعرف به أية قضية أخرى أو تحد .

وقد طور هؤلاء الثلاثة المضامين وحاولوا التزحزح عن الموقف الكلاسيكى ومفارقته وقدموا تفاسير للظواهر الاجتماعية التى عاشوها . ولمسوا الذاتى فى أنفسهم وفى أنفس غيرهم وعانوا التجربة فى أرفع مستوياتها حرمانا ومرضا وسجنا . وبذلك كانوا ارهاصات لمن جاء بعدهم من الشعراء رغم

استمرار ظاهرة التوتر . بين الشكل والمضمون . وعدم التغلب على موسيقى الشعر القديم وشكلياته . ولا أشك أن دور الشعر في عهد هؤلاء الشعراء الثلاثة كان أقوى من دور غيره من وسائل التعبير . لانهم استطاعوا أن يصلوا بأصواتهم الى الاماني الخفية لقلوب الناس . وجددوا بالكلمة ما رث من مبادىء هي من المقومات الشخصية للفرد التونسي .

اما المراحل التي مر بها الشعر التونسي فهي نفس المراحل التي مر بها الشعر العربي وهي مرحلة العقم ويمثلها شعراء العصر الحسيني ـ امثال الرياحي والباجي المسعودي والغراب وغيرهم .

ثم مرحلة الشعر التقليدي ويتربع على ذروتها محمود قبادو .

فمرحلة الكلاسيكية الجديدة ويمثلها خزندار ومصطفى خريف .

ومن بعدهما المدرسة الرومانسية ويمثلها الشابي .

ثم مرحلة الشعر الحر ويمثلها العديد من شعراء تونس المعاصرين .

ولا يتضح مفهوم هذه المراحل الا بدراستها دراسة موضوعية .

أما الخصوصية وهي التعبير بادوات معينة عن ظروف وواقع معين فلا ادرى بأى شىء أصفها اذا كانت اللغة التي يعبر بها كامل شعراء العربية واحدة والملابسات السياسية والاجتماعية متشابهة فلا اعرف ان هناك شعرا مصريا أو عراقيا أو تونسيا وانما هناك شعر عربي عبر به شعراء هذه البلاد أو تلك عن مشاكل متحدة . ومواقف متشابهة . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فلا ارى خصوصية للشعر تتصل ببلاد أو باخرى وانما ارى ان الشعر منطلقه الانسان حيثما كان وكلما عبر عن مواجد جماعية كلما كان اقرب للروح واشمل في اداء رسالته وأكثر خلودا وبقاء مع الزمن .

وقد حاول الشاعر التونسي بعد الاستقلال أن يساير ركب التطور وان يواكب الحركات المجددة للشعر في العالم العربي . وفي بلدان البحر الابيض المتوسط التي كان احتكاكه بها كبيرا وكثرت التجارب حتى غطت مساحة كبيرة من فتره ما بعد الاستقلال . ولكن هناك عوائق وأسباب حالت بين الشعر وأداء دوره . وكمت فم الشاعر فلم يستطع أن يصل الى آذان الناس وهي كما اراها بحسب تجربتي المتواضعة مع الشعر كما يلي :

1) انصراف وسائل الابلاغ السمعية والبصرية عن الشعر والشعراء واهتمامهما بنوع خاص من الشعر . هو الذى تعمل على توصيله الى النـاس وتضرب بعد ذلك صفحا عن الاصوات الهادفة دون الاخذ بيدها لتؤثر وتتأثر وتطور وتتطور . والشعر وسيلة ابلاغ عسيرة اذا لم تتوفر لهـا الظـروف الموضوعية . لم تعط نتاجها ولا تؤدى دورها .

2) عصر الطباعة . وعزوف تجار المطابع عن الشعر لانه لا يأتى لهم بمردود يزيد فى أرباحهم المؤكدة مما يمنع الشاعر من وصول تجربته فى الابان الى الناس . وبذلك يفرض عليه التقوقع .

3) ضياع القارىء والمستمع بين صعوبة التجارب الجديدة التى تتطلب من متلقيها ثقافة شمولية واسعة ومعاشرة دائبة للشعر . وبين بعض النماذج من الشعر الكلاسيكى السهل الذى يطرح امام الاعين ويصب فى الآذان فيزيد من عزوف الناس واعراضهم عن الشعر .

4) غياب الشاعر وهو القضية الاولى بالنسبة لأداء الشعر لـدوره لان الشاعر العظيم يفرض نفسه فى جميع الظروف . ويلفت أنظار جميع الناس ويتحدى كل العوائق التى تعترضه ولا يمكن ان يحجب البتة وحتى الآن لم يستجب فى اعتقادى لمفهوم الشعر احد . فنحن كلنا نجدف بسفننا فى بحر قد غاب عنه الملاح الحقيقى الذى يقهره ويستخرج كنوزه . ويعرضها على العالم.

ويبقى بعد ذلك مستقبل الشعر فى تونس وفى اى بلد آخـر رهيـن بمن يأتى وقد وهب من العبقرية ما يبقى على الزمن . وما يلفت اليـه الانظـار لان الشعر لا يمكن أن يموت لا فى هذا العصر ولا فى عصر آخر ما دام هنـاك انسان يحس يعشق ويشقى ، يحب ويبكى ، يفرح ويغضب .

4 ـ جواب الشاعر محمد احمد القابسي

1) ان الشعر التونسي يتأثر ـ كبقية ـ الفنون بكل التيارات التي ترد عليه من خارج الحدود فالشاعر الحق لا يمكن له ان يتقوقع في دائرة ضيقة حتى ترد عليها الرياح الخارجية .

والحداثة تاخذ ابعادها من هذا المزيج بين التأثيرات الخارجية والخصوصيات التونسية .

ولا يمكن بأية حال من الاحوال ان نعتبر الحداثة في شعر أبي القاسم الشابي ومصطفى خريف وسعيد ابى بكر وغيرهم منفصلة عن تيار الحداثة الذى ظهر بالشعر العربي اننا لا نستطيع ان ننكر تأثير مختلف المدارس الشرقية والمهجرية على الشابي مثلا وزملائه الذين كانوا يلتهمون فى ذلك الزمن كل ما يرد عليهم من الخارج .. ان تأثير المدرسة المهجرية على الشابى بالخصوص واضح وجلي ولا يستطيع الدارس الموضوعي الا ان يقره .

2) من هذا المنطلق فان الخصوصية التونسية تظل مرتبطة ارتباطا وثيقا كما اسلفنا بمطالعات الشاعر وبتفاعله مع ما ينتجه الآخرون هنا وهناك ...ان تونس ليست منفصلة البتة عن العالم العربي وبالتالي فان خصوصية الانتاج الأدبي فيها تظل محدودة أمام الخصوصية الكبرى التى تشكل ملامحها وحدة اللغة والتراث والدين والهموم المعاصرة المشتركة .

3) بقي ان نقول انه على الدراسات ان تجتهد مليا لاقرار ظاهرة الحداثة فى شعر الشعراء الذين يطرحهم السؤال خاصة وان مفهوم الحداثة قد جاء متأخرا نسبيا وانني لا أعتقد ان تكون ملامحه قد بدت مع جيل الشاذلي خزندار !..

وإذا كان الامر كذلك فانه يصعب التعرض لخصائص تلك الحداثة من غير ان لا نشير الى ان قضية الفصل بين الشكل والمضمون قضية مجردة وليس لها مكانة فعلية فى المنظور الشعرى الحقيقى .

4) ان الدراسات الجادة ــ التى تعرضت للشعر التونسى الحديث ــ وذلك رغم قلتها ــ تؤكد على ان شعرنا قد عرف عدة مراحل ــ وهذا أمر طبيعى ، فالتطور سنة من سنن الحياة والذى لا يتطور يتأخر وبالتالى يموت .

ان اهم المراحل التى مر بها الشعر التونسى هى فى نظرى اربع مراحل أولها القصيدة العمودية الكلاسيكية ثم المحاولات الحرة التى انتهت الى تيار غير « العمودى والحر » وأخيرا قصيدة النثر التى اصبحت رائجة وذات مكانة محترمة منذ سنة 70 تقريبا .

غير ان هذا التطور لا يمكن ان ننظر اليه نظرة « أوتوماتيكية » بحتة ذلك انه يمكن ان تتواجد فى المرحلة الواحدة كل التيارات معا وبالتالى فان البقاء يظل دوما للاصلح . ان لكل تيار انصاره واسبابه وانه من الصعب ان نتكهن ببقاء ذلك التيار دون التيارات الاخرى بقى ان نقول كذلك ان المرحلة التاريخية لها تاثيرها على بقاء تيار دون آخر ذلك ان الحداثة نفسها تعتمد أساسا منطلقات زمنية ولا يمكن ان تنطلق اليوم مثلا معالم حديثة من القصيدة العمودية ذات الخصوصيات التقليدية والكلاسيكية . فلننتظر اذن ماذا سيفعل الزمن بما نكتب وبما تعطى كل التارات التى وان بدت متضادة الا أنها ضرورية إن لم تكن متكاملة فلكى تكون هناك حياة شعرية يتحتم ان تتواجد كل التيارات وان تتصارع وفى صراعها جوهر حياتها .

5) لا يمكن لاى شاعر أن يبتعد عن واقعه فهو ــ اى الشاعر يتأثر به سلبا او إيجابا وينعكس ذلك التأثر فيما ينتجه من أعمال ومن هذا المنطلق فاننى اعتقد ان الشعر التونسى فى سيره قد حافظ على خصوصيته من غير ان يفقد تأثره بالشعر العربى وكدليل على هذا فاننا نذكر «تجربة غير العمودى والحر» التى انعكست فيها تجربة التعاضد التى مرت بها بلادنا كما انعكست من خلالها تأثيرات المدارس الشرقية والغربية على حد السواء .. ففى الشرق قد تأثر هؤلاء الشعراء بتجربة قصيدة النثر واصحاب مجلة شعر وفى الغرب فان قراءاتهم كانت بالخصوص فى المدرسة الفرنسية بالخصوص فى اشعار « بيرس » .

وللعلم كذلك فان التجريد الذى يبدو فى انتاج الشعراء الشبان اليوم هو الآخر مظهر من مظاهر « الضبابية » العامة التى يمر بها مجتمعنا وذلك من غير ان ننفى تأثير المدرسة العراقية والسورية وبالخصوص عبد الوهاب البياتى وأدونيس وكذلك شعراء الارض المحتلة كمحمود درويش وسميح القاسمى وغيرهما .

6) ان كل انتاج شعريا كان او غير شعرى يتفاعل مع الارضية الاجتماعية التى يعيش فيها الشاعر أو الكاتب ولا يمكن ادراك مؤشرات هذا التفاعل الا بالتشريح العميق والنقد العلمى ... ومن المؤسف اننا فى تونس كثيرا ما نكتفى بالحكم من غير محاولة للتعليل او للدراسة فى حين ان كل ظاهرة شعرية مهما كانت تستحق منا التوقف والدرس وبعدها يمكن ان نرتاح لذلك الحكم أو لغيره .

7) لا شك ان زحف الصورة وانكماش مؤسسات النشر قد أثر بطريقه أو باخرى على دور الشعر ولكن رغم ذلك فان حاضر الشعر اليوم فيه من المؤشرات ما ينبىء بثورة حقيقية فى مجال الكلمة الشاعرة .

لقد بدأ المنعرج مع تجربة غير العمودى والحر التى كان « للفكر » الفضل فى خروجها للناس واستمر مع تجارب بعد سنة 70 واننا ننتظر ان تتواصل هذه التجارب حتى يتواصل بذلك دور « الشعر الريادى » .

إن لنا فى تونس اليوم شعراء شبان لا تقل تجاربهم اهمية وقيمة عما هو موجود فى المدرسة العراقية الحديثة مثلا ولا تنتظر هذه التجارب الا المساعدة لخروجها للناس .. إن بعث مجلة تعنى بالشعر (انتاجا وتنظيرا) والعناية بنوادى الشعر والاكثار من الامسيات واحلال الشعر المكانة التى يستحق فى أجهزة الاعلام واخراج آكثر ما يمكن من المجموعات الشعرية الجادة طبعا .. كل ذلك يمكن ان يساعد على مواصلة دور الشعر والشاعر وقد تؤكد هذا الدور الثورة التعليمية التى تشهدها بلادنا .

8) ان مستقبل الشعر فى تونس يظل رهين السياسة الثقافية فى بلادنا وبالتحديد رهين مكانة الثقافة فى حياتنا السياسية .

إن إعادة تقييم لمكانة الثقافة فى سياستنا من شأنها ان تساعدنا على تحديد المعالم الاولى لمستقبل الشعر فى تونس ومتى كان ذلك استطعنا ان ننقذ العدد الكبير من الشعراء الذين يموتون يوميا بـ « السكتة الشعرية » .

ملف الدراسات

دعوة إلى إعادة النظر في حقيقة الشعر

بقلم : محسن بحميد

لقد حبا الله الانسان ذلك المخلوق الضعيف الحقير والعظيم العجيب معا بشرف الشعور ومجد الشعر فجعله شاعرا طبعا وسجية لكن كل شرف وكل مجد ان كانا متوجين بأسمى المسؤولية فهما في آن واحد مقترنان بأعسر القيود وان غضب الله على الشعراء بعد أن اصطفاهم فلانهم لم يدركوا مسؤوليتهم ولم يتحملوا في سبيلها ما كبلهم به من قيود فزاغوا عن رسالتهم الحق وانعزلوا في أنانية جدباء متشامخين او متصاغرين وفي كلا الحالين عن الواقع والواجب مبتعدين فاصبحوا يقولون ما لا يفعلون وينادون بما لا يعتقدون ويمجدون ما يحتقرون فصحت عليهم قديما لعنة الله أجمعين .

واذا عدنا بالشعر الى عصوره الاولى علمنا أنه شمل جميع نواحي الحياة الخاصة والعامة . الباطنة والظاهرة . المبهمة والمفصلة لان جميع المواضيع مادة للشعر وليس من باب المجاز قول شاعرنا الجاهلي الفحل عنترة بن شداد « هل غادر الشعراء من متردم »

وان الشعر هو الذي أضفى من قديم الزمان على الدنيا والحياة مابهما من جمال والشاعر من قديم الزمان هو الوحيد الذي يتلاعب بالكلام سحرا فيجعل الصغير عظيما والعظيم صغيرا ويكسو القبح جمالا ويبدي الجمال في مظهر القبح وهو الوحيد الذي بفضل الخيال يثير الحماس والاندفاع فيقود الانسان طوعا أو كرها الى القيام بعظائم الامور

وأقوال الشعراء التي تحول السخرية حكمة هي وحدها التي تصدر الاحكام على الظلم والكبت لان المجد ان خلا من الشعر كان أرضا قفرا خلاء بلقعا ولان الشعر نابع من قلب الانسان ولا عظمة للانسان بلا قلب ولا وجود للقلب بلا حب .

واذا كان الشاعر رسول الحب وجب عليه نشر تلك الرسالة مهما كلفته ومهما أصابه فى سبيلها من الاذى ثم من يجهل ان الحب هو الشىء الوحيد الذى فى سبيله يحتمل المكروه ويستعذب الاذى ؟

ومنزلة الشاعر هذه هى نفس منزلة المؤمن التقى بحيث لا اتصور شاعرا حقا كافرا جاحدا .

واذا لم يكن الانسان شاعرا مؤمنا يحمل الشعر فى أعماقه ما أمكنه قط أن يلمسه أنى كان وهو مبثوث فى كل شىء

ألا يعود اذن الشعراء الى جوهرهم الاصلى فهم لسان ضمائرهم وهم لسان القوم وهم لسان البشر أجمعين فان عبروا عن الحزن والاسى والخيبة فيفصحوا عن الفرح والحبور والفوز وان صوروا الحرمان والجوع والدمار فليبرزوا الرفاهة والرخاء والتشييد وان شنعوا بالتفرقة والدسيسة والنفاق فلينادوا بالوئام والمعروف والصدق وان تفجعوا لحاضر البشرية المؤلم فليعملوا جاهدين لتهيئة غدها الافضل المجيد ولن تقدر قوى الشر على القضاء على عملهم العظيم الجبار فلا ظلم ولا جبروت ولا سجن ولا كبت قادر على الحد من تحليق الفراش ولا النيل من تغريد الشحرور

فانتشروا أيها الشعراء فى كل مكان فى كل مصر وفى كل آن وانفذوا باشعاركم الى قلب كل انسان وليكن الشعر كالماء لا تكون بدونه أية حياة وكالهواء لا يحيا بدونه أى مخلوق وكالنور لا يبين بدونه أى شىء

هبوا أيها الشعراء ولتكن أشعاركم كالصحف السيارة وكنشرات الاخبار وكالبيانات وكمنشورات الانذار وكاللافتات وكالمعلقات على الجدران ولتكن لاشعاركم معارض كمعارض اللوحات والاسواق والاعياد والرايات فالناس كلهم ظامئون الى رحيقكم متعطشون والناس كلهم جائعون الى خبزكم محتاجون والناس كلهم مختنقون الى انفاس هوائكم متلهفون والناس كلهم فى الظلمات غارقون والى بصيص من نوركم متطلعون .

واعلموا أيها الشعراء انكم ان لم تتجسم فيكم أمة بأسرها كشأن محمد اقبال أو بابلو نيرودا أو بول ايلوار أو تتقمصوا الانسانية جمعاء فلن يكون لكم شأن ولن تكونوا شيئا اذ بذلك فقط ستخدمون الانسان وتقومون برسالتكم العظمى فيتلالا الجمال ويعم العدل والخير والحب وينتشر السلام وتتحقق السعادة .

فلن تعودوا أبدا تقولون ما لا تفعلون ولن تعودوا أبدا فى كل واد تهيمون ولن يعود يتبعكم أبدا الغاوون .

ملاحظات عن موجة الشعر المتجدد

بقلم : نور الدين صمود

[انا مؤمن بالتجديد]

الشعر ، منذ وجد ، فى تجدد مستمر ، فأقدم شعر كان جديدا فى زمانه ، واقدم شاعر كان مجددا فى عهده ، ولو عدنا الى مقدمة كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة لوجدنا هذا الكاتب ، الذى عاش فى القرن الثالث للهجرة ، يتحدث عن هذا الموضوع وكان هذه المقدمة كتبت لهذا العصر ، فمشكلة القديم والجديد مشكلة قديمة متجددة طرحت فى كل زمان ومكان ، فكل قديم كان جديدا فى زمانه ، ولست ضد الجديد ولا ضد التجديد فانا من أشد المؤمنين بالتجديد والمتحمسين له ، لاعتقادى بانه لا يجوز لنا أن نكتب شعرنا بنفس الطرق العتيقة التى كتب بها القدماء شعرهم ، ولاطلاعى على حركات التجديد ـ شكلا ومضمونا ـ التى مر بها الشعر العربى منذ أقدم عهوده الى الآن ، غير غافل عن موجة الموشحات التى ترعرعت فى الاندلس ثم وقع الاهتمام بها والتقنين لها من قبل ابن سناء الملك فى مصر .

انا مؤمن أشد الايمان بالتجديد وبتطوير الشعر لأن التجديد هو الدفقة الدموية الحارة التى تسرى فى أعصاب القصيدة فتكسبها حيوية وتبعث فيها الحياة ، أما القصيدة التقليدية المقلدة تقليدا جامدا للشعر القديم فانها مولود ميت لا حياة فيه .

وليست ، بالضرورة ، كل قصيدة عمودية تقليدية ميتة كما أنه ليست ، بالضرورة كذلك ، كل قصيدة حرة أو متحررة قصيدة حية ، فالجيد من كليهما هو الشعر الحى الجدير بالحياة .

وإذ قد عرف القارىء الكريم رأيي في الشعر الجديد وفي التجديد الشعري فاني أريد أن أحدثه عن شيئين اثنين يرتبطان شديد الارتباط بالشعر الجديد :

① [الرمزية لا متاهات الغموض]

كلنا يعرف أن من بين المذاهب الادبية يوجد « المذهب الرمزي » وهو مدرسة أدبية ازدهرت في بعض العهود خاصة ، ونبغ فيها شعراء طبقت شهرتهم الآفاق ، ودرس شعرهم في مقالات مطولة وأحيانا في كتب معروفة ، ولا يوجد إنسان عاقل ، مدرك لمعنى هذه المدرسة وغرضها ، يعادي هذه الطريقة أو المذهب الادبي فالادب الرمزي جدير بوقفات ووقفات من الدارسين والنقاد لاستجلاء مكنوناته العميقة . ولكن ما ننكره ، وينكره معنا القراء والمتذوقون للشعر هي هذه الموجة العارمة من الغموض ، والمتاهات الضالة المضلة من الكلام ، الذي يقدم على أساس أنه (شعر) ، في حين أن القارىء لا يظفر بطائل من ورائه ، فلا جمال في التعبير ، ولا رونق في الكلام ، ولا إيحاء ، ولا تصوير ، بل لا تحس بأن صاحب هذا « الكلام » له سيطرة على ما يقوله ، إن كان يريد أن يقول شيئا ، فأصحاب هذا الكلام يبحثون عن الغموض بحثا ، بل يتكلفونه تكلفا ، فتكثر النعوت الغريبة ، وتضعف النسب بين أجزاء القول ، وتتمزق أوصال الكلام ، وتتراخى العرى الرابطة بين الجملة والجملة ، وبين كامل « القصيدة » ... « فيظفر » القارىء بكلام مريض متهافت كالسراب الذي « يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » . ناهيك أن معظم المتهافتين على هذه الطريقة مبتدئون استعصى عليهم التعبير الصحيح ، ونفر منهم الشعر الاصيل ، وند عنهم الشعر الجدير بأن يسمى شعرا ، ذلك « الذي يهزك عند سماعه » هزا ، فتحس بعظمة قائله ، وإن كان رمزيا صعب المنال .

ولله در ابن المعتز حين قال :

إن ذا الشعر فيه ضيق نطاق ليس مثل الكلام من شاء قالا
يكتفي فيه بالخفي من الوحـ ـي ، ويحتال قائلوه احتيالا

إن الشعر ، في جميع المذاهب والمدارس ، فن صعب المراس « ليس مثل الكلام من شاء قال » أو كتب أو نشر ، بل هو نمط من القول لا يستطيعه كل من هب ودب ، وخط وكتب ، لذلك ترى الذين لا يستطيعون الخوض في

غماره ، والسباحة فى بحاره ، يأتون بكلام خديج(*) يكتنفه الضعف والهزال من جميع جهاته ، وتراه يستر عورته بهذا الغموض المتكلف المتشبه بالرمزية ، وشتان بين الرمزية الموحية الخصبة ، وبين الغموض التافه المفتعل افتعالا .

② [موسيقى الشعر لا مهاوى النثرية]

الشيء الثاني الذي أريد أن أتحدث عنه ـ والمرتبط شديد الارتباط بالشعر الجديد ـ هو مدى ضرورية الوزن أو الموسيقى للشعر فقد تطورت أوزان الشعر خلال الخمسة عشر قرنا ، التي مر بها الشعر العربي ، من القصيد الموحد القافية الى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات وما إليها ... الى « الموشحات الأندلسية » باختلاف طرقها فى تجديد الاوزان ... الى « البند العراقي » الذي لم يشتهر كثيرا بين الأدباء ... الى « الشعر الحر » المعتمد على إحدى التفعيلات السبع المعروفة ، الى الشعر الحر الذي يعتمد على البحور المنوعة التفعيلات ، وقبل « الشعر الحر » عرف ـ على يد ـ جميل صدقي الزهاوي ثم عبد الرحمن شكري وزكي أبو شادي ـ لون آخر من التجديد وهو الكتابة على بحر معروف دون التزام بقافية معينة ، فتارة تكون القافية باء وأخرى جيما وأخرى لاما وهكذا ، ودون تقيد بحركة أو سكون فالقصيدة كلها « اقواء » . (والاقواء فى عرف العروضيين أن تختلف حركات الروى فى بيت أو أكثر من أبيات القصيدة) .

فى كل الالوان التي ذكرتها من ألوان الشعر العربي كان الشعراء يلتزمون « الموسيقى الشعرية » ، أو النغم أو الوزن أو بحور الشعر أو التفعيلة ... أو اى طريقة من طرق « الوزن » ... فالشعر من مستلزماته الموسيقى ، ولن يفلح شعر خال من هذا العنصر الضروري ، الذي لا قوام للشعر بدونه ، وأنا لست مغاليا او متشددا فى هذا الميدان فأطالب بالتزام بحور الخليل وأن لا يعدوها الشاعر وأن لا يخرج عنها بأى حال من الاحوال ، ولست مع عباس محمود العقاد فى رأيه الذي كان يرتئيه فى الشعر الحر ، فقد كان يكتب على الملف المحتوي على الشعر الحر : « يحال على لجنة النثر للاختصاص » وذلك عندما كلفه المجلس الاعلى لرعاية الفنون بتقييم الانتاج الشعري للشعراء الشباب فى الستينات ، ولكنى أطالب بايجاد نغم شعري فى القصيدة بأى طريقة من الطرق ، سواء بالطرق التي ذكرتها آنفا ، أو التي تحدثت عن بعضها فى قسم من كتابي « تبسيط العروض » ـ حيث بسطت المحاولات

(*) خديج : الجنين الذى تلفظه الأرحام قبل النضج الكامل .

التجديدية لخلق معادلات موسيقية جديدة غير البحور الستة عشر – او بخلق نسب وزنية أخرى لم يعرفها القدماء والمحدثون ، فالمهم أن يظفر القارىء بموسيقى شعرية ترفع الكلام الى مستوى الشعر ، لا أن ينحدر الكلام فى مهاوى النثرية الباردة **بحجة « الثورة على التقليد والتخلص من القيود »** ، فهذه الحجة قد تجوز على بعض ضعاف العقول . فتؤثر فيهم كلمة « **الثورة على التقليد** » فكلنا من هواة التفتح والتطور ، وكذلك تروقهم كلمة « التخلص من **القيود** » فكلنا من محبى الحرية والانعتاق ، نبغض كل قيد وغل ، فهذه « كلمة حق أريد بها باطل » لا يقولونها لوجه الفن وحبا فى التجديد ، ولكنهم يقولونها لعجزهم عن الاتيان بأى لون من ألوان التجديد فى هذا الميدان ، ولن **يستطيعوا أن يخلقوا أى معادلة موسيقية فى شعرهم** ، **بل اكثر من هذا فانهم لا يستطيعون حتى تقليد القدماء فى بحورهم الخليلية ، ولا حتى المحدثين فى** شعرهم الحر السهل ، الممتنع على أمثال هؤلاء التهافتين :

(إنهم قد عجزوا عن التعبير فطالبوا بالتغيير) .

وتغييرهم يعتمد على الشيئين المذكورين آنفا : الغموض بالفج باسم **الرمزية الموحية** ، والنثرية الباردة باسم التخلص من القيود .

واذا كانوا يريدون التخلص من القيود فلماذا لم يتخلصوا منها بتخليهم عن **القواعد النحوية** ، والصرفية مثلا ؟! ولماذا لم يكتبوا بغير **هذه** اللغة تماما ، **فاما أن تكون الثورة تامة وإلا فلا** ... (لكن كثرة الأخطاء النحوية والصرفية عند بعضهم تجعلنى أقول : لعلهم ثاروا على القواعد ايضا كما ثاروا على أوزان الشعر) .

على أن البعض يلتزم ، فى بعض قصيدته ، الوزن ويتخلى عن الوزن فى بعضها الآخر ، إن لم اقل يختل لديه الوزن فى البعض الآخر فهو لا يدرك الموزون من غير الموزون فيكون ما اتزن منها « رمية من غير رام » أو كما قيل عن معلقة عبيد بن الابرص : (كأنها خطبة اتزن له بعض أجزائها) . ورحم الله المعرى إذ قال عنها :

وقد يخطىء الراى امرؤ وهو حازم
كما اختل فى وزن القريض عبيد

وكم من عبيد بين متشاعرينا .

إنهم يحاولون أن يوجدوا شيئا من الموسيقى فى « محاولاتهم الشعرية » بشتى الطرق فمن هذه الطرق البسيطة الخالية من الفن والجمال :

1) القافية ، ومعروف أنه اذا وجدت القافية وانعدم الوزن سمى الكلام « سجعا » لا شعرا . و « السجعة » أو « القافية » من أسهل الاشياء على الكاتب او الشاعر ففى إمكانك ان تظفر بعشرات القوافى على أى حرف تشاء تجمعها من الذاكرة أو من قصائد القدماء ، وهذا أمر يستطيعه حتى التلميذ المبتدىء ، « وإن كان الذى لا يعرف الفرق بين « القافية » و « الروى » يجد صعوبة فى جمع هذه القوافى ويخلط بينهما خلطا شنيعا فهناك علم كامل يسمى علم القوافى غير علم بحور الشعر » . فلماذا لم يثر مدعو التجديد على ذلك وهو قديم عتيق بدائى ؟!

2) اتزان بعض السطور اتزانا صحيحا أو اتزانا بزحاف غير جائز فيتكون فى الجملة نغم تقريبى ، خاصة اذا قرأ « القصيدة » صاحبها بشىء من التمطيط أو « الاقتضاب » فى بعض الحروف أثناء النطق .

3) ترديد بعض الكلمات والجمل وإعادتها ، فيخيل للسامع ان ما يسمعه موزون .

وهناك طرق أخرى يحاولون بها توفير شىء من الموسيقى أو ما يشبه الموسيقى فى « قصائدهم » يمكن ان يكتشفها كل من قرأ أو سمع شيئا من هذا « الشعر » .

خاتمة

إن « الشعر » الذى تحدثت عنه فى هذه الكلمة لهو من اردإ الوان الشعر واضعفها واهزلها ــ إن جاز أن نسميه شعرا ــ ، واجدرها بالسخرية والاحتقار على أنى لم أكن أقصد أثناء حديثى شخصا معينا ، واخشى ان تثير هذه الكلمة حفيظة بعض المتشاعرين ، أو الشعراء فيظنون أنى أعنيهم بهذه الكلمة ، ولكن مهلا فانى أريد أن أسأل القارىء الكريم سؤالا بسيطا وهو :

« هل أنت من انصار الكلام الذى يكون مصداقا لما قلته آنفا ؟! وأسأل الشعراء أو المتشاعرين :(هل أنتم ممن يكتبون هذا اللون من الكلام ؟!) إن ثرت وغضبت من كلامى فمعنى ذلك أنك تكتب « شعرا » من هذا القبيل ... وانك جدير بهذا التشهير الذى كان محوره هذا الحديث ، واذا راقك ما قلته عن هذا اللون من الشعر فمعنى ذلك أنى وإياك متفقان على محاربة العبث والسخافة ، ومؤمنان بالبحث عن الشعر الجيد الجديد المتجدد .

وانك معى لا ترى بأسا من اعتبار تلك المحاولات التى تحدثت عنها آنفا ، مجرد محاولات ما زال أصحابها فى أول الطريق يروضون أنفسهم على وسائل التعبير ، فليس أقتل للانسان من إيمانه ببلوغه القمة وإنتهائه الى غاية الطريق : « ولا تكون الطريق طريقا حتى تكون بلا غاية » ، كما قال صاحب السد .

ثم انى لا أنكر أن قلة قليلة من « الشعر الغامض » تصل الى مرتبة الشعر « الرمزى » الجيد الملء بالمعانى ، واننا نظفر أحيانا « بنثر » ممتاز يفوق مراتب « الشعر الموزون » بجميع الوانه .

وأحب أن لا يفهم بعض القراء أنى أفضل الشعر على النثر ، وانى اذ أمجد الشعر ، أغض من قيمة النثر ، فكل منهما فن جدير بالتقدير والعناية ولكنى لا أحب ان تختلط التسميات فيسمى النثر شعرا والشعر نثرا .

ألوان وألحان

اتحفنا الشاعر زكى قنصل بديوانه الجديد « ألوان وألحان » الذى صدر أخيرا بالارجنتين طباعة دار ميسلون للطباعة والنشر بوانس ايرس . نشكر الشاعر ونتمنى له مزيدا من العطاء والابداع.

تجربة الشعر المنجمي بتونس

بقلم : محمد عمار شعابنية

مع انبعاث الحركة الوطنية منذ بداية العقد الثالث من هذا القـرن لم يكـن الشعراء التونسيون الذين سخروا اقلامهم لمنـاصرة القضيـة مهيئين فكريـا لذلك على غرار أبي القاسم الشابي الذي كانت اشعاره الوطنية تعبر عن موقف نضالي أملاه عليه واقع شعبه المكبل الذي لم يكن قد فهم بعد ماهية الـدور المطلوب منه القيام به لدفع الاذى عن نفسه ولتحطيم السلاسل المقيدة لبدنـه وفكره ، اذ ان هؤلاء الشعراء لم يدركوا حقيقة المواجهة الشعبية للاستعمـار عن وعي بقدر ما استوعبوها عاطفيا فظلت قصائدهم يابسة الاشكال والمضامين لا تعبر عن غير تسجيلات لاحداث كفاحية هي في حاجة أكثـر الى من يحلـل أسبابها ومسبباتها . وظلت الاقلام تدور في حلقة سياسية لا مخـرج منها ، متعاملة احيانا مع بعض المواضيع الاجتماعية التي تهـم الاخـلاق والاصـلاح والتوجيه (*) وكل ما توحي به المناسبـات الخـاصة والعـامة ، الا ان هنـاك تحركات نضالية كانت شديـدة الـوطء على كاهـل الحمـاية الاجنبيـة وهي الانتفاضات العمالية التي عرفتها البلاد في أواخر الربع الاول من هذا القرن فانجر عنها انبعاث نقابات عمالية وتاسيس جامعة عموم العملة التونسيين على يد محمد علي الحامي ورفقائه لم تكن تسترعي اهتمام الشعراء الذيـن طغـت عليهم الفكرة السياسية للنضال اذ ان لكل جهاد استراتيجية سياسية يعتمد

(*) في القصائد التي كان ينظمها الطاهر الحداد من حين لآخـر لم نعثـر على قصيد واحد متجه الى العمال التونسيين الذين سجل احداثهم وتحركاتهم في كتابه (العمال التونسيين وظهور الحركة النقابية) .. انظر الى شعره في كتاب (الطاهر الحداد .. حياته وتراثه) تاليف الجيلاني بالحاج يحيى ومحمد المرزوقي الصادر عن دار بن سلامـة للطبـاعة والنشر ، تـونس . 1963

عليها . وحتى القصيد الذى كتبه سعيد أبو بكر عن واقعة بنزرت لسنة 1924 فانه لم يتعرض الى وصف حالة العمال بأكثر من أربعة أبيات من قصيد يحتوى على أربعين بيتا عرض فيه صاحبه شتى أنواع المظالم والمعاملات الاستعمارية القاسية التى عانى منها التونسيون ، وهذه الابيات هى :

9 — الى ان تعاصى القوت عن كل عامل ... باطفاله كم انشب الجوع من ظفر

10 — تراهم اذا حلوا المآزر هيكلا ... تداعت بـه الاركـان للوقـع والحـر

11 — يمدون كفا ايبس الفأس رطبهـا ... الى الاجر ، لكن لا سبيل الى الاجر(1)

35 — ومن كدنا نبنى القصور لسـادة ... أوامرهم : لا تقربوا ساحـة القصر

وقد عرفت الحركة العمالية فى السنوات اللاحقة شيئا من الفتور نتيجـة الضغوط النازلة عليها من التسلط الاجنبى الذى أوجد بالبلاد حركات نقابية تتلاءم واغراضه الاستعمارية .. ولكن الشعر الكفاحى التـونسى لم يسجـل نتائج تلك الضغوط والمؤامـرات التى استهـدفت القضـاء عليه التحركـات الوطنية الصادرة عن العمال التونسيين . وعرفت هذه الرحلة التاريخية حركة وطنية سياسية مركزة الاهداف التحمت بها — فى فترة الاستعمار الثورى — حركة نقابية جديدة اجتمعت قواها فى الاتحاد العام التونسى للشغل الذى أسسه فرحات حشاد فى 20 جانفى 1946 فكان خير مدافع عن حقوق العمال بالبلاد .. ولكن هذا المنهاج النضالى الذى يستمد قـوته من ايمـان العمـال التونسيين بضرورة التغيير والتصـدى للضغـوط العـدوانية المتمثلـة فى الشركات الاحتكارية الدخيلة لم تتململ عقول الشعراء ولم يحرك مشاعرهـم حتى فى المناسبات التى كان الجهاد يتخذ فيها حجما مقايسـا لحجم الشعـب والوطن . وقد استشهد حشاد فى ديسمبر 1952 اثر عملية عـدوانية غـادرة فارتجت البلاد لمقتله ولم ترتج حروف الشعراء الذين لم يستفيقوا من غفوتهم لرثائه الا بقصائد لا تتوفر فيها شروط الايمان بالدور الحقيقى المطلوب منهم تقمصه . ولم تكن هذه القصائد الرثائية تتحـدث عن المحيط العمـالى الذى سخر الرجل حياته لخدمته بقدر ما تندد بما لحقه من ظلم وعـدوان موضوعين فى اطار ظرفى عابر لا تاريخى مستمر وشاهـد على المعاملة الـوحشية التى

(1) من قصيد واقعة بنـزرت سنة 1924 نظم سعيد أبى بكر — ص 217 من كتاب (العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية) نشرة رابعة — الدار التونسية للنشر .

استهدفت بها السلطة الحمائية تصفية الحركة النقابية التونسية من محتواها النضالى .

ومن بين القصائد التى استرعت انتباهى لما تحتوى عليه من أبيات تلميحية للعلاقة العضوية الرابطة بين حشاد والعمال أسوق هذه الابيات التى رثى بها محمد الهاشمى زين العابدين زعيم الكفـاح النقـابى فى الذكـرى التـاسعة لاغتيـاله :

سياسة قمـع العـاملين وهضمهم … **حقوقا ، اذ باتت تـداس وتجهـل**
وما شـاد الا العـاملون ومـا بنى … سواهم حضارات الشعوب واثلـوا
تـزلـزل اركـان الطغـاة بعـزمة … هى النور يجتاح الظـلام ويرسـل
وتحشد احرار الرجـال لنصرهـا … كانك فى الدنيا الحريص الموكل (2)

وانتهت هذه الحقبة التاريخية الطويلة المشحونة بالمظالم المتواصلة الصراع بين ابناء الارض ومستغليهم الاجانب الى استقلال البلاد دون ان تسجل ملحمة شعرية او قصصية للجهاد العمالى تكون شاهدا على الثورة الشعبية التونسية فى كفاحها التحريرى خلافا لثلاثية الثورة الجزائرية التى سجل فيها الروائى محمد ذيب المجتمع الجزائرى خلال الاستيطان الفرنسى والمتمثلة فى اجزائها الثلاثة (الدار الكبرى ـ الحريق ـ والنول) وتحدث فيها عن الاستيعاب العمالى لبلاده لمفهوم الثورة ودور الشغالين فى الكفاح .

وبعـد الاستقـلال انغمست الاقـلام فى سكـرة المـواضيع الرومـانطيقية والوجدانية وكان لا بد من استفاقتها ودعوتها الى مسايرة العمـل الانسـانى للمجتمع فكتب محمد الصالح الجابرى روايته العمالية المنجمية « يوم من ايام زمرة » ليصور فيها حياة الكادحين بمنجم الفسفاط بالرديف فى فترة ما قبل تحرير البلاد ويكشف عن مدى مساهمتهم فى الكفاح بما لهم من فطرة نضالية تحولت عند بعضهم الى وعى ثورى متواصـل . واقتـرب الشعـر قليـلا من المحيطات المهنية خلال الفترة التى تواجدت فيها تجربـة التعـاضد الفلاحـى

---

(2) من قصيد لمحمد الهاشمى زين العابدين ـ التجديد ع 1 ـ 1961 ومنشورة أبيات منه بكتاب الجديد لشرح النصوص للسنة الثانية من التعليم الثانوى والاعدادى ـ ص 174 .

والتجارى بالبلاد غير انه لم يكن مرآة عاكسة لهموم الكادحين الذين كانت لهم آراء متباينة وأحاسيس متضاربة متولدة عن استسلامهم للتحاليل المخبرية ، وكان من الممكن تقديم ايضاحات ونشرات بيأنيه غير مغلوطة لنتائج هذه التحاليل من طرف شعرائنا الذين اكتفوا بوصف العمليات المخبرية .. ومع ذلك فان كتابات الميداني بن صالح فى مجموعته الشعرية « قرط أمي » قد جاءت لتعبر بوضوح عن خروجه من الاطار المهيىء واعتنائه بمشاكل العمال الفلاحيين المتمثلين فى الحماسة والقيالة بواحات الجريد ، الا انه لم يوسع هذا الاطار رغم تحوله الفكرى وعدم استقراريته المكانية ، ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى مجموعتيه الشعريتين اللاحقتين « الليل والطريق » و « مذكرات خماس » . ومع ظهور غير العمودى والحر وما جاءت بعده من كتابات مارقة عن قوالب الشعر الموزون حصلت ازمة شعرية على المستويين التعبيرى والكتابى وان كانت أفكار الشعراء قد تطورت من حيث الوعى والاحساس بمشاكل المجتمع التونسى النامى الذى كثرت فيه اعداد المتعلمين والعاملين وكان لهذا القصور التبليغى مردودا شعريا ضحلا بعيدا عن تصوير الواقع المعاش مدعيا قربه من ذلك خطأ .

وبعيدا عن العاصمة وخارج حدود النزاعات القائمة بين شعرائنا حول الاشكال الفنية للشعر كانت هناك مجموعة من الشعراء الشباب بالجنوب الغربى من البلاد تتحرك فى صمت متواضع متعاطفة فى كتاباتها مع عمال مناجم الفسفاط الذين ينتمون الى اكبر مؤسسة مهنية وطنية معبرة بصدق عن أحاسيسهم مسخرة طاقاتها الفنية والابداعية لوصف احوال المكدين وتسجيل معاناتهم داخل الدواميس وخارجها فى صراع شاق مع الحياة دون كلل أو هوادة رغم قساوة الطبيعة وصعوبة العمل .

وقد كانت بداية التجربة مع الشاعر أحمد المختار الهادى فى قصيدتيه « قريتى والتراب الاخضر » و « خمس مقاطع للتراب الاخضر سنة 1963 وتعانق معه فى ما بعد عامر بوترعة وسويلمى بوجمعة ومحمد الطاهر سودة ومحمد عمار شعابنية وسالم الشعبانى وأخيرا برهومى بلقاسم باعتبار انهم أبناء او أقارب أو اخوان لعمال يعيشون معهم فوق أرض واحدة ويقاسمونهم طعم الخبز ولون التراب ورائحة العرق .

ولم يتأخر هؤلاء الشعراء فى قصائدهم المنجمية بأية مدرسة شعرية باعتبار ان ما كتبوه الى حد الآن نابع من ممارسة فعلية ومعاناة حقيقية للمشاكل عمق جذورها واقع عمالى منفرد الخصائص والمناخات فاستمدوا منه اللغة

وأدوات التعبير وطرق الابلاغ ، رغم قصر المدة وضئالة الانتاج فقد التف حول الشعر المنجمي جمهور من القراء متفاعلا معه بالقراءة والنقد والمناقشة الشيء الذى اجبر اصحابه منذ صدور مجموعــاتهم الشعــرية الاولى على مــراجعة انفسهم وتجاوز سلبياتهم ليتمكنوا من تعديل مسارهم فى الخط الذى انتهجوه سعيا الى تطوير كتاباتهم وترسيخ سيقانها فى ساحة الشعر النضــالى الهــادف الى التحويل والاصلاح .

شعراء منجميون لا شعراء مناجم :

من الخطاء اعتبارنا شعراء مناجم لان محتوى هذه التسميــة يــوحى بمفهوم ضائقى نرفضه ويرفضه معنا كل من سيمارس كتابة الشعر العمالى فى الجهات الاخرى من البلاد لان سلوكنا وممارستنا الفكرية والاجتماعية للاحداث داخل حدود تجربتنا الحياتية مع عمال الانفاق تجعلنا نشعر بنخــوة الانتســاب الى اناس يشكلون خلية متسابكة المشاعر والهمــوم تنتمى الى العــائلة العمــالية الكبرى ببلادنا . فنحن اذن شعراء منجميون نعيش الاحـداث ولا نشاهدهــا فحسب .

نقد ذاتى :

قد يوافقنى الزملاء وقد لا يوافقوننى على القيام بعملية نقد ذاتى لكتاباتنــا معلنا عن ان ما تتضمنه مجموعاتنا الشعرية الاولى من قصائــد لا ينحصر فى اطار الشعر المنجمى فحسب اذ توجــد الى جــانب ذلــك مــواضيع وجــدانية واجتماعية ووطنية وانسانية . فــ « احزان » سالم الشعبانى تحتوى زيادة على القصائد العمالية على مواضيع اخرى مختلفة كتبهــا صاحبهــا فى منــاسبات وأماكن لا يربط بينها وبين المحيط المنجمى اى حدث موضوعى وهى حصيلــة تجربة وجودية عاشها صاحبها بتونس العاصمة وضواحيها مع اصدقــاء لــه ينتمون الى تركيبات اجتماعية واتجاهات فكرية متضاربة :

روزو الدو
مضى عام ولم أر وجهك الاشقر
بباب البحر
وطال الحزن فى الاحشاء
ولم أصبر
وكيف الصبر

وأنت صديقى الاوحد
وانت صديقى الاوحد (3)

فسالم الشعبانى لم يتفطن الى ذلك وهو يهدى مجموعته الشعرية هذه الى اصدقائه (الكثيرين) من عمال المناجم الذين استوحى منهم اشعاره ـ حسب تصريحه ـ فى كلمته الافتتاحية للكتاب ، كما ان محمد عمار شعابنية وأحمد المختار الهادى قد وقعا فى التجاهل غير المحمود عندما تغافلا عن ادماج اكثر عدد ممكن من قصائدهما المنجمية الجاهزة ضمن محتويات مجموعتيهما الشعريتين « ألغام فى مدينة بريئة » و « عيناك والتراب الاخضر » . اما عامر بوترعة فان مجموعته الصادرة تحت عنوان « أعود اليكم » تفتقر تماما الى القصائد المنجمية رغم انه كتب العديد منها قبل تحوله الى باريس لمواصلة دراسته وربما يعود ذلك الى تبدل الاحوال وانشغاله بأمور أخرى منعته عن مواصلة اخلاصه لاخوانه العمال بالدواميس وتذكرهم فقط بأبيات شعرية عابرة من قصائده الباريسية لا تغفر له ذنب النسيان :

وبباريس قد تناسى احباء لـه ثـم ضـاع ذاك الـولاء
ذاك انى انقطعت عهدا طويلا وتلاشت ما بيننا الاشياء (4)

ولو انه يحن الى الذكرى دائما ويتقمص الحنين والوفاء :

المنجمى الذى الهمته صورا
ظلت لمجدك فى ايامه عبرا
وفاؤه لم يزل يجرى باوردة
هواك فيها مدى الايام كان جرى (5)

قاموس الشعر المنجمى

لا يمكن الاعتراف بأية حركة أدبية جديدة ما لم تخلق لنفسها وعاء فكريا تتواجد فيه أساليب عملية وتراكيب تعبيرية ومدلولات لفظية لما يجب

(3) من قصيد (ARIZZO ALDO) ص 38 من مجموعة (احزان) للشاعر سالم الشعبانى صادرة عن الدار التونسية للنشر فى جوان 1976 .
(4) (أعود اليكم) ص 12 ، تاليف عامر بوترعة ، نشر الدار التونسية للنشر 1977 .
(5) نفس المصدر ـ ص 28 .

كتابته .. تماما كما يفعل المخترع الميكانيكي عندما يريد تركيب آلة اذ يتحول من التخطيط الهندسي الى الوصل بين القطع الميكانيكية والكهربائية المبتكرة لتوظيف جهازه في ما بعد ، وقد أوجد الشعر المنجمي لنفسه في ظرف عشر سنوات من وجوده قاموسا خاصا به لم يقتصر اصحابه على استعمال مرادفاته في جميع قصائدهم بقدر ما سعوا الى اثراء محتواه وتوليد ألفاظه الى ان أصبح لكل واحد منهم منجد صغير يحمله في ذاكرته ويغنيه في بعض الاحيان عن استعمال القاموس الاول . وقد أكون أكثر تبسيطا عندما انتقل من هذا التوضيح النظري الى تطبيقه على قصائد الزملاء .

فاحمد المختار الهادي ، وهو كما نعرف أول من كتب الشعر المنجمي لاسبقيته في الميدان يخلص في كتاباته التبليغ المادي للاشياء راصدا كل حركة خارجية عن النفس وما ينتابها من تحول ملموس للطبيعة والكائنات . وطبيعيا ان يكون هذا هو منهجه الثابت المتحول ما دامت ذاكرته مشحونة بالاحداث والوقائع التي عاشها عملة المناجم في ماضيهم والتي يسجلونها في حاضرهم ، وقد انطلق في قصيد له سنة 1963 من هذه الزاوية :

هذا التراب
كنا نمر عليه بالقطعان من اغنامنا
ونظل نستجدي السحاب
ونعيش جدب الارض في ايامنا
ويخط عمك مصطفى
خطأ على هذا التراب الاخضر
ويظل يرفع راحة معروقة نحو السماء
عام جديب يا رجال
داء عظال
لا شيء غير القحط في هذي الجبال (6)

وتحدث المعجزة فلن تكون رسالة نبوية أو ألعابا سحرية ولكنها تحول مادي لحياة سكان المنطقة عندما يكتشف فيليب توماس الفسفاط بجبل الثالجة بالمتلوى :

(6) (عيناك والتراب الاخضر) مجموعة شعرية لاحمد المختار الهادي نشرتها الدار التونسية للنشر في جانفي 1977 — ص 19 .

شيخ فرنسى رصين
يأتى نهارا ذلك الشيخ الفرنسى الرصين
لا شىء فى يده سوى ورق صغير
يطويه ، ينشره ويرنو للجبال
ويعود ينظر فى أديم الارض فى جد كبير
ويخط خطا فوق ذياك التراب
ويعود ينظر للوريقة فى اقتضاب
ويصيح فى من جاء معه من الرجال
هيا احفروا هذا المكان
فالتربة الخضراء : الفسفاط كنز لا يهان
فى هذه الاصقاع خلفه الزمان (7)

فهذا القصيد يصف مجموعة من الحركات المتناقضة بين الشيخ مصطفى فى مسعاه غير المجدى المتشائم وفيليب توماس فى عمله الواعى المتفائل دون ان يشير فيه الشاعر الى وجود اشارات توجيهية خفية تصدر عن العقل او القلب ما دامت غايته فى الوصول السريع الى استعراض ما قد حدث .

وتنفجر هذه العناصر الحركية لتحدث دويا هائلا واختناقا يصعب التنفس فيه ولكنه شر لا بد منه ما دامت حياة العامل المنجمى تتوقف على بذل الجهـود ومجابهة الاخطار المهنية ومصارعة الموت والفواجع والمتاعب التى تترقبه يوميا داخل الداموس لتأكل شيئـا من عنفوانـه وتمنحـه شيئـا من رزق العيـال والاطفـال :

النفق العشرون
ها اننى أدمر الصخور
وازرع الالغام فى الثغور
يحجبنى الغبار عن بقية الرفاق
أغوص فى الدخان فى دوامة اختناق

---

(7) نفس المصدر ـ ص 20 .

لترجعوا يا اخوتى الى بعيد
حتى تدوى الالغام من جديد
اما انا فسوف تخفينى العربة الستون (3)

كل ذلك والسواعد المفتولة تتبارى بحماس لتحول الارض الخراب الى مزرعة خير وتشد ازر الشمس وتحميها من الاحتجاب ، وينقل أحمد المختار الهادى هذه التحركات فيستعمل ألفاظا من القاموس تصف الزنود القوية والجباه السمراء والكهف الاظلم والجبل الشامخ والفؤوس الثقيلة والمصابيح المتثائبة والعيون الساهرة وضياء الطريق الممتدة الى حيث لا ترى العين آخرها :

العزم فى احداقهم يبدو مضاء
قهروا الصخور وذللوا الجبل الاشم
سكنوا كاسراب النسور هناك فى أعلى القمم
فالدرب فى خطواتهم لحن توقعه الحياة
والعزم عبر زنودهم أمل يولد فى ظلام الكهف نورا للمصير
العزم خلق للغد المشحون بالشوق الكبير
هذى الشوارع فى ثراها كم هنا درجوا حفاة
يا انت يا كهفا ولا كهف الرقيم
بارك هنا جيلى وهبه النصر والخير العميم (9)

فالانسان فى المنجم يعمل ليلا نهارا لاعادة الحياة الى تراب ميت الخضرة وهو يعلم ان الاشياء ستتوقف بتوقفه ولذلك فهو يمارس حدثه الاسطورى بعيدا عن ذاكرة الزمن والتاريخ ، وهو شىء مؤلم تضيع فيه كل الملاحم فى النسيان واللامبالاة ، ولكنه عذب الطموح وشيق الانتصار :

الليل يا صغيرتى دخان
الليل فى قريتنا أسطورة ضيعها الزمان
لاننا نريد من خلالها نريد
ان نطلب المزيد
ان نقهر الاحزان
ونحطم الاوثان

---

(8) نفس المصدر – ص 61 .
(9) نفس المصدر – ص 89 .

ونفرغ الكؤوس والدنان
ونغمر الفضاء بالالحان (١٥)

وتظل هذه الالحان مجرد أمنية تراود النفس ، ولا تحضنها ، ويشعر العامل بالفراغ عند خروجه من الداموس فلا يجد ملجأ يأوى أفكاره وعواطفه ويظل يبحث ويبحث وللبحث بقية :

فراغنا الرهيب يا غاليتى يشنجه الضجر
فكيف نستعير النور فى ظلامنا من القمر
وزمرة الكلاب
تحيط بالابواب
وفى نيوبها يعشش الخطر
فكيف فى قريتنا سنقهر القدر ؟ (١١)

أما محمد عمار شعابنية فان اشعاره المنجمية تتحرك وفق أشارات باطنية لا تعترف بالمناظر الخارجية للوسط الذى يعيش فيه لانه يؤمن فى قرارة نفسه بأن معظلة العامل المنجمى متى وجدت لا يمكن ان تكون ناتجة عن غير تأزم نفسى لا تتغير الاشياء الا بزواله وهذا أمر صعب لان الناس لا يفكرون نفس التفكير ولا يعيشون نفس التجارب البسيكولوجية ، ونتيجة لهذه الفوارق تظل المشكلة الاجتماعية الشاملة معلقة بدون حل :

مات ذاك النسر وامتد الحجاب
وتناساه الكبار
عبروا عن حزنهم بالسهد فى الليل وناموا فى النهار
وبكيناه الرفاق الاربعة
واتخذنا الدمع تعبيرا عن الحزن فلم نفلح لان الحزن لا يسكن فى عين المحب
يسكن الحزن بقلب
خافت الدقات مشلول العروق
واجه الناس مآسينا ببعض الكلمات
وادعوا السلوان عصفورا مريحا

(١٥) نفس المصدر ــ ص 67 .
(١١) نفس المصدر ــ ص 163 .

عندلي الصوت مخضر الجناح
ينقر الاحزان في القلب ويمتص مرارات الجراح
ودعوا الصبر لان الصبر في الحزن ثبات
ثم مدونا ببعض الامثله
ورووا بعض الحكايات لحل المشكله
هكذا اعتادوا اذا غاب عزيز
تاركا مقعده الواسع في الارض ومات (12)

ويحمل العامل جرابه ويسافر داخل نفسه فيتحسس مشاقه ومآسيه كلما شعر بتقصير في عمل يقوم به لفائدة الآخرين ممن هم في كفالته او في حاجة ماسة الى مساعدته لهم دون علم له بذلك من طرفهم ، وحتى عندما يواجهون تقصيره اللامقصود بالقناعة والرضى ، لانه يدرك ان لحمة التعاطف الرابطة بينهم في حاجة الى ان تكون أقوى مما هي عليه في كل شيء وهو الذي يحمل بمفرده اعباء هذا الوزر :

يقلق الاطفال في قريتنا
كلما غاب قطار
ويظلون حيارى
يسألون الارض والفسفاط عن عودتنا
ويصيرون عصافير صغارا
كلما عدنا من الداموس مثل الانبياء
ونراهم بعيون من ضياء
فنرى أكبادنا
فهم الخير الذي ينبت في اعماقنا
وهم الزهر الذي يطلع من اشواقنا
فاذا جاءوا ينامون لينسوا جوعهم
فيفر النوم من احداقنا
ونرى انا ظلمناهم فتمتد بنا مأساتنا (13)

---

(12) (الغام في مدينة بريئة) مجموعة شعرية لمحمد عمار شعابنية ـ نشر الدار التونسية للنشر سنة 1976 ـ ص 24 .

(13) نفس المصدر ـ ص 28 .

وتظل حساسيته المرهفة الواعية بما حوله سريعة التأثر بابسط الاشياء ، فهو يعبي وجوده ويرفض ان يكون مجرد مجموعة من الحركات التى تستخدم بصفة آلية لانجاز عمل ما وتأديته على الوجه المطلوب لانه كائن بشرى يتركب من مجموعة من المشاعر والاحاسيس والافكار والطموحات ولـه الحـق فى ان يقول كلمته ويبلغ أفكاره وآراءه ويطالب بما هو فى حاجة اليه مع المجموعة ، ولكنه كثيرا ما يخيب فى مسعاه لان الآخرين يعملون باستمرار على مصـادرة أفكاره ورفض مقترحاته ولو كانت لا تمس بمصالحهم وتدعو الى ايجـاد الخير والبركة للجميع :

وكلاب البحر تطاردنى بعيون حمراء
وتصادرنى كبضاعة جاسوس فى سوق سوداء
فتعاودنى اوجاعى المجتره
كى ترسم فوق جبينى خارطة الاحزان المره
....
يسمعنى قلبى نبض الاعراق المحبوسة فى صدرى تتوعدنى بالاضراب
المزمن عن دورتها الدموية وانا بين الاشباح الصحراويه
يقلقنى حر الصيف ويبس الارض وصمت الطرقات المنسيه
آه من يقدر ان يحيا مثلى فى مقبرة الاحياء الاموات
حتى احبابى هربوا
شربتهم أصوات المدن المفتوحة كل شوارعها
ومقاهيها
لغة الصحف اليومية والكليات (14)

وعندما يلتحق بهم يصطدم بعالم آخر أكثر اختناقا وتعقيدا فيقرر العودة الى تربته الاولى وكله تعطش وحنين الى الارض والعباد وطبائعهم البريئة التى لا تعرف المراوغات :

وعدت اليك من تشرين افكارى
لاحرق ملح احزانى
واكتب فيك يا محبوبة العمال اشعارى
وللخلان أروى كل اخبارى

---

(14) نفس المصدر — ص 74 .

واسألهم عن الفسفاط والعرق
عن التاريخ يكبر فى اراجيح من الالق
وعن طبع النساء
وبساطة الاطفال
وعن زمن يدور بحكمة العمال (15)

اما سالم الشعبانى فانه لا يتنكر للخطين الذين ينتهج اولهما احمد المختار الهادى ويعبر ثانيهما محمد عمار شعابنية لانه ينتقل من احدهما الى الآخر متى عن له ذلك . ولكنه يختلف مع زميليه فى طريقة التعبير لانه يعتقد ان الكتابة للعمال وعنهم لا بد من ان تكون واضحة المعانى ومبسطة الالفاظ وبعيدة عن الضبابية الشعرية المعقدة ليتمكن من فهمها وقراءتها عموم الكادحين الذين لم يسعفهم الحظ بصورة او بأخرى لمواصلة تعلمهم ، ويوافقانه هما عن ذلك شريطة ان لا يؤول هذا التبسيط الى نوع من السقوط الشعرى والسخافة الكتابية :

لن أكتب شعرا للعمال
عويص الفهم
فالشعر اليوم
لا يحتاج الى القاموس
ورجال الداموس
قرؤوا
فهموا
حفظوا ديوانى (16)

فهذا الديوان يحتوى على مجموعتين شعريتين تتألفان من قصائد متعددة وهما « أحزان » و « أغنيات منجمية » اللتين يستعرض فيهما الشاعر مختلف مظاهر الحياة المنجمية ويتحدث بسخرية عن العلاقات القائمة بين الشغالين وناظريهم وهى علاقات تناقض وسوء تفاهم عند البعض منهم ما دام الفارق واضحا ولغة التخاطب بينهم لا تسمع احيانا بالآذان ولا تتم بغير الاشارات التى يكون فيها الامر دائما للاكبر والرفض للاصغر :

---

(15) نفس المصدر ــ ص 47 .
(16) (أغنيات منجمية) مجموعة شعرية لسالم الشعبانى عن الدار التونسية للنشر فى جويلية 1977 ــ ص 12 .

أرفض أن أعيش بينكم مرائيا
أرفض أن أنافق
أرفض أن أعيش قاتلا أو مجرما أو سارق
يا حضرة المثقف الكبير
يا فاقد الضمير
من منا يعمل فى حقلك أو دارك
من منا أفكاره أسذج من أفكارك
يا خائن أهلك يا خائن جارك
يا جاسوسا اسرائيليا (17)

وأمثال هذا الرجل كثيرون فهم الذين يملكون وحدهم المنازل الفخمة والسيارات الطويلة والجاه المغلوط ويطلبون المزيد فى نهم وجشع وأنانية :

طاحونة الطلاسم
حويت ما فى العالم
انى أريد قصر افريقيا وبرج بابل
وكل ما تملكه مشائخ القبائل
من ذهب وغنم وإبل حوامل (18)

وهو الذى يملك احلامه وأمانيه الجوفاء وهذا نوع من العجز الذى يرفضه منطق التغيير ومسلك النضال :

لو كان أبى يملك هذا القصر
لو كان أبى سيد هذا العصر
ما كنت اليوم أجوع
كما كان بمنزلنا جوع
ما شوه جسمى ناب الفقر (19)

ولكن هذه الاحاسيس الفردية لا تمنعه من التفكير فى غيره : ان يصطدم بواقع الناس الذين يعيشون ليومهم ولا يفكرون فى غدهم : .. فماذا يحدث لو نضبت انفاق الفسفاط وتوقف المنجم عن العمل وخرج العمال ارجال جراد يجوبون الشوارع المقفرة بصفوف من العاطلين قهرا عن الشغل .. فلا بد من

(17) نفس المصدر ـ ص 42 .
(18) (احزان) لسالم الشعبانى ـ ص 57 .
(19) نفس المصدر ـ ص 21 .

الاحتياط والتخطيط لمستقبل الحياة بأرض المناجم بايجاد وسائل عمل أخرى واحياء الاراضى البور وبعث موارد رزق تضمن استمرارية العيش :

أراضينا خراب عنكبوتيه
وحرجوها القاسى كأرض استوائيه
وما زلنا على الاحلام نحيا ما تبقى لنا من العمر
نناشد ربنا الرزاق ان يبسط يد الخير
ولم نعلم بأن الخير يكمن فى سواعدنا النحاسيه
لنا الصحراء يا قومى
لنا الصحراء نغرسها نخيلا أو زياتينا
ونجعلها بساتينا
ونحرثها حقولا تنبت الرمان والتينا
ونبحث فى طباق الرمل عن بئر تزخ الماء بعد الجدب تسقينا
تجدد عزمنا فينا
ونستغنى عن الفسفاط ان جفت منابعه
وان شحت موارده (20)

اعتقد ان ما قمت بهسيبقى عملا منقوصا ما لم تكتمل الدائرة بصدور المجموعات الشعرية الاخرى لهؤلاء الشعراء أو لزملائهم ممن لم يجمعوا قصائدهم بعد فى دواوين شعرية أمثال سويلمى بوجمعة ومحمد الطاهر سودة اللذين يستعملان أدوات خاصة بهما للتعبير عن مواقفهما ازاء القضايا التى يواجهها المحيط العمالى .

آفاق الشعر المنجمى :

ان تواجد الشعر المنجمى فى الساحة الادبية بتونس يبرره امتيازه بسمات واقعية ونضالية خاصة ولم تعرف قبل فى الشعر العربى الذى لم يتجه بعد الى مخاطبة الطبقات الشغيلة أو التحاور معها حول شؤون الحياة والعمل وهذا لا يعنى تسلحه بالتكامل الشعرى والانتماء النهائى الى حضيرة الخلق الادبى لانه ما زال يبحث عن هويته الحقيقية التى سوف لن يجدها الا متى تظافرت جهود اصحابه للخروج به من الدائرة الاقليمية الضيقة الى الساحة الجماهيرية الواسعة ليؤدى دوره الطلايعى بوضوح تام يبرز فيه مدى قدرة الشاعر على معالجة القضايا المصيرية التى تتطلب الحلول الجدية .

---

(20) نفس المصدر ـ ص 16 .

أزمة الشعر النسائي في تونس

بقلم : عبد الحميد مواعد

مدخل : في الفترة الاخيرة من العام الفارط ظهرت على الساحة الادبية ثاني مجموعة شعرية (1) طبعت بتونس لامرأة تونسية بعد ان ظهرت مجموعة سابقة للشاعرة زبيدة بشير (2) وهي أولى المجموعات الشعرية النسائية التي طبعت هنا واختفت بسرعة لسبب ما واصبحت من تلك المجموعات التي يسمع عنها والغريب ان الشاعرة اختفى صوتها ايضا من الساحة الادبية لفترة طويلة كأنما اصيبت بصدمة قوية أبحت صوتها أو كأنها قررت أن تكف عن تجربة الكتابة الشعرية لرغبة وانصراف مفعم الى اتجاه آخر دون غيره من الفنون وبهذا الانصراف فرغت الساحة الادبية والشعرية خاصة من الاصوات النسائية وأصبح أدبنا التونسي يفتقر الى اصوات شعرية نسائية ورغم ان فضيلة الشابي (3) أرادت سد هذه الثغرة فنشرت الكثير من قصائدها ذات الطابع المتجدد بمجلة الفكر لكنها فشلت في النهاية وانتقلت الى المشرق حيث مارست بقية كتاباتها هناك الى حد ظهور مجموعتها الشعرية الاولى (4) ويبدو واضحا هنا ظهور أزمة شعر نسائي وهذا ما دعاني الى البحث في اسبابها ومعطياتها وسبل الضعف فيها راجيا من الاقلام المفكرة تسليط الضوء عليها وطرق كيفية علاجها ان فلحنا وما اكتبه الآن ما هو الا تعبير عن وجهة نظري الخاصة يمكن فيها الخطأ والصواب حسبما يتبادر لذهن المارس

---

(1) ضحكات عيون باكية مجموعة شعرية للشاعرة فاطمة الدريدي .

(2) حنين مجموعة شعرية للشاعرة زبيدة بشير .

(3) فضيلة الشابي ـ شاعرة تونسية هاجرت الى الشرق في أواخر الستينات لفترة قصيرة .

(4) روائح الارض والغضب (مجموعة شعرية لفضيلة الشابي طبعت ببيروت)

للتيارات الادبية حديثا وقديما والمتعمق فى اغوارها ، لكن المهم ممارسة الكتابة فى هذا الموضوع وطرق جميع جوانبه للخروج من الازمة .

الازمة واسبابها : باديء ذى بدء لا مناص من الاتفاق على وجود ازمة فى حياتنا الفكرية والثقافية وهذه الازمة تتجلى فى تعثر الحركة الادبية النسائية وانعدامها ان صح التعبير وخاصة من الجانب الشعرى كما ذكرت سالفا وقد نجد انفسنا مضطرين فى هاته اللحظة الى مجابهة هذه الازمة بمحاولة جادة لتقصى اسبابها وموطن الدرن فيها واكتشاف ما ينفع من الحلول ان امكن واذا بقينا فى غفلة عن هذه المشكلة لاسباب تتصل بعزوفنا عن البحث فيها أو انشغالنا بقضايا أخرى تبدو ذات أهمية بالنسبة لادبنا الحديث اعتقد انه من الضرورى البحث عن مسلك يعالج موقف الشعر النسائى ويثبت وجوده ان كان موجودا ، فاذا تلمسنا الموضوع من الجانب الموضوعى نجد اشعارا نسائية أنثوية يسكنها الحب والورد والعبق فهى حدائق وبساتين رغم ما فى هذا العالم من المحن والمآسى وضروب من التيارات الثقافية والسياسية والاجتماعية وهنا أسأل ما هى الارضية التى تنطلق منها الشاعرة التونسية أو التى تقف عليها ،، تقول أديبة عربية (5) اننى اكتب كثيرا عن الحب لاننى أومن ان الدعوة الى الحب جزء لا يتجزأ من الدعوة الى تحرير النفس العربية مما علق بها من مفاهيم مغلوطة تعوق تفجير طاقاتها وربما تكون هذه المفاهيم هى بالذات التى سيطرت على أمزجة الشاعرات التونسيات اللواتى حسبما يبدو يرفضن كل ايمان او وسيلة كشف ضد هذه المفاهيم المغلوطة وبالطبع كما قال احدهم لا يسمح اى امرىء منصف ان يدعى عدم وجود معاناة خاصة بالمرأة من حيث هى امرأة تضاف الى ذلك المعاناة الخاصة للمرأة تحت وطأة التقاليد والمعتقدات الموروثة وخضوعها الكامل فى المجتمعات غير المتطورة لمصلحة الرجل ومزاجه وعقليته وكل اللائى خرجن عن الطوق ونقلن رغبتهن الى التحرر الذاتى انتهين الى الموت الفنى او المهاجرة وهى ظاهرة مشتركة فى الادب النسائى العربى المعاصر فمنهن من ترغب فى كتاباتها التناسق الفنى وحتى الايديولوجى مع الادب الرجالى ولكن ثورتهن لم تكن كاملة ومنهن من ابدين تحفظا شديدا وكانت خشيتهن من المجتمع تحد من انطلاقتهن ذلك ان صراحة المرأة فى المجتمع المحافظ تسىء عادة الى سمعتها الاجتماعية ويبدو ان الشاعرة التونسية تعتقد ان المجتمع سوف يرفضها كلما سلكت سلوكا تقدميا

---

(5) غادة السمان ــ مجموعة اعلنت عليك الحب .

ثوريا وتتصور انها ستقع فريسة الاذلال والخيبة وايمانها ان هذه التجربة لا يدخلها سوى الرجل وقد سألت بعضهن فكان الجواب ضبابيا يرفض الاتجاه الى العناية بالمضمون ومحاولة التجديد وطرق ابواب الحداثة بل هن يحافظن على تحكيم الشكل في الشعر ونظام الشطرين وهـذا الاسلـوب الكلاسيكي الفج أصبح سهلا لد ىالقارىء والمفكر واعتقد ان تلك احدى نكسات الشعر النسائى .. فهن رفضن التجربة وان هذا الضرب من الرفض يرجع الى الوضع النفسى المرضى الذى تعيشه نماذج نسائية تعود بها الى مرحلـة اضطهـادية تتصور انها معقدة فى المجتمع لانها تعامل باحتقار منذ صغرها وبالتالى مسلوبة فمضطهدة وتشعر ان هناك تمييزا فى المعايير الاخلاقية بين الرجال والنساء حيث يباح للرجال ما لا يباح للنساء وترى أن المرأة هى المسؤولة فى المجتمع عن الخطيئة فقط فى حين ان الرجل مبرأ دائما ، حينئذ تعداد العقد النفسية كان سببا من اسباب الضياع الفنى فى الشعـر النسائـى التونسـى وتلـك أسباب فتور الكتابات النسائية التى تفقد الحبكة والاهمية اذ تطفـو عليهـا العاطفة والرومنسية فكل القصائد رواية غرامية يقابل فيها الشاب فتـاة ثم يقع فى غرامها وينتهى الامر بالعناق والتقبيل او بمأساة من نوع آخر فكـل الكتابات النسائية أو بعضها يكون شبها كاملا للبعض الآخر ولن تنتقل المرأة من فكرة لاخرى دون ابراز حساسية جمالها وتجسيد انوثتها للقارىء ، وربما مثل هذه الاتجاهات قد تضايق قارىء اليوم فلن يكون الشعر عملا أدبيا رائعا الا اذا غزا قلوب الجماهير المشحونة بالنضالية والحماس والتركيز على قضايا العصر لان الادب بصفة عامة مرآة لما يحدث فى هذا العالم والشعر أصدق تعبير عن هموم الجماهير والشعر النسائى التونسى فى هذه المرحلة لم يواكب الحركة الادبية المعاصرة لا من حيث الشكل ولا المضمون وقد يتضح هنا للقارىء كلما قـرأ شعرا نسائيا تونسيا انه امام قصيدة لا تقدم مشكلة محدودة المعالم ولذلـك فانها لا تنتهى بحل ملموس كما يلمس القارىء هوامش جـانبيه هى نفسهـا طرق وأساليب ووسائل لعرض مشكلات اخـرى مـن مشاكـل الرومنسيـة والضياع داخل بوتقة الخيال المزاجى وقد لا يرضى هذا اغلب القراء وخصوصا القارىء المثقف الذى أصبح لا يؤمن بتقديس القبلات وتكديس باقات الورود والبيانات الغرامية فلم يعد مقبولا فى القصيدة المعاصرة مثل هذا الاسلـوب الكتابى ، وحتى روائح العطر زعفتها أنوف قراء هذا العصر ، وأومن ان هـذا القارىء أصبح بحاجة الى المزيد من المعالجة لقضايانا السياسية والاجتماعية الاخرى لان التفجر الاجتماعى والسياسى والثقافى الذى يشهده الوطن العربى من الضرورى ان يفتح الطريق امام خلق فنون أدبية وثورية دينامية قادرة على

التعبير عن توترات مجتمعنا وتطلعات جماهيره العريضة وتبين لنا مؤشرات التفجر الاجتماعي والسياسي التى تعيشها اليوم ان الفن لادبى بشتى اشكاله وفنونه هو المرشح الوحيد ليكون لسان المرحلة الحالية والمعبر عنها واذا نحن انتقلنا من مرحلة المؤشرات الخاصة نجد من الضرورى تحول الادب النسائى طبقا لمعايير نعيشها ونمارسها ونرى من الضرورى ولزاما على المرأة الادبيــة تغيير اسلوبها الكتابى ومحاولة تعصيره فكما تعصرت بلباسهــا وديكورهــا وحياتها الاجتماعية والخـاصة من الضــرورى ان تتعصر ثقافتها وقصيدتهـا وهذا الطلب لن يهدى او يمنح او يباع انما هو حصاد مجهود تنقيبى ان صح التعبير اى من الضرورى على الشاعرة التونسية ان تخرج من بوتقة الروتين والانحلال العاطفى الى ممارسة الكتابة الجادة والتعمق في كل الكتابات الحديثة التى تعج بها الصفحات الادبية كتبا كانت أو مجلات او صحفا ونستنتج من هنا ان ازمة الشعر النسائى ربما يكون مردها الى أمرين اثنين أولهما انهزاميــة الشاعرة التونسية او شعورها بها وعدم ممارستها لثقافات العصر بجمودها وركودها ولامبالاتها بهذه الثقافات ثم الزواج الذى اصبح احد عراقيل الابداع الفنى عند الشاعرة فكثيرا ما تكون نهايتها الادبية ليلة الزفـاف وربما هـذا نتيجة عقد نفسية او افكار مرضية كما ذكرت واذا مارسنا العملية بالشواهد والمؤيدات نجد ان زبيدة بشير كتبت قصائدها كلهاقبل الزواج سوى النادر بعده وفاطمة الدريدى جف سيلها عندما خطبت ومرجع هذا ان صحت تنبؤاتى ان الشعر النسائى التونسى يفتقر الى ارضية ادبية صلبة تشد الشاعرة شدا الى آخر لحظة من حياتها تتطور كلما تطـورت الحركات الادبيــة وتـزداد نضجـا وممارسة يوما بعد آخر وهذا يفرض خلق ارضية ثقافية تنطلق منها الشاعرة وتتبع كل الكتابات الحديثة وتساير كل الاتجاهات بامعـان ومنطلـق هـذا ايديولوجية ثقافية متشبعة وممارسة جادة لا استهلاكية لقضاء مأرب أو رغبة وهذا يبدو لى من اعسر الامور فى زمن تكف فيه الشاعرة عن الكتابة مطلقا كلما ارتمت بين احضان حبيب العمر فهى تكسر القلم وتعـزف عـن الكتابـة وتدخل قائمة ربات البيوت وأظن ان هذه الظاهرة لا توجد سوى بتونس فكل الشاعرات فى الشرق والغرب حافظن على حركيتهن الادبية حتى النفس الاخير ومنهن من تضاعف نتاجها بعد الزواج والانجـاب وهـذا يرجـع الى صـلابة ارضيتهن الثقافية فالارضية الادبية الصلبة لا تنضب او تنكسر حينئذ لا بد من خلق أرضية صحيحة وسليمة لشعرنا النسائى لنخرج من الازمـة حسب رأيى مؤملا مشاركة الاخوة القراء واصحاب الاختصاص فى معالجة هذه الازمة.

مولد الميزان في الشعر العربي

بقلم : محمد العياشي

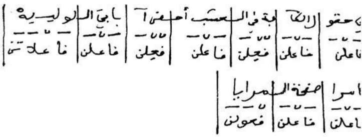
لقد اتضح لى أثناء إقامتى بباريس أن الباحثين والدارسين والنقاد ، إزاء ظاهرة الشعر الحديث ، باتوا مورطين فى الحيرة معترضين للشبهة ، لا يعرفون كيف يعالجونه لاستجلاء موازينه . فالسلاح الوحيد الذى يملكونه لمعالجته به هو التفاعيل الحليلية والملاحظة البصرية . وهى وسائل قاصرة عن بلوغ الغاية فى هذا المجال لأن الموازين والايقاعات داخلة فى حيز الاصوات والمسموعات لا يدركها ولا يهيمن عليها إلا من تسلح لها بما ينبغى من الحساسية والملاحظة السمعية والخبرة الفنية والمعرفة النظرية والتطبيقية بأمور الشعر والموسيقى لاستغلالها فى معرفة موازين الشعر قديمه وحديثه .

والتفاعيل الحليلية عاجزة عن تصوير الايقاعات القديمة فكيف لها بأن تقدر على تصوير الموازين الحديثة مع اختلاف القوانين وتطور الاساليب ؟ فاذا عرض لهم بيتان كهذين اللذين نستخرجهما من قصيدة « شجرة الحنايا » من كتاب التحولات لأدونيس :

« فى حقول الكآبة فى العشب أحفر آبارى اللولبية »

« كاسرا صفحة المرايا »

عالجوهما بالملاحظة البصرية والتفاعيل العروضية .



فاسفر التقطيع عن نتائج محيرة ؛ إذ يجدون فيهما أربع تفعيلات ليس من شأنها أن تجتمع فى قصيد واحد . وهى (فعلن) و (وفاعلن) و (فاعلاتن) و (فعولن) . فيفضى الامر بهم الى الحكم على هذا الشعر بأنه مخلوط فى وزنه اذ لا يخضع فى تأليفه الى قوانين علم العروض . ويرتكبون بذلك خطأ فاحشا لأن هذا الشعر إن خلا من وحدة تفعيلية فانه لا يخلو من وحدة إيقاعية . والشعراء عند قرض الشعر ملتزمون بالايقاعات والموازين هى التى يعرفونها ويحتكون بها ويطلبون ما عندها من طاقات التعبير والتأثير لا بالتفاعيل التى هى أشبه شىء بالقوالب النحوية والصيغ الصرفية وبعيدة كل البعد عن واقع الايقاع والميزان .

ولئن كان لى من هدف من تأليف هذا الفصل فهو دعوة الطالبين والمختصين الى نبذ الوسائل الفاشلة والطرق البائدة وطلب الحقيقة بالوسائل الكفيلة ببلوغها . وأنا لا أدعى أنى فى هذا الفصل أحل قضية الشعر الحديث ، وليس بين يدى منه إلا ثلة قليلة من القصائد . فأى حكم أصدره فيه هو خاص بقصيدتين وقعتا بين يدى من شعر أدونيس . حتى اذا توفرت لدى المادة الضرورية للبحث ، أصدرت حكمى النهائى فى الشعر الحديث كالذى صنعته عندما تناولت إيقاع الشعر العربى القديم .

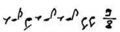
إن من يختبر الموسيقى العربية ما هو قديم منها وهو الموشحات الشرقية بصفة خاصة وما هو حديث وهو الاغانى المعاصرة خاصة يلاحظ بينهما اختلافا كبيرا فى طريقة نظم الاصوات وتعمير الاوقات . فأما القديم فيلتزم الملحن فيه بمبدإ الايقاع وأما الحديث فيلتزم فيه بمبدإ الميزان .

١ ــ الموسيقى التقليدية والشعر القديم والايقاع :

١) الموسيقى القديمة والايقاع .

ومنها هذان النموذجان :

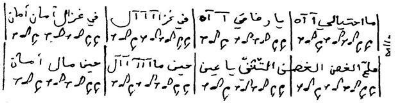
أ ــ الاقصاق : وترقيمه :



ومنه توشيح « ما احتيالى » من وصلة فى نغمة الحجاز

« ما احتيالى يا رفاقى فى غزال »

« علم الغصن التثنى حين مال »
وتوزع الكلمات على الايقاع كالآتى :



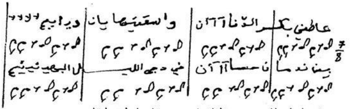
ب ـ النوخت : وترقيمه :



ومنه توشيح « عاطنى بكر الدنان » من وصلة فى نغمة البياتى .

عاطنى بكر الدنان   واسقنيها يا نديم
بين ندمان حسان   فى دجى الليل البهيم

وتوزع الكلمات على الايقاع كالآتى :



ونلاحظ ان الموشحين مؤلفان فى موسيقاهما طبق إيقاعين :

ـ أولهما : الاقصاق ° وقيمته الجملية تسعة عناصر لا تفريط فيها ويتألف من قيم جزئية : خفيفين مقصورين وثقيلين ممدودين وخفيف مقصور وثقيل ممدود ؛ لها نسب ثابتة وكميات من الوزن والوقت لازمة ونظام قار لا تفويت فيه فى جميع الدورات من أول الموشح الى آخره .

ـ والثاني : النوخت وقيمته الجملية سبعة عناصر لا تفريط فيها .
ويتألف من قيم جزئية : ثقيل ممدود وخفيف مقصور وثقيل ممدود وخفيفين مقصورين ؛ لها نسب ثابتة وكميات من الوزن والوقت لازمة ونظام قار لا تفويت فيه في جميع الدورات من أول الموشح الى آخره .

فللايقاعين جميعا كميات جميلة وقيم نسبية جزئية وكيفيات نظام لا تسامح فيها ومعاودة دورية . نستنتج من ذلك أن الايقاع هو الحركة في نطاق الكمية الكيفية والمعاودة الدورية . ذلك الايقاع في الموسيقى الشرقية الكلاسيكية .

2) الشعر القديم والايقاع :

وإذا نحن اعتبرنا نظم الشعر العربي القديم وجدناه قائما في تاليفه على نفس المبدإ مبدا الايقاع . ومنه هذان النموذجان :

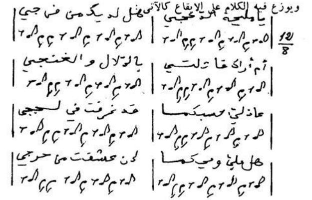
أ ـ المقتضب : وترقيمه :



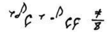
ومنه هذه الأبيات :

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج
أم أراك قاتلتي بالدلال والغنج
عاذلي حسبكما قد غرقت في لجج
هل علي ويحكما إن عشقت من حرج

ويوزع فيه الكلام على الايقاع كالآتي :



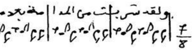
ب الكامل : وترقيمه :



وهو كالذى فى هذا البيت لعنترة :

ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

ويوزع الكلام فيه على الايقاع كالآتى :



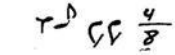
واذا نحن لاحظنا ذينك النموذجين وجدنا فى تأليفهما كل الخصائص التى تكون للايقاع المستعمل فى الموسيقى العربية الكلاسيكية من قيم جملية ونسب جزئية من الوزن والوقت ونظام ثابت لا يتغير الا قليــلا ومعــاودة دوريــة . فهما قائمان فى تأليفهما على مبدإ الايقاع بالضبط كالـذى تقـوم عليه تلـك الموسيقى . فيلتزم الشاعر والملحن فيهما بمبدإ النظـام لا يحيـدان عنـه ولا يفرطان فيه . فالايقاع فيهما متميز بالصبغة الكيفية . وهما من الفن الايقاعى الأصيــل .

ولقد أرسى الشعر على تلك القاعدة منذ أقدم عصور الجاهلية . وظل الشعر الفصيح على ذلك حتى الآن . ولكن الموسيقيين المحـدثين ، رغبـة منهـم فى التحرر من قيود الايقاع وطلبا للسهولة رأوا أن يهجروا الايقاع بصفة نهائية. ولم يلبث فريق من الشعراء المعاصرين أن اقتفوا آثـارهم فى ذلك . فـآثـروا معالجة الشعر بالميزان بدلا من الايقاع .

2 ـ الموسيقى العصرية والشعر الحديث والميزان :

والميزان فى عرف الموسيقيين هو الاستخفاف بكيفيات الحـركة والالتـزام بكميات الوقت . ومعنى ذلك أن الميزان ، اذا كان ذا أربعة عناصر ، فان الملحن يكون حرا فى توزيع الحركة فيه بشرط أن يكون أول العناصر أو آخرها ثقيلا. وأما الثلاثة الباقية فيمكنه أن يعالجها بما يريد مدا وقصرا وسكوتا ونطقا

فاذا اعتبرنا ايقاع الخبب مثلا نرقمه كالآتي :



ومعنى ذلك أن تلك القيم الحركية ثابتة في كمياتها وكيفياتها تتكرر في جميع الدورات .

واذا اعتبرنا ميزان أربعة مثلا فاننا لا نستطيع ترقيمه ولا نستطيع أن نزيد فيه على أن نشير الى عدد الاوقات وهو ربعة مشالات • فنرسم : 4/8 فقط • ومعنى ذلك أن الحركة في صلب الميزان حرة لا يتقيد فيها الملحن الا بعدد الاوقات وبتثقيل العنصر الاول (عند الغربيين غالبا) أو العنصر الاخير (عند الشرقيين غالبا) . وحتى هذا ربما تسامحوا فيه عند معاكسة الوقت. فيمكن أن تتوالى الدورات فيه هكذا مثلا :



وغير ذلك .

هذا الميزان في الموسيقى ولا أعرف متى كان ظهوره فيها .

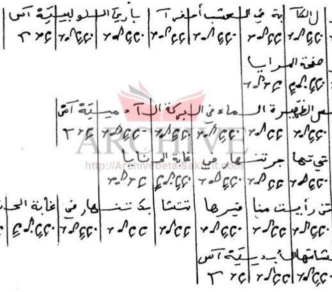
وأما الشعر فقد ظهر فيه الميزان منه عقود قليلة • وهو ما سنحاول اثباته بالاعتماد على هاتين القصيدتين لأدونيس . وهما « شجرة الحنايا » صفحة 17 و « أيام الصقر » صفحة 27 من كتاب التحولات وهما من ميزان الخبب خلافا لايقاع الخبب التقليدي •

1) شجرة الحنايا :

في حقول الكآبة في العشب أحفر آبارى اللولبية
كاسرا صفحة المرايا
بين شمس الظهيرة والماء في البركة الآدمية .

سنواتى تهاجر كالجوع تنهار فى غابة الحنايا
سنوات
رأيت مناقيرها تتشابك
تنهار فى غابة الحنايا
بين أعشاشها الأبدية .

وهذا تقطيعها وترقيمها وتوزيع أوقات الميزان فيها :



2) أيام الصقر :

هدأت فوق وجهى بين الفريسة والفارس الرماح
جسدى يتدحرج والموت حوذيه والرياح
جثث تتدلى ومرثيه
وكأن النهار

حجر يثقف الحياه

وكان النهار

عربات من الدمع

غير رنينك يا صوت

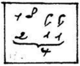
أسمع صوت الفرات

وهذا تقطيعها وترقيمها وتوزيع أوقات الميزان فيها :



واذا أنا تحسست هاتين القصيدتين بسمعي وجدت لهما ميزانا هو ميزان الخبب . وتظهر فيه الدورة على خمس صور أجدها في القصيدين كليهما :

1) الصورة الاولى : وهى الاصل



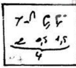
وأجدها فى الدورات : (3 – 5 – 14 – 19 – 21 – 26 – 28 – 30 – 31 – 37) من قصيدة« شجرة الحنايا » وفى الدورات : (1 – 3 – 5 – 8 – 9 – 10 – 15 – 16 – 19 – 21 – 24 – 26 – 30 – 32) من قصيدة « أيـام الصقـر » . وأجدها بنسبة 24 من 71 دورة فى القصيدتين .

واذا أنا تدبرت هذه الصورة وجدتها تجسم ايقاعا قديما ذا أربعة عناصر هو إيقاع الخبب المؤلف من منطقة خفة تشتمل على خفيفين مقصورين ومنطقة ثقل تشتمل على ثقيل ممدود نحو : (هدأت) وهى خلافا لما ينص عليه علم العروض هى أصل الايقاع لانها هى ما يستغرق كل عنصر منه وحدة قيمة زمنية واحدة سواء كان خفيفا أو ثقيلا أو ساكنا . ويمكن أن نجسمها بقولنا (فعلن)

2 1 1

4

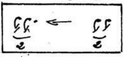
2) الصورة الثانية : ويعتريها تسهيل الاهتضام



وأجدها فى الدورات : (1 – 2 – 4 – 6 – 7 – 9 – 12 – 13 – 15 – 16 – 17 – 20 – 22 – 23 – 27 – 29 – 32 – 35 – 36) من قصيدة « شجـرة الحنايـا » وفى الدورات : (2 – 4 – 11 – 12 – 13 – 17 – 18 – 20 – 25 و 27 – 28 – 29 – 31 – 33) من قصيدة « أيام الصقر » . وأجدها بنسبة 33 من 71 دورة فى القصيدتين .

واذا أنا تدبرت هذه الصورة وجدتها تجسم دورة من الخبب تسـاويه فى كمياته وكيفياته ولا تخالفه الا مخالفة جزئية ؛ وتتألف من منطقة خفة تشتمل على خفيفين : هاضم ومهضوم ومنطقة ثقـل تشتمـل على ثقيـل ممدود نحو (فى حقو) . وهى صـورة معـالجة بتسهيـل (أى

زحاف) الاهتضام . وهو مبدأ تسهيل قديم أقره القدماء . ويقوم على مد الخفيف المقصور الاول على حساب جاره الخفيف المقصور الثاني باهتضامه والاستئثار بنصف مدته ليتسع لمقطع ممدود :

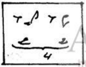


والنقطة تزيد العنصر الموالي لها نصف قيمته . وذات الشيلتين تساوي نصف ذات الشيلة ، فتسلم بذلك الكميات . وهي ما أخطأ في شأنه الخليل عندما جعلها أصل الايقاع ، وقد شرحنا علة ذلك منذ قليل ويمكنني أن أسمي هذه الصورة : (فـاعلـن)

2 0،5 1،5

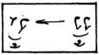
4

3) الصورة الثالثة : ويعتريها تسهيل المعاوضة



وأجدها في الدورات : (11 — 25 — 34) من قصيدة « شجرة الحنايا » وفي الدورة السابعة من قصيدة « أيام الصقر » وأجدها بنسبة 4 من 71 دورة في القصيدتين .

واذا أنا تدبرت هذه الصورة وجدتها تجسم دورة من الخبب تساويه في كمياته وكيفياته ولا تخالفه الا مخالفة جزئية وتتألف من منطقة خفة تشتمل على خفيف ممدود ومنطقة ثقل تشتمل على ثقيل ممدود نحو : (رايـا) . وهي صورة معالجة بتسهيل المعاوضة . وهو مبدأ تسهيل قديم أقره القدماء ويقوم على إسكات الخفيف المقصور الثاني وإضافة مدته الى الخفيف المقصور الاول ليمتد به ويتسع على حسابه لمقطع ممدود ؛ وتسلم بذلك الكميات .



ويمكن ان نسمى هذه الصورة (فعلن)

2 2

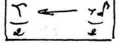
4

4) الصورة الرابعة . ويعتريها تلوين الاسكات



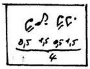
وأجدها فى الدورات (8 ــ 18 ــ 38) من قصيدة « شجرة الحنايا » وفى الدورتين (14 ــ 23) من قصيدة « أيام الصقر » . وأجدها بنسبة 5 من 71 دورة فى القصيدتين .

واذا أنا تدبرت هذه الصورة وجدتها تجسم دورة من الخبب تساويه فى كمياته وكيفياته ولا تخالفه الا مخالفة جزئية ويتألف من منطقة خفة تشتمل على خفيف ممدود عملا بمبدإ المعاوضة ومنطقة ثقل ساكتة عملا بمبدإ الاسكات . نحو : (يـه آس) . وهى صورة معالجة بتسهيل المعاوضة فى منطقة الخفة وبمبدإ الاسكات فى منطقة الثقل فى صيغة يسميها أرباب الموسيقى معاكسة الوقت . وهو أيضا مبدأ قديم أقره القدماء فى فنهم وعجز عن إدراكه علم العروض .



ونسمى هذه الصورة (فــع آس)

5) الصورة الخامسة : ويعتريها التوليد



وأجدها فى الدورات : (10 ــ 24 ــ 33) من قصيدة « شجرة الحنايا » وفى الدورتين (6 ــ 22) من قصيدة « أيام الصقر » وأجدها بنسبة 5 من 71 دورة فى القصيدتين .

وإذا أنا تدبرت هذه الصورة وجدتها تجسم دورة من الخبب تساويه في كمياته وكيفياته ولا تخالفه الا مخالفة جزئية . وتتألف من منطقة خفة تشتمل على خفيفين هاضم ومهضوم  ومنطقة ثقل تشتمل على ثقيل ممدود مقتطع منه خفيف مهضوم عملا بمبدأ التوليد ٠ نحو (صفحة 61)



ونسمى هذه الصيغة (فاعلات)

هذه الصور الخمس كلها متواجدة في كل واحد من القصيدين . وتواجدها فيهما أمر مقبول معقول لا يتضارب والفن ولا يتناقض ومبادىء الميزان وحتى الايقاع . والدليل على ذلك هو أنها لم تعالج إلا بما كان القدماء قد أقروه من المبادىء في معالجة الايقاع : وهى الاهتضام والمعاوضة والاسكات والتوليد ٠ وهى كلها مبادىء قديمة ، وهذا الفصل لا يتسع لشرح ذلك ٠

فاذا اتفقنا على ذلك لم يوجد في هذا الشعر أى تجديد في المبادىء . ومع ذلك فهنالك اختلاف عما ألفناه عند القدماء . فما هو ؟ هو اختلاف في التصرف والاستعمال ليس الا . ويتمثل هذا الاختلاف في أن القدماء آثروا في الاستعمال شيئا وآثر المعاصرون شيئا آخر ٠

1) القدماء وإيقاع الخبب :

فأما القدماء، فانهم آثروا الا يسلطوا على الخبب الاصلى الا تسهيلا واحدا .

أ - إما الاهتضام : 

ب- وإما المعاوضة : 

من غير أن يجمعوا بينهما في القصيد الواحد . وآثروا أن يتقيدوا بذلك تحديا للصعوبة وحرصا على مبدأ الايقاع وسلامة كيفياته ٠ لان الايقاع يتميز بصبغته الكيفية .

2) المعاصرون وميزان الخبب :

وأما المعاصرون فانهم رأوا أن يتحرروا في استعمال الخبب بتسليط كل المبادىء المقرة للتسهيل عليه : الاهتضام والمعاوضة والاسكات والتوليد :

مجتمعة كلها في القصيد الواحد . وقد آثروا أن يتمتعوا بهذه الحرية طلبـا للسهولة وتهاونا بيكفيات الايقاع واعظاما لكمياته ه فجاء شعرهم أشبه شيء بالميزان لان الميزان هو المتميز بصبغته الكمية . (قارن بين هذا وبين الايقاع والميزان في عرف الموسيقيين) .

واذا أنا لاحظت صورتى المعاوضة والاسكات وموقعهما ونسبة استعمالهما وجدت أنهما لا تقعان الا فى الضرب . وهو تصرف نجد نظيره عند القدماء . لان الضرب يحتمل حتى عندهم ما لا يحتمل الحشو من ضروب التلـويـن . وأما صورة التوليد فلم تقل نسبة استعمالها الا لانها تعتبر تصرفا جديدا بعد أن ضاعت قرونا عديدة . فهى تشق الطريق لنفسها فى تؤدة كـى تؤلف فى الاستعمال .

ونستنتج من هذه الدراسة أن المقاطع فى الشعر العربى قديمه وحديثه غير منحصرة فى صنفين المدود والمقصور كما يعلم ذلك علم العروض ويقول به حتى العروضيون المعاصرون حتى هذه الساعة ، ولكنها أربعة أصناف :

ــ الممدود : ويساوى وحدتى قيمة من الزمن

ــ المقصور : ويساوى وحدة قيمة زمنية واحـدة فهى نصف الممدود والممدود ضعفه .

ــ الهاضم : يساوى وحدة قيمة ونصفا

ــ المهضوم : ويساوى نصف وحدة قيمة

وقد يعترض معترض بقوله : « اذا كانت مدد المقاطع تتفاوت بهذه الكيفية فما من كلام نعالجه بما ذكرت الا ويكـون شعـرا » ، ونجيبـه بقولنـا : « لا ! مستحيل ، لان الايقاع كميات وكيفيات ومناطق ثقل وخفه . وهى شروط لا يمكن أن تجتمع صدفة الا لثلة من الالفاظ . ولا يستقيم الامر الا لشاعر يؤلف كلامه بنية النظم ، فيكون كلامه شعرا ، وأما غير ذلك فلا ، وذلـك كالذى فى هذه الجملة مثلا : « فلما رأتهما وعرفت ما يريـدان ذهبت لتخـرج من حيث يدخل الماء » .

ولئن ميزت بين ما تصرف به القدماء وما تصرف به المعاصرون في استعمال الخبب وسميت صنيع القدماء به ايقاعا وصنيع المعاصرين به ميزانا، فتماشيا مع نزعة الموسيقيين الى التساهل في التمييز بين الايقاع والميزان ، وأما أنا فلا فرق عندي بينهما ما التزم الفنان باحترام مناطق الثقل ومناطق الخفة ، وأما الميزان عندي فهو ما اختلطت فيه تلك المناطق ولم نكد نميز فيه بين ما هو منها ثقيل أو خفيف .

فالقدماء هم من عرف الايقاع في أصالته ونقاوته . وأما المعاصرون ، فيعرفون الايقاع في طور من أطوار انحطاطه ، وأما الميزان فهو الايقاع في أسوإ حالاته وأقصى درجات انحطاطه . وهو ما ينفسح له المجال في الموسيقى الغربية الكلاسيكية التي هي موسيقى شعوب أرست قواعد حضارتها على مبدإ الكمية . وما تقيد القدماء وتمسكهم بالصعوبة الا تقديس منهم لمبدإ الكيفية في ما ينجزون من الاعمال الفنية . ويجسم ذلك قصر الحمراء بغرناطة ومحراب المسجد بقرطبة وتاج محل في الهند ، وهي نماذج خالدة من الفن القائم على مبدإالكيفية . وما استخفاف الغربيين بالكيفيات الايقاعية وابكارهم السهولة الا تقديس منهم لمبدإ الكمية ، ويجسم ذلك برج منبار ناس ومركز بومبيدو . وهي نماذج من الفن القائم على مبدإ الكمية ، الذي لا يقول أصحابه بالنقش والنمنمة والزخرف . وإنما الكيفية عندهم هي اعتبار النواحي الوظيفية والعملية وكثرة الانتاج مع قلة التكاليف وسرعة الانجاز .

وما الموسيقى العربية الحديثة وما الشعر العربي المعاصر في انحرافهما عن مبدإ الايقاع وسيرهما في اتجاه مبدإ الميزان ، ما ذلك الا تجسيم لتأثر الشعوب العربية بالحضارة الغربية وبشير أو نذير بقرب قيام حضارة في بلاد العرب تقوم على الصبغة الكمّية على غرار ما هو قائم في بلاد الغرب .

الشعر الطلائعي بين الجمود .... والصمود؟

بقلم : حياة بن الشيخ

قديما أيام كعب بن زهير .. والنابغة الذبياني وزهير بن سلمى وغيرهم من الشعراء القدامى أصحاب المعلقات سواء كانوا من شعراء الجاهلية او من المخضرمين كان الشاعر منهم تقاس شاعريته ومدى تمكنه من البلاغة ، والفصاحة والنضج الفكرى والشعرى ، تقاس فى قيمة المعلقة التى يطلع بها الى الناس فيفتن سمعهم ويأسر ألبابهم لما يقدمه لهم من تلك الابيات العديدة المتراصة كأسنان المشط .يبهرهم بتعقد اللغة أولا ، بالألفاظ المنمقة السحيقة العمق ، هذا مع بعض زخرفات لا تخلو منها المعلقة حتى تغدو مثل جدار جميل من الفسيفساء رصت أحجاره رصا متينا .

وعادة وفى جل القصائد التى قرأناها لهؤلاء الشعراء القدامى ، عادة ما تتجزأ القصيدة الى عدة أقسام ، أهمها :

1) البدء فى التغزل بالحبيبة ، ووقفة أمام ديار الاحبة .

2) النزول إلى وصف الناقة أو الفرس ومكانة هذه الحيوانات فى نفس الشاعر ومقدار حاجته اليها تمثل جزءا هاما من حياته .

3) التفرغ الى تناول الموضوع الذى عزم الشاعر أن تناوله بالبحث سواء فى مدح خليفة ما ، أو أى موضوع آخر .

ولست فى ما أقول نحن ضد المعلقات أو ضد أصحابها الفحول ، فبدسامة اقلامهم قد بنوا مجد تراثنا العربى ، وبفصاحة لغتهم التى رغم طلاسمها وغموضها الغنى بأعظم المعانى ، قد أسسوا صرح حضارة العرب ولغة العرب التى بقيت منارة تستنير بها العقول المتعطشة الى العلم والتراث الثقافى ، بقيت سلاحا يشهره العرب فى وجه الزحف الاوربى والحضارة الثقافية التى

عمت الغرب وبدأت تكتسح المشرق العربى محاولة طمس معالم ثقـافته التى تضاهيه تمدنا ، وتعمقا .

واذا كنا قد بدأنا فى التمرد على القديم منذ عهد بعيد واستطعنا أن ننطلق من الحصار الذى فرضه علينا التراث ، واستطعنا أن نبنـى للشعـر العـربى المعاصر صرحا جديدا يكاد يكون مستقلا عما سبقـه من التيـارات الفكـرية التى كان يقيدها الزمن من جهة واللغة من جهة أخرى ، فاننا لم نتخل كليا عن منهج الشعر القديم ولم نتملص من اوزانه وبحوره التى خطهـا الخليـل بن أحمد ، وحتى لما جاءت ثورة الشعر الحر ومحـاولة الخـروج عن نظـم الاوزان القديمة الموروثة ، والتحلق بالشعر الحر فى أجواء أكثر حرية وأكثر تملصا من القيود الشعرية العربية ، فالشعر بقى كما هو يمتاز بأصالته وورونقه وقـوة لغته وإن اختلفت شكليا عن لغة المعلقـات ، وبقيت نغمـة القـافية التى هى بالنسبة للقصيدة ايقاع منغـم لسمفـونية عذبة التلحيـن تدغـدغ الحـواس وتطربها . إنما الموجة الجديدة التى طغت فى السنـوات الاخيـرة واكتسحت السوق الشعرية بتحد سافر هى النزعة التى تسمى « بالشعر الطلائعى » لا هو بالشعر العمودى الاصيل المعتمد على وزن وقافية وبحر معين ، ولا هو بالشعر الحر الخافق هو الآخر لتفعيلة وموسيقة ما .

واذا كان للشعر الطلائعى بعض كتاب موهوبين فيوجد كذلك وهم حشر لا بأس به من المتطفلين لا على الشعر الطـلائعى فحسب بل على الشعـر وعلى الكتابة أصلا .

ـ فالنزعة التى انقاد اليها بعض الشباب اليوم ، لا هى نزعة تحررية من أصنام عنيفة لا بد من الكف عن البكاء على أطلالها .

ـ ولا هى نزعة تقدمية ترفض الماضى وتراثه لتكون وتشيد صروحا متينة للمستقبل الذى هو مدخره والمعتمد الاول عليه لما يمكن أن نقدمه له من فـن قيم يرتكز لا على الثقافة والتطور فحسب ، بـل على التجـربة والمعانـاة التى يلاقيها الشاعر فى حياته ، أو فى دروب المجتمع الذى هو قطعـة حسـاسة فيه . فيواكب بذلك التطور الفكرى ، والقياسى ، والاجتماعى والفلسفى فى كل تقلباته وتطوراته .

لكن على ما يبدو فلقد اختلط الحابل بالنابل ، وكثرت الاقاويل .. والنزعات والقفزات البهلوانية من هنا وهنـاك ، واختلطت الآراء ، وامتـلأت سـوق

الطلائعية بعشوائية لم يعد فى إمكان أحد تتبع مناهجها (ان كانت لها مناهج) ولا فهم دعائمها وعلى أى أساس تتركز (ان بقيت لها أسس تتركز عليها) . لم يعد لهذه النزعة التجديدية بعض رواد برعوا ونجحوا فى فرض هذا اللون الشعرى كفن قائم الذات ، معترف به لدى الاوساط الادبية ، فقد كثر اللغط ، وازداد عدد المتطفلين الذين تسلطوا على منهج الادب الحق ، مما بدأ فى زعزعة أركانه المتينة .

السؤال الآن وقبل كل شىء : ماذا قدم لنا هؤلاء الشبان ؟ وماذا كنا ننتظر من نزعة الشعر الطلائعى وهذه التجربة الجديدة ؟

ـ أهو مجرد صراع ثقافى بين القديم والجديد أو تضارب أفكار تقدمية ثورية مع ملتزمات قديمة لا تحديد عن طريقها المرسوم ؟

ـ أهو تجديد فى الشعر ؟ أو فى اللغة ؟ فى الافكار الفلسفية ؟ أهى ثورة جريئة ضد ماض كبل خطانا وعرقل زحف تطلعاتنا الادبية نحو عوالم أوسع وأرحب تتسع لجميع الاتجاهات والاساليب الشعرية ، وترحب بكل المفاهيم الفكرية ؟

ـ هل تخضع هذه النزعة التقدمية لعوامل اجتماعية .. سياسية او فكرية ، أم هى مجرد اندفاع وثورة عقيمة تسيرها الهمجية ، بعيدة عن التبصر والتروى ؟

ـ ما هى نتائج هذا التحول الذى فرض نفسه على السا‌حة الشعرية ؟ ما هى ابعاده ؟ أهى الينا أم علينا ؟

1) أول ما كنا نرجوه من هذا اللون الجديد من الشعر هو التحرر من عدة عوامل كانت تكتم أنفاس الشاعر . أولها الاوزان الثقيلة .. القافية المحبوكة التى لا تجوز محاداتها .. الزحافات الصغيرة العملاقة التى ان لم يراعها الشاعر قضت على قصيدته بالعدم .

2) مواكبة سير رحلة التطور الذى تسير نحوه الامة جمعاء . وسبر أغوار جميع المواضيع التى يتيحها للشاعر التحرر الشعرى .. والفكرى .. واللغوى.. والزمنى .

3) رغم التحرر الذى نهفو اليه ، والتطلع الفكرى الجديد الذى نرقب بزوغ فجره كنا نرجو ولو بعض التزام لمبادىء الشعر ، والسيطرة على الافكار والآراء المتعصبة ، والعواطف المشاكسة التى لا تخدم الشاعر ، انما هى تفقد الشعر قيمته وأصالته .

التهور الملحوظ الذى نلاحظه فى كتابة بعض الشبان الذين يظنـون أنهـم بعشوائيتهم .. وغوغائيتهم وهم يتحدون لا التراث الشعرى السليم وقوائمه المتينة الاصيلة فحسب ، بل يتحدون الشعراء المعاصرين المحافظين على جوهر الشعر العربى (وهذا ما لاحظناه مع الاسف فى الامسية الشعرية التى انتظمت فى اليوم الثانى لملتقى الشعر فى دار الثقافة ابن رشيق) .

وقد اعتقدوا انهم انتصروا فى معركة القديم والجديد ، وهزموا الاسمـاء اللامعة كما سموها ، وشلوا قيمها وتحفظها المتركز على أسس فكرية ، وثقافية وحضارية سليمة وايديولوجية خالية من كل نزق ، أو فلسفة ثورية عقيمـة تجر مضرة على صاحبها أكثر مما تخدمه . اذن أصبحت هذه الموجة الشعرية الحديثة مجرد عقد ومركبات نفسية تغلغلت من نفوس الشباب لتحدى شعراء سبقوهم واعتلوا عرش الشعر التونسى المعاصر ولمعت أسماؤها حتى كست سماء الادب ولم تترك كما تتوهم فئة من هؤلاء الشعراء الطلائعيين ؛ لم تترك لهم المجال للتقدم ولا فرصة للظهور . وهذا غير صحيح ، اذ لم يقف أحد فى وجه هؤلاء الشبان ولا من حاول عرقلة سيرهم ، أو شل أفكارهم التقدمية . وقد احتضنت اغلب المجلات التونسية هذه الظاهرة وساعدتها على المسير ، لتمكينها من التبلور واكتساب مكانة ما من الساحة الادبية وأول هذه المجلات هى مجلة الفكر اذ شجعت من رأت فيهم الكفاءة المطلوبة ، والموهبـة المرجـوة لتقدم للشعر المكاسب المنتظرة والابعاد التى يرمى اليها مجتمعنـا التقدمـى المتحضر الزاحف دوما نحو تطلعات جديدة ، وآفاق متحررة نزيهـة تمجـد حضارتنا ، ولا تشين الى صرح ثقافتنا التى كافح العرب من اجل اكتسابهـا بحد القلم وبسنان الكلمة .

نعود الى السؤال الاول : ماذا قدم لنا هؤلاء الشبان ؟ ماذا جنينا من هذه النزعة التجديدية ؟

ما عدا فئة قليلة جدا ومنحصرة فى بعض الاسماء ، يكـاد يكون المحصول لا شىء . لا من الناحية الموضوعية ، او الشكلية ، ولا الفلسفيـة . ولا حتـى

الابعاد الفكرية والاجتماعية . أما النغمة الموسيقية للقصيد فهى تكاد تكون مفقودة ، غدا القصيد مجرد كلام خال من كل رسم ، ومن كل وقع يراقص الروح ويطربها وتلك ميزة الشعر الاولى وقبل كل شيء .

فهى تكاد تكون زوبعة من فنجان . كلمات ملتقطة من هنا وهناك . ألفاظ رنانة كدقات بلا وزن على طبل أجوف . شعارات فوضوية ، بعيدة كل البعد عن المنطق ، ان لم تكن سلبية او انتهازية خاضعة لعوامل شتى ، ثم يروح كل واحد منهم يطلق عليها صبغة او صفة ما . الشعر المنجمى ، الشعر الثورى .. الشعر المالى .. ثم يندثر الكل فى هوة التمزق وعدم التركز المنطقى وفى الافكار المجدبة الجرداء والشعارات العقيمة التى تسد باب كل خلق جديد نظيف يقوم على أسس متينة ، ومفاهيم صحيحة ولا تضيع خطاه بين منعرجات التيارات الكلامية المتصارعة بدون حكمة أو ذوق . فلا هو بشعر سليم صحيح ، ولا هو بنثر معافى رصين ، ولا هو ببحث يرتكز على ايديولوجية واضحة المعنى والاهداف ، انما هى شعوذة لشبان متطفلين على الشعر يحاولون التصدى لا للشعر القديم ونواميسه وموازينه من أجل ثقافة شعرية مثمرة ، انما هو تحد لشعراء معينين ، وتخدير الافكار بثورة فكرية لا أساس لها ولا منطق

إذن أصبحت المسألة عقدة نفسية ، بين القديم والجديد . شبه صراع بين الشعراء القدامى واشباه المجددين . واذا كنت قد قلت فى أول حديثى عن الشعر ، لا بد من الانعتاق من الماضى ، ونسيان عهد المعلقات ومواكبة تطور العصر الحديث ، فلا يعنى أننا ندوس روح تراثنا المجيد بين عشية وضحاها بنعل متهور ما كان يوما واعيا ولا متفهما لمبادىء الشعر وأسسه .

ولا يعنى ذلك أننا نخلع أثوابنا ، ونمزق قشورنا ونخرج عراة حفاة الا من أجساد ممزقة دامية ملفوفة بشعارات واهية هم أنفسهم لا يؤمنون بها ، انما يدفعهم التحدى والتصدى للآخرين الى الغوص فى يمها العكر .

اذن اذا غربلنا حصيلة الشعراء الذين ينتمون الى هذا اللون الجديد لا نجد الا العدد القليل الذى يعمل بكل حزم ونشاط محاولا أن يثبت وجوده ، وأن يبث أفكاره عبر اشعار مشحونة بمعان سليمة معافاة من جرثومة التحدى للغير أو الغرور المفرط فيه الى حد النرجسية كأن بمدار ريشتهم ستبنى أسس العالم الجديد .

ولا اريد أن أقول كما قيل سابقا ان الشعر الطلائعي ما هو الا ظاهرة في صدد الاندثار والجفاف ولن يستطيع ان يتماسك ويشد نفسه طويلا ، ربما كان هذا صحيحا ولو بقي الشعراء الشبان على تهورهم والهستيرية الحالية التي تسيطر على عقوهم ، انما لو توقف الكاتب منهم أمام نفسه عارية الا من حقيقتها وحاسبها على كل كلمة قيلت ، وكل اتجاه اتخذ ، ببصيرة متفتحة ، وعقل واع متفهم لتقنيات الشعر واستراتيجيته لاكتسب الشاعر منهم النضج الفكرى المرجو ، والشكل الشعرى المطلوب والنزعة التحررية البناءة ، ولارتقى بنزاهة كتاباته سلم المجد والبقاء ليفرض وجوده فرضا في متاهات الشعر الفسيحة المتسعة لكل التيارات وكل الاتجاهات ، وكل ايديولوجية قائمة على أسس سليمة ، أصيلة معافاة من التوتر الذهنى والتفكك المنطقى .

هذه كلمة بسيطة أقولها لا لأنى أريد أن أهاجم من خلالها النزعة الشعرية الجديدة فانا لست بناقدة ولا أريد أن أكون .

ولست بصدد دراسة لأى نوع من الشعر ، لا ، انما هى كلمة أقولها دفاعا عن الشعر الجميل الجيد من التمزق بين أيد عابثة .

بهذا العدد الخاص بالشعر التونسى الحديث

على بركة الله تفتتح مجلة « الفكر » سنتها الرابعة والعشرين بهذا العدد الخاص بالشعر التونسى الحديث وتواصل مع قرائها الأعزاء مسيرتها الصامدة وهى مؤمنة بالحاضر المجيد ، عاملة على احلال الغد الافضل ، واعدة بعطاءات المستقبل الزاهر والمعاناة رائدها الاستمرار وفى ذلكم ترابط لأجيال تونس العزيزة من أجل هذا الوطن الأخضر . والله نسأل التوفيق الدائم .

لشعر التونسي من الشابي إلى ١٩٧٧

بقلم علي دب

برغم كل الظروف السيئة التى يعيشها الشعر والثقافة الوطنية بتونس .. وبرغم الامكانيات الفردية التى يحركها الشاعر .. وجميع التحديات والمراهنات فلم يتقهقر هذا اللون التعبيرى الذى يعد أهم أرصدة العرب الثقافية اذ شكل قبل « القرآن » حلقة التواصل بين القبائل المتناحرة .. كما ربطهم روحيا ووحد اللهجات .. ونمى التفاعل الحى وخلق القاعدة الفكرية .

ومسيرة الشعر الحديث بدأت بالشابى وانفصلت عنه فى حركات تصاعدية تضيف الجديد .. فالاسماء اليوم كثيرة .. وهناك اجيال من الشعراء تولد وتموت ولا ينشر انتاجها واذا كان اولهم الشابى توفى سنة 1934 فلن يكون آخرهم المختار اللغماني (توفى سنة 1977) الذى ارتحل فى عنفوان الشباب وجدية العطاء .. والشعر التونسى تمخض عن الصراع الدائر بين الكلاسيكية التى تزعمها محمد الشاذلى خزندار .. وبين الكلاسيكية الجديدة عند الشابى وجماعته .. محمد الفائز القيروانى وسعيد أبو بكر .. والطاهر الحداد .

انتصب الشعر العمودى السلفى فى أواخر القرن الماضى مدافعا عن امتيازات الحكام والحاشية الاقطاعية المدعمة بالاستعمار .. وقد ربطا بعلاقة المحافظة على المصالح الاستغلالية المشتركة وان ظهر بعض التململ فى أوساط الاقطاع وتحالفه المؤقت مع طبقات الشعب فليس ذلك الا من باب المساومة والضغط على المستعمر لتقاسم المكاسب .. ولهذه الفئة ثقافتها القشرية الملفقة وطواقم الشعراء تدور فى فلكها .

ومن هنا لا نستغرب الاصوات الشعرية الكلاسيكية وقد بدأت تندد بالاستعمار وتنادى بالتحرر .. وتربطه بالرجوع الى الخلافة العثمانية كان هذا

كله من استراتيجية الطبقة الحاكمة الاستغلالية قبل تحالفها النهائي مع الاستعمار ، ونشأ الشعر في احضان النفعية والفراغ العقائدي فكان تابعا أمينا للقصور والصالونات والمجالس الموقرة ، وانعكست فيه انماط وسلوكية النخبة ، ولم يستنكف بعض الشعراء حتى من تدبيج المدائح في الحاكم العام الفرنسي لم لا والحاكم يحرس مصالح الاقطاعيين ويربطها بفلك فرنسا « الحامية » .

فكنت تسمع عند هؤلاء الشعراء نغمة اصلاحية وطنية ولكنها تسلم في النهاية بالامر الواقع وتعد الاستعمار من بلاء الله وقدره الذي لا دافع له ولا مرد وتنادي بالرجوع الى السلف الصالح واعادة المجتمع الآبق الى حضيرة الدين ، ولم تسمع عندها طرحا لقضية التحرر القومي ولا تحريك الطبقة الشعبية ضد النظم المتخلفة والمتعاونة مع الاستعمار ... انها ظاهرة مفرغة من زمانها ومتراجعة الى الخلف في مراسيم بكائية ناشزة وارتبطت الكلاسيكية القديمة ، بمجد الشاذلي خزنة دار ومصطفى آغا ، وكلاهما ينتمي الى الطبقة الاولى « فخزنة دار أمير الامراء بالدولة الحسينية ، ومصطفى آغا ولد بقصر جده مصطفى آغا الكبير مؤسس العائلة ووزير الحربية في المملكة التونسية ونشأ في جو من البذخ ومظاهر العناية والتجمل (I) وبحكم الفرص المادية والثقافية المتاحة لهاته الطبقة فقد نشأ الشعر في احضانها وتلون برؤيتها للاحداث وهي رؤية سلفية كلاسيكية تنادي بالرجوع الى الخلافة العثمانية وتندد بكمال أتاتورك عندما الغى الخلافة ، وفي ظل هذا المفهوم نشأ أغلب الشعراء بقطع النظر عن أصولهم الطبقية ، ولم يخرج عن هذا المفهوم والطبقة الاجتماعية الشابي .

في مقابل الشعر الفصيح نشأت الازجال والشعر الشعبي في الاوساط المحرومة وبقيت خلفيته الفكرية ساذجة متآكلة وان كانت مواجهته للاستعمار أكثر وضوحا وحسما .

ثم بدأ المستعمر وحكومة البايات يشعرون بالحاجة الى الاطارات الوسطى لادارة الوظائف فانتشر التعليم الجزئي في الطبقة الوسطى وتبعه الشعر كأداة تعبير ومواجهة ، وبعد ان كان التعليم يقتصر على ابناء العاصمة وبعض المدن الكبيرة والعائلات الغنية بدأ « الآفاقيون » ــ حسب اصطلاح العائلات العريقة في العاصمة ــ يتواجدون في مراكز العلم والوظيفة وأغلبهم من ابناء الريف

(I) ز. العابدين السنوسي ، الادب التونسي في القرن I4 .

والمزارعين الصغار ، والطبقات الوسطى ، وكان للتعليم الزيتونى خاصة دورا رائدا فى نشر الثقافة العربية بين الطبقات الشعبية ونظرا لامكانياتهم المادية المعدومة فقد فتحت فروع زيتونية فى أغلب المدن حتى وصلت الى آخر نقطة فى الجنوب مثلا وانتشرت فى الريف التونسى والمدن الصغرى ، كان التعليم الزيتونى برغم كلاسيكيته المفرطة وميله الى علوم الدين تعليما قوميا اصيلا ، ربط الاجيال العربية بتراثها الضخم وحضارتها الحية على مر السنين ومكن من المحافظة على العربية امام التتريك والفرنسة والبعثات التبشيرية وتعدى اشعاعه القطر التونسى فحافظ على عروبة الجزائر وليبيا وكانت وفود الطلاب الجزائريين تناضل الى جانب الطلاب التونسيين فى مواجهة الاستعمار والتحدى الحضارى الفرنكفونى ، وتغلغل التعليم الزيتونى فى اوساط الشعب بحكم النفور من المدارس الفرنسية رغم التشجيعات ومحاربة التعليم القومى والثقافة العربية فمثلا من تحصل على الشهادة الابتدائية (الفرنسية) يعفى من الجندية ، بينما لا يعفى حامل التحصيل (البكلوريا) الزيتونى من العمل فى جيش الغزو الاستعمارى وظل التعليم القومى الزيتونى عقبة وشوكة أمام الاستعمار وثقافته وكان ثورة دائمة ترتبط عضويا بالطبقة الشعبية وهناك حقيقة ينبغى ابرازها وهى ان الكلاسيكية والكلاسيكية الجديدة وكل التفاعلات الشعرية والادبية نشأت فى ظل التعليم الزيتونى ، وبمقدار أقل من التعليم الصادقى (الذى كان يوازى بين اللغتين) وما عدا ذلك فلم تخرج المدارس الفرنسية غير موظفين ومترجمين يتفانون فى خدمة المستعمر وتقليد سلوكه وانماط حياته ، وتراجعت فيهم امكانيات الخلق والدفع المستمر ، ولم ينفصل الابداع عن اللغة القومية وبامكاننا ان نقارن تجربة الزيتونة بتجربة فترة طويلة من الاستقلال حيث صار التعليم وطنيا شكليا وبمفهوم غريب فلم تأخذ العربية حظها وتم انهاء الزيتونة والصادقية وعوضتا تكتيكيا بشعبة - أ - التى كانت تطورا مهما لدراسة جميع المواد بالعربية وسرعان ما انهيت بعد التأكد من القضاء على الزيتونة والصادقية وانتصبت الفرنسية سيدة للموقف ورجع التعليم التونسى الى اذيال التبعية فصار التلميذ يدرس من السنة الاولى ابتدائى لغتين ، وتواصل الاصرار على ذلك رغم اعتراض المربين وسوء المردود الذهنى، وابتلعت الفرنسية كامل مواد الدراسة بمافيها الرياضة البدنية والتصوير وحتى الموسيقى ، وفى فترة طويلة كنا نرى تلميذ الثانوى من الاقسام النهائية لا يدرس العربية ولم تعد تربطه بلغته القومية الا مادة التربية الدينية والتى ربما لم تغرنس لنقص الاطار ، وما عدا ذلك فالعربى مستشرق فى بلاده أو قل مستغربا وفى أوائل السبعينات مثلا لاحظت فى قسم البكالوريا آداب أن

للعربية حصتين في الاسبوع وللـدين مثلهـا ولا شيء آخـر .. كيف كانت النتيجة .. ان الاحصائيات تقول لم يبرز عندنا كاتب أو شاعر أو مفكر مرموق اثناء كل هذه الحقبة (من فترة الاستقلال) وان النسبـة العظمى من كتابنـا وشعرائنا اما من اصول زيتونية او صادقية او من شعبة ـ أ ـ المطورة عن الزيتونة ... (*)

أوليات الشعر الحديث :

بدأ الصراع يحتد بين ممثلي الكلاسيكية واتباعهم من الطبقة الحاكمة ، وبين الكلاسيكية الجديدة المتأتية من الطبقات الشعبية وابناء المزارعين **وصغار التجار** وأوساط الموظفين صراعا على مراكز **القوى والسلطة والوجه العربي والمـوقف** من الاستعمار واتباعه في المنطقـة وبامكاننـا ان نـلاحظ **محـاصرة الشـابي** ومدرسته ورؤياه الفنية والقومية المتطورة **انها محاصرة سياسية واجتماعيـة** وصراع بين الابداع القومي والتخلف السلفي التابع وحين حوصر تسـرب **انتاجه الى المشرق** فكان لهم من الوعي ما **لفت انتباههم الى التجربة الجديدة** ولم **يلتفت الشابي** الى دعاة الاقليمية فنشر اشعاره في مجلة **«زكي أبوشادي» المصرية** ولم **يكن ضمير** الشابي غير شعبه المطحون المستلب طرحت **الكلاسيكية الاشكال** العمودية مترسمة خطى الخليل وانفاسه ، ونظمت الشعر في **أغـراض تافهـة** كتواريخ الولادات ، والوفيات ، والالغاز ، والتشطير ، والتخميس ، **والمعارضة،** والتصوف ، والمدح مع العزف على النغمة الوطنية والاصلاحية **المثالية** ، وكانت وسائلها **بالية متآكلة** (1) .

ونرى في المقابل مدرسة **الشابي الغنائية الرمزية ـ والشـورية في نفس الوقت ـ تطرح نظرة فنية مطورة تستلهم تراث الامة** وتعصر المنظورات الفنية بوسائل حديثة ورؤية متقدمة على مستوى الجملة الشعرية والصورة مع الالتزام **بالقضايا الوطنية والاجتماعية ومواجهة الاستعمار ورفض الاشكال وما يتبعها من تمسح ومدح ووصولية وكان تعاملهم مع ما يجوز الخليل** ارهاصا للشعر

---

(1) راجع مجلة التجديد 61 ، توفيق بكار .
والادب التونسي في العصر الحسيني ، الهادي الغزي .

(*) **يبدو لنا ان هذا التحليل حول** سير التعليم في تونس يحتاج الى كثيـر **من التحري والارتباط بواقع الامور والجدير بالملاحظة** أن كاتب المقال لم **يتحدث عن الاصلاحات التي لحقت البرامج التعليمية خاصة بعد سنة 1970**
(الفكر)

الحر .. وقد حلوا قيود الشعر وعادة النظم ، وادخلوا الاوزان الجديدة (2) ، من التشطير ، وتنويع القافية وتوتر اللغة واستمر الصراع على هذا النسق الى ان خرج الاستعمار ...

ولم يجسم الصراع لصالح القومية والطبقة الكادحة ولا لصالح التعريب والثقافة الوطنية وصارت الفرنسية اللغة الاولى بدون منازع ودخلت في حياة الناس ومعاملاتهم وتعليمهم وثقافتهم وشوارعهم كشيء عادي بل وكاحدى علامات الانجاز الكبرى ، وهو مطلب طالما تمنته فرنسا المستعمرة فحققته فرنسا الصديقة ، وبدأنا عصر التجريب وعدم الوضوح لا في التربية السياسية والتعليم والادارة بل وفي الحياة الاجتماعية ... وتبقى الاقتباس والتقليد والتبعية من مشاغلنا الحقيقية في مرحلة البحث عن الذات وقد طالت المرحلة لافتقادنا النظرة التحليلية والمفهوم الحضاري الواعي ودوره في بناء الشخصية المميزة والتي يتبعها حتما الانفصال عن كل مخلفات المستعمر وثقافته الدخيلة وتبقى مسؤولية الجيل ونضاله « في الادراك ان الطريق الى بناء انسانية جديدة هو في المعاناة لا في الاقتباس ، في تحمل المسؤوليات لا في التسلق على جهود الامم ولغاتها » واذا اخترنا ان لا نعيش على الترجمة فكيف نقبل أن نعيش على الذوبان والنقل والمسخ وفقدان المقومات الحضارية وقطع الصلة بالتاريخ وفصل الماضي عن الحاضر . وكم كان « فانون » واقعيا حين أطلق صيحة الفزع عام 61 « اتحدى ايتها البلدان المتخلفة » ان يفصل الصراع القومي عن الصراع مع الاستعمار والصراع مع التخلف .. فاخراج الاستعمار قد يكون سهلا ـ بحكم الحتمية التاريخية ـ ولكن الصراع الاصعب هو ضد مخلفات الاستعمار وتحالفاته وضد قوى التخلف ... ولذلك لا بد ان يربط الصراع القومي بالصراع الطبقي وان تقترن الحرية بالاشتراكية .. وهذه هي القضايا المطروحة امام البلدان المتخلفة عقب خروج المستعمر ، وسوء فهمهما لا يؤجل فقط في المداواة بل ويعمل على تفشي المرض واستفحاله في غياب المنهج القومي الشامل نشأ جيل الشعر الجديد او ما بعد مدرسة الشابي اشتاتا من بقايا الزيتونة والصادقية وشعبة ـ أ ـ المنقرضة وخريجي المدارس الذين قرؤوا العربية كلغة حية وخريجي معاهد التبشير والبعثة الفرنسية وهم لا يسمعون بالعربية بل واعرف البعض الذي يجهل حتى العامية ... وخريجي الجامعة وقد انقطعوا عن العربية حتى كلغة حية فيما عدا

---

(2) السعيديات ، المقدمة (1927) .

« قسم العربية من جامعة تونس والمشرق » ومنهم جل الادباء والشعراء الجدد ومن منطلق تربوى تبعى وجهنا الاجيال وحددنا مداركهم وقدراتهم الابداعية وعوض ان نتفادى الترجمة نسينا الاصل وعشنا على التغريب والفرنكفونية .

وبعد مدرسة الشابى النمط انطلق الشعر فى قوالب جديدة ومدارس تتوالد باستمرار وان غلبت عليه التجريبية والخطأ فى مرحلة طويلة ، وليس هناك نمط عمر طويلا بعد العمودى ولا شعر التفعيلة بعد تطوره على الشعر الحر ... وانتهى عصر الامارة الشعرية والوزارة وعاد الشعر الى انسانيته وبشريته فالتجارب كثيرة والاصوات متنوعة فى تشابهها وكثيرا ما نرى شبانا يقفزون وشيوخا يتقهقرون تبعا للقصور الفنى وفى الستينات بدأت الالوان الجديدة وتركز الصراع حول الاشكال والشكلية وذلك أحدى الخطايا فى بداية الطليعة الادبية ولا يمكنني الا ان أؤكد أن الاشكال الشعرية لم تأت عفوا وانما كانت مرتبطة بظروف ثقافية واجتماعية وحضارية خاصة واننا عشنا فترة الستينات وقبلها منغلقين عن اصولنا منفتحين عن الغرب وتمخض هذا الصراع الحضارى الثقافى والاجتماعى عن ثلاثة اشكال انقسمت بدورها الى انماط وتوابع وحيثيات اخرى .

وعمليا ما زال الشعر العمودى فى شكليه الكلاسيكى والكلاسيكى الحديث يلفظ انفاسه عند مجموعة من الشعراء سواء أكانوا بقايا الصراع الاول أو تولدوامن الجيل المدعم للصراع وانهيار الخط العمودى غير ان التشويه الذى يلحق بهذا الشعر انه ما زال فى عمومياته مرتبطا بالتكسب والنفعية ولم نعد نفرق فيه بين الوطنية والنفعية ما دام الشاعر يمدح ويترقب « الهبة » وبما ان القاموس الشعرى للمدح قد توقف واغلق فى كامل الوطن العربى فلم يجدوا تقنيات معاصرة وظلوا مرتبطين بالاشكال القديمة وحتى المضامين وتتعجب أكثر عندما لا نلاحظ مدحيات فى الشكل الحر او القصيدة النثرية ولو وقع لكان حدثا بارزا فى الاتجاه الجديد الا ان الاصرار على العمود ارتباط بالاشكال والمضامين السلفية والتقوقع ومن الصعب التصديق بأن الشكل الخليلى انهار بهذه السهولة وفى أول جولة بعد ان عمر أكثر من سبعة عشر قرنا ، ولكن الواقع والنهاية البائسة لشعر ما زال يستقطب اذهانا واذواقا خلقتها الاختيارات المدرسية ونظام التعليم وتكريس النصوص .

وقبل التحول الى الاتجاهات الحديثة أشير الى ان كثيرا من الشعراء سقطوا فى الطريق ولم يفلحوا فى التخطى والدفع المتجدد ، فمنهم من فقد التوازن

ومنهم من ارتد ومنهم من انكفأ على نفسه يأكل من زاده المتناقص ويرفض ان يعترف بأن مجال الخلق والابداع اوسع من تصوراته وثقافته .

كما أشير الى زوال الحواجز بين الشعر والقصة والفنون الاخرى بدأت تتداخل وتتفاعل ، وبقيت للشعر مكانته رغم تنوع وسائل الابلاغ والتعبير والدخول فى عصر التقنية والعلم .

الشعر الحر .. بداية على الطريق :

فى أوائل الخمسينات أطل الشعر الحر من البوابة الشرقية للوطن العربي، ورغم ترويج الدارسين الى زمن أقدم من هذا والى شعراء تونسيين بالذات فان البداية كانت من العراق ، بداية ليست صدفة ولا عرضا وانما عن فلسفة واقتناع بقصور النمط العمودى والحاجة الى تطوير وسائل التعبير ودلالاته خلقها تطور الانسان العربى نفسه واحتياجه الى تعبئة الفراغ المعاصر أمام التطور الشامل ، ثم ان التجارب الكثيرة التى مهدت للشعر الحر المنهج لم تفلح فى الحد من اللون العمودى بعد ان صار صدى وهميا فى التعبير عن احساس الامة الجديد وتطلعاتها الواحدة ورواد الشعر الحر فى تونس تأثروا بتجارب النماذج العربية الرائدة ، وامكنهم متابعة المعارك الاولى عن قرب خاصة ومنهم من درس فى جامعات شرقية فروجوه بسرعة فى الاوساط الثقافية وشكل مع تجارب المشرق ارضية للشعر الجديد فى تونس وان كنت متأكدا من ان التجارب الاولى لم تكن واضحة ولا منفصلة عن العادة العمودية وكثيرا ما رأينا القصيد أو البيت العمودى يقسم على أسطر موهما انه شعر حر ، لا أود الحكم على عطاء هذه المرحلة ولكنى استعرض بداية الحدث .

وانقسم الشعر فى تونس الى مدرسة قديمة تقف وراءها قوى ، ومواقع ومصالح سلفية معلبة وطبقية متنفذة ومدرسة حديثة جاءت من التعليم الجديد خاصة منه الشرقى والصادقى والزيتونى وينتهى طلابها الى قوى الفلاحين والعمال وصغار الموظفين والى الريف التونسى وقد عبر الميدانى بن صالح عن هذه الهموم والطموحات والتزم بمطالب الطبقة الريفية العمالية وهو المثال المحافظ للشعر الحر فى شكله الاول وتطوره البطىء .

والملاحظ ان هذا الحدث الشعرى استقطب جماهير العمال والطلبة بسرعة كما انه كان المنطلق لشعر التفعيلة والقصيدة المدورة وشبه المدورة كآخر شكل وصل اليه هذا التيار (رغم احتفاظ الرواد بالمنطلقات الاولى) وقد افلح فى تحطيم العمود وان لم تزل بقاياه ، فاحتفظ منه بالقافية الجزئية ووزع التفعيلات على عدة أسطر (وان بقى وفيا لما يقارب عددها) محاولا تانيس

البصر الذى تعود على الشطرين تقابلا أو توازيا ، وبشىء من التحفظ أقول ان مناطق الذهنية ظلت وفية لنمط الشعر العمودى ولم يفلحوا فى الانعتاق من الاسر التراثى ولم يستوعبوا التطور لانطلاقة شعر عاش فى قمقم أكثر من سبعة عشر قرنا ومن سلبيات هذه المرحلة ان الرواد مارسوا العمودى الى جانب الحر ليثبتوا تمكنهم من الاثنين وفى هذا دليل على عدم الاقتناع الكلى بالتجربة وممارستها بعيدا عن ظروفها الاجتماعية والطبقية ويبقى الابداع الحقيقى فى فهم المقومات العربية وتطويرها حتى تساهم فى حضارة الانسان ، وحتى لا تتوقف الاجيال عن النمو الفنى والخلق والابداع الذى هو احدى خاصيات تراثنا وحضارتنا يقول الدارس جلال الشريف : «ثورة الشعر الحديث تتمثل فى التشكيل الموسيقى ، وتشكيل الصورة ـ تحطمت الوحدة الموسيقية للبيت الذى تحول الى سطر ـ وتحولت الاسطر الى جملة شعرية، والجمل الى قصيد وهو بدوره صار وحدة موسيقية متكاملة وصار التشكيل الموسيقى للقصيد ذاتيا لم يحتفظ الا بالتفعيلة ـ اما الصورة فقد فقدت كل صلة لها بالعالم الخارجى على الرغم من استعارة عناصرها من هذا العالم ، والصورة الحديثة كالعنصر الكيميائى : تفقد كل العناصر خصائصها بعد التفاعل » (1)

وتنطبق هذه المواصفات على شعر التفعيلة المكتمل الذى تطور عندنا فى الستينات وفى السبعينات قطع صلته ببدايات الشعر الحر .

جيل التحدى فى الشعر ـ وقصيد التفعيلة :

حيث تمرد جيل جديد لا على اللون العمودى فقط بل نقل الصراع الى اشكال الحر نفسه ، وبعد ان كانت الخصومات تحتد بين العمودى والحر صارت بين مستحدثات الحر بعد ان جسم الصراع لصالح الشعر الجديد وشعر التفعيلة لم يقدس نمطا ولم يحتفظ الا بالتفعيلة كوحدة بناء والتقاء حضارية، ولكنه طورها كأداة موسيقية وتعبيرية تملك خصائص التفاعل الحى والتطور المستمر ، وتبعث فى الشاعر انفعالا مشحونا بابعاد اللفظ ـ والخلفية (الصورة والفكرة الشعرية التى تنمو باطراد من خلال وسائل التعبير المتطورة) .

وحرر الشاعر التفعيلة من الوعائية لتكون جدلية متفاعلة مع عناصر التجربة وابعادها وافلح فى التحكم فيها بعد ان كانت التفعيلات تفرض على

---

(1) الشعر العربى الحديث ، ط دمشق ، ص 63 .

الشاعر حدودا من التعبير والتفكير ، ولو حاولنا استكناه الابعاد المثيرة فى تجربة شعر التفعيلة لوجدنا تحطيم النسق التلقائى للجملة العادية والبعد عن التعبير المتوقع باستعمال خصائص الثراء للجملة الشعرية ولتركيب الكلمة **ـ أى كلمة ـ فيها فالابداع لا يكمن فى الكلمة وحدها وانما فى موقعها من** الجملة الشعرية .. وصارت الجملة الجديدة متوهجة ، عنيفة تفاجىء الذهن وتربكه ، ويستغل الشاعر فى صورته الحديثة التناقض الظاهرى والايحاء بجمال التباين .

بالاضافة الى طول الجمل الشعرية واستخدام الصور المركبة ، ووسيلة الشاعر الحديث تطويع المجاز واستغلال عناصره الحية الخلاقة .

عوامل خلقت شعر التفعيلة :

من تتبع المكونات والدوافع الاجتماعية والاقتصادية والحضارية لشعر التفعيلة فى شكله المطور ـ خاصة وانه السائد الآن فى الوطن العربى ـ نجد مجموعة من العوامل :

1 ـ **هو مؤشر** لارتفاع نسبة الثقافة العربية والاحساس بالبعد الجمالى عند الشاعر خاصة وان الانسان العربى ظل حقبة سكونية يميل فيها الى **الانغلاق والجمود** و**التجزئة والاجترار وعندما تفاعلت** عناصره العربية الحضارية **مع الكفاح اليومى** ، وجد الشاعر نفسه مدفوعا الى اكتشاف آفاق **الابداع فى** حضارته ولغته وتراثه وشخصيته الذاتية .

2 ـ الاحساس بالصفة الثقافية والخاصية الحضارية وتجميع عناصر الخلق **فى الرؤيا والتعبير عن البدائل ، فاذا اعتادت ذهنية التخلف والمحافظة والالفة** على المذاق الجاهز فذلك لم يعد يرضى الثقافة البديلة لتطوير الامة وتعصيرها.

3 ـ انه دليل على ان الثقافة لم تعد تتحمل التقسيم فهذا شعر شعبى وهذا وطنى حماسى ، وهذا نصف أمى ، وهذا جماهيرى ، ان هذه التقسيمات عودت الذهنية على الخمول والبديهيات والتسطيح فلذلك لا بد من دلائل جديدة تشد المجتمع العربى لا الى الخلف كما عودنا الشعر العمودى وبدايات الحر بل تدفعه الى تذوق ـ ولو جمليا ـ ابنية جديدة وعالم آخر قد يحس بصعوبة **الانتماء اليه ـ لعوامل التخلف التبعية والتجميل ـ . ولكنه يتفاعل معه اذا تخلى صادقا عن التعصب والحكم المسبق عن الاشياء « ان القصيدة الحديثة لم تعد عملا جاهزا (وزن وقافية) ولا استيرادا مترجما** بل هى تفاعل داخلى وتكيف شامل ، وموقف فكرى وعملى من الحضارة وثقافة الامة » .

4 ـ ان هذا الشعر تولد عن مثقفي الطبقة الشعبية بعد ان زالت عن مجموعات منها الامية وتوفرت لهما الثقافة والدراسة حتى تصير اطارات تدير وسائل الانتاج ، وبذلك استفادت طليعة هذه الطبقة ثقافيا واحست بأن التعبير الانقلابي لن يشمل الحياة الاقتصادية وحدها بل والثقافية وكل جوانب التطور والتبعية فالمجتمع الجديد الذي نحن احدى شرائحه الصغرى في حاجة الى التعليم والثقافة القومية وهما اكبر سند له في كفاحه المتواصل ضد قوى التخلف والاستغلال .

5 ـ ان تطور هذا الشعر وارتباطه العضوي بتراث الامة الحي لهو الرفض لسببيات الحاضر وتقليده وما يرتبط به من عادات طفيلية ليست من مكونات الحضارة العربية انها من بقايا التخلف وآثار التبعية الاجنبية انه تشكيك وفضح لدعاة التقدم البطيء وبناة الحواجز .

وما التصعيد في بناء الشعر الحديث الا مطلبا نضاليا لتخليص الثقافة والذهنية من سلطة المتاجرة والتخلف والنفعية .

ان هذه العناصر من ضمن عوامل ودوافع ظهور شعر التفعيلة في شكله المطور والذي يتهم ظلما بالغموض ، وما الغموض الا احدى دلائل الحياة والفعالية في الشعر ، وليست السهولة المتبعة الا قتلا للخلق والمواهب وردم مناطق الوعي الجديدة في الانسان العربي ، وقصيدة التفعيلة أخيرا ـ بابداعها ـ تحاول اثبات الوجه الاصيل لهذا القطر بعد ان عملت كل القوى الغازية وما زالت تعمل على تشويهه واخضاعه بالامر الواقع للحضارات الغازية .

والملاحظ ان مجموعة هؤلاء الشعراء حديثة ولكن ما كتبته على قلته يقوم دليلا على الاصالة والوعي واكتشاف الذات لحضارة اللغة والشعر والثقافة الجديدة ، يكفي هذا الجيل انه ارهاص لبدايات القصيد الحديث ، والى ان تعود الوفود المهاجرة الى الثقافات الدخيلة وتنكفىء على الذات والى ان تأخذ الثقافة الوطنية واللغة الدور والمكان الطبيعي ، عندها يبدأ الشعر التونسي الحديث ولن ينسى مقوماته ودوره .

غير العمودي والحر ـ بعد انحساره (البداية والنهاية) :

هناك اتجاه شعري آخر أود الوقوف عنده خاصة وان ما دبج فيه من مقالات وقصائد تبشيرية ، وما طبع منه في الصحف يفوق اي اتجاه آخر انه « غير العمودي الحر » واحد نتائج التعليم والغزو الثقافي في الستينات وقد بدأ هذا اللون في أواخر الستينات وأوائل السبعينات وهي الفترة الكافية لاتمام المرحلة الثانوية ، وأنا أعزو لثقافة هذه الفترة مردود هذا الشعر ، فهو صدى

شرعيا لحقبة حساسة تميزت بانغلاق عن المشرق العربي ، تراجع في التعريب وفرض اللغة الفرنسية من الاولى ابتدائي ، واستيراد جميع وسائل الثقافة من المدرسة الى المنزل الى السنما ، وتشويه التعريب باعتباره تخلفا ، وسلفية قاتلة وتعصب أعمى ، وان الحضارة والتقدم والازدهار المطلوب يتمثل في فتح المجال أمام اللغة الفرنسية وتسييدها .

ثم جاء في فترة انغلاقنا عن تجارب المشرق وايهامنا باننا مكتملون ، ومتقدمون كثيرا وان لنا شخصية تتميز عن العرب جميعا بالتطور والانفتاح الحضارى ، والاستفادة المبكرة ، اننا باختصار متفوقون في كل شيء حتى قلنا ان العرب من حولنا ما زالوا في جاهليتهم يترقبون نبيا جديدا ولا يمكن ان نتناسى فترة التعاضد والتشويه الاشتراكي وفصله عن القومية والحرية ، ان أى بناء اشتراكي يطبق في النواحي الاقتصادية فقط سوف يفشل كما فشلت تلك التجربة ، فالاشتراكية منهج حياة » والخطورة الاولى ليست تطبيق النظام الاشتراكي ، وانما في ادراك النظرة الاشتراكية » وفهم المقومات التاريخية التي تسير المجتمع ، فالاشتراكية ليست نظريات ولا مجموعة من القوانين تطبق انها في حاجة الى جهاز مؤمن بها في حاجة الى بلد حر في اختياراته السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية في حاجة ان تطبق في مجتمعها العربي الواسع فكيف تطبق الاشتراكية في ظل الاقطاع او الرأسمالية ، والاستعمار الثقافي والاقتصادي والتبعية السياسية ، في هذا التداخل والخلط نشأ شعر «غير العمودي والحر» وسط ضبابية سياسية وفكرية واجتماعية وثقافية ، وتعطيل القوى الذاتية والشخصية العربية ولقى اصحابه من التشجيع ما جعلهم يعزفون عن أى موقف جدى او ادراك حقيقي لمفهوم العمل الادبي والشعرى ، وجدوا انفسهم فجأة واغلبهم لم يتجاوز المرحلة الثانوية ، وافضلهم طلاب في قسم اللغة العربية بالجامعة ـ فجأة صاروا شعراء مرموقين بل مجددين فاتحين ، وشعرهم لم يأت به العرب قديمهم وحديثهم ، «غير العمودي والحر» مكسب وطني وشعبي ، انه دليل على الانتماء الى حضارة قرطاجنية بربرية اعرق من العربية وعلامة على الخط الصحيح . وبدأت طواقم النقاد وبعض أساتذة الجامعة وراء المشروع الضخم وما زال بعضهم على ما أظن ينوه بها ويتأسف على زوالها ووقفت «مجلة الفكر» بكل ثقلها وصفحاتها تطرى
ينوه بها ويتأسف على زوالها ووقفت «مجلة الفكر»(*) بكل ثقلها وصفحاتها تطرى

(*) درجت « الفكر » منذ ان تأسست على تشجيع كل ما يظهر في الساحة الادبية التونسية من محاولات تظهر جادة وهي نشرت القصيدة العمودية

وتبارك هذا الاتجاه الذى جاء يعبر عن اصالة وجدية الوضع القائم ، ويعبر عن التواصل الابداعى من ابن خلدون وحتى اغصطين الى الشابى مرورا بكل المبدعين المحسوبين على هذه الرقعة وانها ادراك النظرة الاشتراكية وان كان انتماؤهم فى ذلك الوقت الى حدود اوسع وأمة أكبر وحضارة أكثر اصالة ، ماذا نطلب من شاعر بدأ بنشر المحاولة الاولى وقوبلت بالتصفيق والتمجيد ، ماذا نترقب من طلاب ما زالت انشاءاتهم افضل بكثير من اشعارهم اعتبارا ان وراء الانشاء استاذا له من الخبرة والرصيد ما يؤهله للحكم على الاشياء وتأثر اصحاب الاتجاه بالتجارب والتراجم الغربية ـ ويقول مردودهم الشعرى ـ انهم لم يهضموا التراث ولا المعاصرة فوقعوا فرائس للتقليد والترجمة والشكلية ، والنشاز .

وغرر بهم وهم الاصالة والشعبية الى مزج العربية بالعامية كأعظم اكتشاف فنى ، بل وانقطع البعض منهم عن العربية الى لغة الشعب العامية ، هكذا يتوهم المبدعون ، أنا لا أعارض الكتابة العامية ، ولكنها لن تكون بديلا عن لغة الحضارة والعلم والتراث ، حتى ولو خدعنا المبشرون والمستشرقون بأن الاتجاه الى لغة الشارع اسلم وأكثر قربا من قلوب الجماهير الكادحة ولن تكون لغة الجماهير الكادحة غير العربية [لن يتكلم هذا الشعب بغير اللغة العربية يا أمراء الغزو فموتوا ـ سيكون خرابا ـ هذى الامة لا بد لها ان تتعلم درسا فى التخريب] (1) .

ومما عمق فى فهمهم هذا الاتجاه ما تمخضت عليه الهزيمة العربية فى 67 ـ واعتبروا الهزيمة انهاء للحضارة واللغة وتكريسا للاقليمية واللهجات او الاستعاضة عنها باحدى اللغات الكبرى .

ولم تدرس ظاهرة الفشل المتكرر فى مواجهة اسرائيل ، ان القصور لا يكمن فى اللغة ولا فى الثقافة انه قصور فردى وتشويه قومى على مستوى الطرح والاستيعاب والتطبيق البدائى والعشوائية ان حركة القومية العربية وامجادها لم تهزم لانها لم تطرح بعلمية معاصرة ، ولم تصل الى اذهان الشعب ، والذى هزم العرب وما زال يهزمهم هو الفردية والفوقية والشعارات الفارغة عوض البناء الحقيقى وتحميل الجماهير الشعبية عبئا ودورا فى البناء والقرار والمواجهة

والشعر الحر وانواع أخرى من الكتابة والتعبير . ولقد عبر مدير المجلة ورئيس تحريرها فى مناسبات عديدة عن موقفهما من هذا الشعر وكل ما يقال تجوزا فهو مخالف للواقع والحقيقة (الفكر)

(1) مظفر النواب .

جاءت قصائد « غير العمودى الحر » مزيجا من الثقافات والاديولوجيات فكانت خير تعبير عن سطحية تلك الحقبة من تاريخنا ، وكانت نتاجا للثقافة والتعليم والتعاضد وتكريس الاقليمية والمسخ والانفتاح وبروز الطبقات الطفيلية ، كانت القصائد خير تعبير عن تلك لتلك الفترة المتأزمة والسلبيات الكثيرة ، وابلغ رد عن المروجين والادعياء وليس غريبا ان يصاحب هذه التجربة الادبية التراجع عن مشروع التعريب وحذف الشعبة التجريبية المعربة ، ولا الممارسة الاشتراكية الخاطئة ولا الانغلاق عن المشرق ولا الانفتاح عن فرنسا والذى ما زال متواصلا ومتصاعدا يكفى ان نشير الى ما قاله الاستاذ قريسة ان الخطوة المباركة والمحتشمة فى التعريب الآن صاحبها الاعداد لمشروع فتح قناة تلفزية تبث مباشرة من فرنسا حرمنا حتى من الاختيار لبعض البرامج ، اننا سنصير بفضل الله ولاية تابعة (1) .

والآن وبعد ان تراجع رواد الحركة وطواقم نقادها واجمعوا على ادانتها فى نقدهم الذاتى تبقى تجربتهم ملكا للتاريخ والاجيال ، ولا نغالى فى التنديد لان اصحابها ــ وهذا حق ــ لم يكن الكثير منهم يعى الملابسات الكثيرة التى كانت تستغلهم وتحركهم وحين وجدوا انفسهم يبادق لما يدعى بالتونسة والاصالة والتفتح تراجعوا فلهم فضيلة الموقف وان جاء متأخرا .

قصيدة النثر (بين الحلم والممكن) :

ثم جاءت قصيدة النثر ــ وان كان « غير العمودى الحر » جزءا مشوها من قصيدة النثر ، وقصيدة النثر تمد جذورها فى النثر الفنى ومن محاولات مجلة شعر البيروتية ومن كل الكتابات فى الوطن العربى خاصة منها مجلة الكلمة التى ظهرت فى أواخر الستينات واوائل السبعينات وكانت صوت الطليعة الادبية فى العراق ، وقصيدة النثر هى الافراز الواعى للثقافة العربية وتلتقى مع شعر التفعيلة فى تحطيم وحدة البيت وبلورة الصياغة وتفجير العبارة واعادة بناء الجملة الشعرية ، واصحاب هذا الاتجاه يعدونها تطويرا حيا للقصيدة العربية ، يقول فائز خضور من شعراء التفعيلة وأحد المجددين صراعنا الآن هو الوصول الى تحرير التفعيلة الواحدة ومحاولة التحرر منها ، دون ان نفقد الصياغة موسيقاها ،

(1) الصباح يوم 15 / 6 / 78 .

وتنمو نحو قصيدة النثر التى لم تخضع للتطور الجمالى المطلوب بالنسبة للشعر العربى ، ولهذا تبدو قصيدة النثر ـ بالرغم من وجود القلائل الذين يحسنون كتابتها ـ مبتورة الاصول مفتقرة حتى الى المرتكزات اللغوية الهامة فى النثر والشعر والغناء (1) ، واذا توخيت الموضوعية والصدق فان شعراء قصيدة النثر المبشرين قلة لا يتجاوزون الخمسة وقد أعود الى الحوار مع قصائدهم ـ فى غير هذا الموضع ... ـ ويواصل فائز خضور شرح دعوته « اننا لم نترك التفعيلة لكن علائقنا الوجودية معها اصبحت مختلفة ، اذ لم يعد يرصدنا قالب التفعيلة ولا نوعها الوزنى ، لاننا احتويناها فصارت تابعة ... (2) .

فهل نقول ان الشعر الحديث بعد ان حل تناقضه مع العمودى بدأت اشكاله الجديدة تتصارع ؟

وتبقى مشكلة الشعر الحديث بكل اتجاهاته واشكاله تستهدف توترها من قضايا المجتمع ومشاكل التخلف فى الامة العربية والتبعية ، والاستغلال ، والتجزئة ، ان التحديات الموجهة للشعر تقع ضمن التحديات المطروحة على الثقافة العربية والوجود القومى فلن يتوفر المناخ الثقافى الصحى والنقد المنهجى ، والتجاوز وحركات الابداع ما دامت الشخصية العربية فى الميزان والمزاد ومرحلة الشك .

(1) فائز خضور ـ مقدمة امطار فى خريف المدينة .
(2) المصدر ، ص 9 .

الحسّ القوميّ في الشعر التونسي الحديث

بقلم: احميده الصولي

الشعر .. هذا العالم الذى تسبح فى أرجائه طموحات أمم وآمال ومآس عدة تغربلها ثقوب الحس الرهيف اللامتناهية الدقة .. الشعر .. هذه التناغمات الحديدية والموسيقية .. والتفاعلات الوجدانية والشطحات الخيالية احيانا تحول الى مرآة تعكس روح العصر بما تنطوى عليه من تشنجات ورفض وايمان وتدليل على مكامن الخطر فى مسيرة المجتمعات .

واذا كان « الفنان يبذل اقصى جهد ليجد ثانية ويلتقط .. ويعبر ويمثل فى اثره الفنى كل عناصر الغنى التى بلغها الانسان فعلا فى فترة زمنية معينة من فترات التاريخ .. وهو يبذل جهده ليدخل فى الاثر الفنى ادوات الحياة وتجسداتها الخارجية .. ومظاهرها » على حد قول ماركس فان الشعر بالاضافة الى ذلك مؤهل اكثر من غيره للتنبؤ بما ينتظر البشرية من مصير .. وما يتربص بها من اخطار .. وما يحيطها من اوجاع وهموم .. فاضحا لاسبابها ومشيرا الى تناقضاتها .

ولكى يبرهن الشاعر عن مدى استيعابه الواعى لما يتحرك حوله .. وما تحبل به تحولات العصر من آلام وضحايا .. وبما تحمله الكلمات من أمل وألم .. فانه – وعبر قصائده – يحدد موقفه من كل ذلك سلبا او ايجابيا .. معبرا بذلك عن طموحات الجماهير المسحوقة التى تتقاذف نحو الاصداء مستبشرة دون أن تدرك حقيقة ما يجرى .. بذلك يتجاوز الشاعر أنانيته .. وهمومه وعواطفه التى هى جزء من هموم القوم وعواطفهم .. وبحكم التصاقه والتحامه بالجماهير .. ونتيجة لوعيه العميق بتوجهات وتفاعلات المجموعة التى يعاصرها .. فى حالة تعفن الاوضاع .. عليه ان يأخذ مقود الجماهير زاحفا بها لتغيير ما رث من التقاليد والعقليات .

وإذ كنت لا أجارى هنرى باربوس فى « ان الاسفار لا تجعلنا نكبر » فانى أقر معه بن كثيرا منها كان عائقا لتطور الانسانية بما صدىء داخلها من افكار حجرية .. ونظريات لا تجد طريقها للتطبيق .

وبديهى ان يأخذ الشعر منعرجات خطيرة فى الحياة عموما .. فالثورات التى يعج بها العالم ليست خفية على أحد .. كما ان الثقافات التى يستوردها البشر من بعضهم البعض فيها الكثير من عناصر التغذية والتطعيم والدعوة الى التجاوز وقلب المفاهيم .. والمتلقى المتعطش الى الاسمى والى الجديد لا يدع فرصة تمضى دون أن يجرب الرفض حتى مع الرافضين انفسهم .. بحثا عن القيم الخالدة .. وعن مصير يكفل سعادة الانسان .

وكانت الواقعية الثورية :

من هذا المفهوم انبعث اتجاه الواقعية الثورية فى الفن الذى انضوت تحت لوائه مدارس عدة كانت امريكا اللاتينية وكثيرا من بلدان آسيا وافريقيا مسرحا لها وفقا للخصائص الاجتماعية والمرحلة التاريخية التى يمر بها كل بلد منها .. ورغم تعدد مدارس هذا الاتجاه فانها تلتقى جميعا فى الجوهر النقدى الثورى الذى يناضل فى سبيل ثقافة جماهيرية ديمقراطية تحررية علمية .. ويرتبط ارتباطا وثيقا بقضية الانسان والشعب والثورة ويلعب دورا طليعيا فى مجال الصراع الثقافى الذى لا مفر له من السير جنبا الى جنب مع الصراع بالبندقية والتنظيم والعمل السياسى .

وقد طرحت الواقعية الثورية سؤالا مفاده : ما هو المطلوب من الفنان سواء كان أديبا أو شاعرا أو رساما أو نحاتا أو موسيقيا حتى يصبح فنانا واقعيا ثوريا ؟

وجاء الجواب ملخصا فى خمس نقط هى التالية :

1) ضرورة الالتزام بقضية الثورة والشعب عمليا كمواطن وفنيا من خلال عمله الفنى .

2) ضرورة العيش مع الجماهير والثوار ومشاركتهم نضالاتهم وامالهم وآلامهم ومختلف تجاربهم ليصبح بالامكان الاغتراف من ينبوع الالهام الحقيقى لانتاج روائع فنية وأصيلة .

3) ضرورة خلق اعمال فنية تمس شغاف قلوب الشعب وتزيد من وعي الجماهير وقدراتها النضالية والتنظيم ومتابعة الثورة مهما بلغت الصعوبات وتأزمت الاوضاع وازدادت شراسة الاعداء .

4) ضرورة ادراك الدور القيادى الذى يلعبه الفنان من خلال فنه في مجال الثقافة الثورية مع الوعى العميق بعظم المسؤولية التى تفرضها هذه القيادة سواء من ناحية المسؤولية أمام الشعب أو من ناحية المسؤولية الفنية والثورية .. ولكن .. لكى يستطيع الفنان الثورى .. الاديب .. الشاعر .. النحات .. المغنى الخ .. ان يقوم بمهام هذه القيادة عليه ان يصبح تلميذا للشعب يتعلم منه قبل ان يصبح قائدا له .

5) ضرورة تطوير موهبته الفنية واغنائها بالدراسة والاطلاع والمران .. من أجل انتاج روائع فنية حقيقية لا تمتاز بصحة ما تقوله فحسب .. وانما بديناميكية وتماسك المحتوى والشكل فيها ايضا .

وقد نفذ الشعراء مختلف هذه البنود بكل اخلاص

الشعر .. واسباب التطور

الشعر العربى في تونس لم يحاول التخلص من تبعية الماضى .. ولا التخاطب مع الجماهير الا باحتشام .. فمنذ الشابى وجيله .. كان الشعر محدود الانتشار وهى أكبر مؤامرة على الفكر تحت اعذار واهية واشاعات كاذبة يطلقها محاربو الوعى فى الانسان العربى .

ولئن كان جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية قد تأثر بالجراح وبهول قنبلة هيروشيما .. فاصبح يخفى همومه عبر تلاعب الكلمات ودسامة الالفاظ محاولا وضع الكلمة فى حالة تستطيع ان تعدد مفاهيمها للتخلص من المسؤولية السياسية أمام أشكال الاستعمار وممارساته الارهابية على امتداد الوطن العربى وفى العالم كله .. فان جيل الخمسينات استطاع الانفلات من الروتين بايجاد مدارس فنية مجددة على المستويين شكلا ومضمونا وحاول افراز لغة اكثر قابلية لابلاغ المواقف والتعبير عن الرغبات المكبوتة ردحا من الزمن .

وليس غريبا ذلك « فالمواقف السياسية بدأت اذذاك تأخذ شكلا حادا بفعل ضغط الشعوب .. ووقف اغلبها وقفة حازمة مطالبين بالتحرر من التبعيات الاقتصادية وفرض سيطرتها على كل ممتلكاتها ان سلما او اغتصابا وانتزاعا..

وكان من تأثير هذا الجو ان انعكست روحه على الفن عامة وعلى الشعر بصورة خاصة .. فكانت مساهمتهما ذات بال رغم تخاذل العديد من الادباء والفنانين .. فصار مجمله محاولة لعبور جسر يصل الكلاسيك بالجديد فتحول نفس المحاولين الى المادة التي يتكون منها الجسر .. فاذا المحاولات كلها تخضع للضبابية المضطربة والقناع الداكن احيانا .

وتلت ذلك فترة الستينات التي كان جيلها خلاصة الثورات المنتشرة في العالم المتأمل المتأثر بكل مايدور في فلك الكون الرحب بحكم تطور وسائل الاعلام والتكنولوجيا .. وانتشار التعليم والتجمعات السكنية وما الى ذلك من وسائل الاخبار والدراسة والتأثير . فاذا هو يتمرد على الاشكال وعلى اللغة وعلى الافكار الجاهزة .. ونشأ عن ذلك انفصام في العلاقة التاريخية للادب والفن عموما .. وتفاوت وعى هذا الجيل تجسم في محاولاته الفردية المقلدة للدادئية والسريالية وغيرهما .. ونجم عن ذلك صدام بين القدامى والمحدثين « المقلدين » حول مفهوم التجديد .. الا ان احدا لم يستطع اقناع الآخر بجدوى « فعله » ورؤيته وحقيقة تجربته .. لان من شروط الالتزام بقضية ما يجب الصدق والاخلاص لا التزلف والتمسح بها .

وفي تلك الفترة كثر الخلط بين الشعر والكلام .. بين الفن والعبث .. بين الوعي واللاوعي .. وتولدت عن ذلك تجارب يناضل اصحابها ويدافعون عن اتجاهات غير واضحة حتى لديهم .. متجاهلين بان « ثمة فرقا بين اللغة الادبية المؤلفة من الاشارات واللغة العادية المؤلفة من الدلالات » يقول جيرودو :

وبما « ان عدم تنضيج التجربة يدفع الى ضياعها وتلا شيها والخروج منها بغبار السفر فقط » فان تجارب هذه الفترة كلها باءت بالفشل للسبب المذكور واسباب أخرى . ولم تبق منها الا انقاضها التي تنعى اصحابها .. واحتار هؤلاء بين الردة والاستمرار لكن انعدام النضج كان له دور في تحريج كلا الموقفين.. فابتعلتهم الحيرة وسقطوا تحت عجلات الزمن والتاريخ ولم يبق الا من تمرد على اسطورة المظهر .. ورفض المساحيق المستوردة .. وتشبث بأصول واقعه.. ومرحلية تطوره .

وبما ان نكسة الخامس من حزيران ادخلت الشعر في فلك النكسة وحتمت على العربي ـ من المحيط الى الخليج ـ النقد الذاتي ومراجعة المواقف والانظمة والعلاقات على المستوى العربي .. فقد زادته وعيا واعتمادا على امكاناته وادراكا للمخاطر التي تحدق به والفناء الذي يهدده بسبب الانقسامات وتضارب

المصالح بين هذه الرقعة وتلك في الوطن الكبير .. وزادت النكسة الشعب الفلسطيني تشبثا بمبدإ الاعتماد على النفس والقوى الذاتية ايمانا منه بانها وحدها القادرة على التصدى للمؤامرات الصهيونية والرجعية العربية على حد سواء .. وقد برز بعض ذلك الاعداد في سبتمبر الاسود وفي الحرب الصليبية الطائفية في لبنان المدعمة بازلام الامبريالية الامريكية وغيرها .

السبعينات وولادة الوعى الآخر :

هذه الاحداث .. وما شاكلها افرزت جيلا يتسم بل يمتاز بالصدق فيما يقول عن وعى .. ملتزما بمبادىء الواقعية الثورية متخذا من الفكر والممارسة كفتي ميزان محللا لكل التناقضات التي وقع فيها السلف مع بداية فترة جديدة .

يمكن ان احدد الاطار الزمنى لهذه الفترة الشعرية منذ بداية السبعينات فقد برز جيل واعد يؤمن « بالفعل » و « ضرورة التطور » واتخذ لنفسه مناهج وأساليب يختلف في رسمها العديد منهم . الا انهم جميعا يتحدون موقفا وفكرا ورؤية وطموحا .. ولا يمكن ان نمر دون الاشارة الى ان من بين هؤلاء من كان مع التجارب المنتهية لكنه لم ينته .. فارا بنفسه .. منضما الى الاحياء لتأصل الحياة في فكره .

بعض ملامح هذه الفترة ما زالت بين التخلى والامتداد تعصف بها تطورات العصر ومخلفات الماضى ومتطلبات الثورة .. وامكانات الشعب وعوامل اخرى .. فلا هي اوجدت لنفسها لغة تخصها .. ولا هي التقت عناصرها بواسطة الحوار لرسم معالم الطريق الموصلة الى الهدف .. لكن رغم القطيعة المفجعة بين متساكنيها .. فانهم يلتقون حول نفس المبادىء .. وعلى العموم فرؤيتهم للواقع تكاد تكون واحدة .. او على الاصح تشكل مع بعضها وحدة متكاملة لتمثل الواقع المعاش .. تصويرا ونقدا .. وتوجيها .. فكانت روح السخط هي الجو المخيم على انتاجهم رغم المسحة التفاؤلية والمستقبلية التي تصادفك هنا وهناك .. والثقة بالنفس .. والتلويح الى صنع حياة أكثر سعادة وتماسكا للانسان العربي اينما كان .

ورغم حواجز النشر التي لا تعد .. والتي تقف في وجه الكثير منهم .. فان الانتاج غزير كأروع اشكال التحدى للعراقيل وعدم الاستسلام امامها . زد على ذلك فالتجربة في تطور .. واغلبهم لم يقل بعد كلمته .. لذلك . ولكى نكون موضوعيين فانه علينا ان لا نحدد منهم أى موقف نهائى .

ويمكن ان نلاحظ وجود السلبية الفنية فى تركيب العمل الادبى عند بعضهم الا ان الوعى السياسى والاجتماعى يشكل الجانب الايجابى المهم فى انتاجهم .. ورغم ما يعترض القارىء من غموض هنا وهناك فبالتأمل يصل الى استبطان المضمون من خلال شفافية الكلمة الجديدة .. والعلاقات الجديدة التى يحاول خلقها بين الكلمات والجمل .

الشعر .. تعريفا للمرحلة :

وبناء على ما استعرضنا هل بامكاننا ان نعرف الشعر تعريفا يتماشى والمرحلة الراهنة .. والمهمات المناطة بعهدته ؟

فما هو الشعر اذن : ؟

ـ انه رصيد الافكار والمواقف المتكاملة التى تحدد انتماء الشاعر وهويته الحقيقية وتعامله مع الكون كمجموعة من العلاقات المتناقضة فى اطار فنى أصيل وبلغة موحية شفافة يحدوها الصدق ورائدها التطور المستمر .

ـ هو العنف الواعى والتغلغل المباشر فى اوبئة العصر لتفجيرها .. وهو المجهر الذى من خلاله نستشف حقائق الكون .

ـ هو التمرد على نظام الموروثات البائدة والتشبث بمقومات الاصالة والتعطش الى سعادة الانسان .. وهو المؤشر والمستقطب لتناقضات العصور وتحركات الاجيال .

ـ هو الثورة العارمة فى الداخل والخارج مكتسحة محظورات الاشياء .. ممزقة لتقلصات الاوضاع وتضييقاتها .. وهازئة بنياشين الكبت وعلامات الوقوف راسمة فى ذات اللحظة نقط استفهام على كل الوجوه وفى كل الواجهات .

ـ هو الوفاء للضمير وللجماهير والتحدى لليأس .. والرفض للاستسلام.. والكفر بالغوغائية الجوفاء .. والصمود فى وجه التيارات الجارفة .. والقدرة على فرز الظلمات المتطفلة من الليل الاصلى .

ـ هو القلق المتستر فى اطار شفاف من الكلمات ذات المدلولات المحدودة والواسعة المعنى أيضا من الهياكل الكارتونية التى تحرسها طوابير الممسوخين واشباه الفيلة .

ـ وهو ـ فى ذهن الانظمة والعلاقات المتخلخلة ـ المازق الخطر الذى لا يقع فيه الا اسراب « المعتوهين » لكنى أؤكد أن الشعر هو خلاصة قانون التطور والوعى .. وعلامات الطموح .. وصبح الثورات .

الثابت هو العروبة .. وما سواها متغير :

هكذا نفهم الشعر ونتعامل معه .. وهكذا نعيشه ونحس به .. وهكذا ايضا نستخدمه فى كل تحركاتنا فكرا وممارسة .. غير ان ثمة شيئا لا بد من الاشارة اليه هو ان جميع مميزات الانسان العربى فى تونس قد شمل التغيير جزءا منها اذا لم تتغير كلها .. لكن شيئا واحدا بقى كما هو .. ولربما زاد رسوخا ووضوحا وعزا كاعنف رد فعل على المحاولات العديدة التى توالت متآمرة على طمسه فيه .. او فصله عنه .. ذلك الشيء الوحيد هو **عروبته** .. الانسان العربى فى تونس لم يفرط لحظة واحدة فى جذوره وتربته.. لان **التفريط** فى ذلك يعنى الاجتثاث فالانبتات .. من أجل ذلك **تصدى** للمؤامرات الداخلية والخارجية .. رفض التجنيس ومختلف **اشكال الفرنسة**.. اعرض صامتا على كل الدعوات **الاقليمية** وغوغائية الذاتية **الخاصة** .. قاوم كل اشكال المسخ التى فرضت عليه فى وقت ما .. وما يزال بالمرصاد لكل التحديات التى تصدر عن لقطاء الحضارة .. وسقاطة الشعوب المستبدة .

وطبيعى ان يتميز فكره بهذه الميزة الاصيلة .. وان تكون **موضوع** ألوان فنونه .. بل هى جلية وواضحة فى تعامل الفرد مع **اخوته فى الداخل** والخارج على امتداد الساحة العربية وفى تفاعله المستمر والعميق مع الثورة الفلسطينية وقد عاش من قبل اطوار الثورة الجزائرية موقفا وممارسة .. وهو على استعداد ايضا لمواجهة اشرس اعداء الانسانية وطرد اشباح الاستغلال والامتصاص التى يمثلونها .

كما ان لهذا المجتمع طموحات واهدافا مصيرية يشترك فيها مع اشقائه فى مختلف ارجاء الوطن الكبير..والشعراء منأهم مستوعبى هذه الطموحاتلتحو بلها الى نبض يخفق عبر قصائدهم .. كطريقة من طرق النضال التى يعتمدها هذا المجتمع .. فهو تارة يدعو الى الالتزام للعروبة فى كل ما يأتيه :

كن عربيا فيما تقرأ
كن عربيا فيما تكتب
(المختار اللغمانى)

وطورا يحتج ويفضح مختلف الممارسات المشبوهة التى يجنى نتائجها الانسان العربى :

عربى هذا الوطن المعروض بأسواق القمح الامريكية

عربى هذا المصلوب بساحات التمزيق اللبنانية

عربى هذا المشنوق بحبل ضفرته الايدى المصريه

لقد كان الشاعر العربى فى تونس مطلعا ومستوعبا لكل التطورات التى تحدث على الساحة العربية .. فهو يعيش بأحاسيسه وتفاعلاته مع الاحداث المتواجدة على تلك الساحة لان ما يحدث عليها لا يخص مجموعة من البشر دون أخرى .

من المحيط الى الخليج العربى يعانى الانسان العربى من نفس الادواء .. فتحفر فى القلوب نفس الجراح : التجزئة .. القطيعة .. تضارب المصالح .. واشكال الاستلاب وغير ذلك من ضروب التخلف واللاوعى المفروض عليه . الا ان الشاعر الذى هو ضمير المجموعة يدرك اثقال المعاناة .. ويتحسس من خلال الظلام نور الصباح .. وهو لذلك لا يعرف اليأس :

وقد تعجبين ويحلو الحديث

اذا ما ذكرت عذابى

لك الله كيف تلذ حياتى ويحلو شرابى

اذا انا لم اعتصر من شقائى رحيقا

ينور لى فى الظلام الطريقا

(السجن داخل الكلمات ص 26 — محيى الدين خريف)

وها هو يقفز محطما كل مخلفات عصور الانحطاط .. متجاوزا ما سمى بعلامات فصل الاعضاء بعضها عن البعض الآخر فاذا هو كبقية العرب من مائها ومن طينها وهم أهله وعشيرته :

بلاد العرب اجدادى

واعمامى .. واخوالى .. واحفادى

انا سويت من ارضك
من ماء ومن طين

(الليل والطريق ص 55 ــ الميداني بن صالح)

تأكيدا لامتزاج الدم والفكر بالمصير .. واعترافا بوحدة الحضارة والهدف والتاريخ .. واستشرافا لآت سلاحه الوعى .. واداته الصدق .. وتأكيدا أيضا على أن كل فصل لجزء عن الآخر يهدد جسدنا بالفناء :

فاذا الخليج بلا محيط كاللقيط
وكاللقيط هو الخليج بلا محيط

(الصادق شرف ــ بلادى الثقافية مارس 78)

حين يلتحم المحيط بالخليج العربى بواسطة الارض العربية يبقى أمامنا ان نعلم الاجيال شرف النضال من اجل المثل العليا واستحضار التراث للاتعاظ به عن سلبيات الآتى ولتفاديها بالقضاء على اسبابها :

اصدرى تعر
علم اطفال المدينة
سيرة « أبى ذر »
وتواريخ «الحلاج » الحزينة

(البحر فى كأس ص 89 ــ محمد أحمد القابسى)

لكن الساحة العربية ــ الآن ــ ما زالت لم تبلغ تلك المرحلة .. مرحلة الالتحام .. هى الآن فى اجزاء منها على وشك ان تفتح ذراعيها لاحتضان المستغلين المتصين دماءها وخيراتها .. وكمثال على ذلك ما يجرى فى المشرق العربى .. الا ان الانسان العربى لا يقبل ذلك ولو دخل فى صدام داخلى وخارجى فى نفس الوقت :

فقولى لهم : نحن خلف المتاريس نكتب للقادمين وصيه
وتلك خنادقنا فى جبال الترقب تلك عروق الرحم
سينفجر اللغم قبل الأوان

(سويلمى بو جمعة ــ الفكر افريل 1978)

الشاعر بركان الامل .. ووجدان الامة .. من هول ما ألم بالوطـن العربـي في عموم اجزائه كاد أن ييأس .. كاد أن يكفر بالحياة :

الى أين تمضى
وفى كل أرض
شتاء مقيت .. ليال رهيبه

(العطر والرصاص ص 44 ـ الهادى عبد الملك)

الا ان ذلك لم يكن غير هاجس ما ظهر الا ليختفى .. فاذا الشاعر الانسان العربى كأشد ما يكون عنيفا ورهيبا .. واذا الموت لا شيء .. واذا الاحـزان عصافير فضية تحدث فى النفس اهتزازة فتستحيل الى يقظة :

واصحو على صيحة للمتنى
وآخر من قد احبوك يا وطنى
قدم الآن رأسه مهرا

(عبد الحميد خريف ـ الدوحة ص 66 ديسمبر 1976)

الارض العربية .. لم يمسك القاهرون عن اهدار الدماء على ثراها .. والانسان العربى ما فكر ان يشح بهذه الدماء التى ستسقى شجرة الحرية .. والشـرف العربى .. كل ذلك وسماسرة الغرب ما يزالون يقدمون العروض المغريـة .. واعوانهم يفتكون بالرقاب .. ولنا فى لبنان اكبر شاهد على هذا .. ولكن هل توقف الامر فى لبنان ؟

من ذا يصيخ لمنطق الازهار
فوق رفوفها الثكلى
ومن يبكى اذا سمع الدعاء ؟
يا طائرا ..
ارجع الى البحر الذى
فرت اليه نوارس الغدران
من عفن الدماء !

(على اللواتى ـ الرأى عدد 17)

عوامل الاستمرار :

آمن الانسان العربي ان الاسس الحقيقية لبناء المجتمعات تتلخص فى ثلاث نقط بادىء الامر :

1) وعي الجماهيـر

2) حرية التعبير والمعتقد والانتماء

3) تنقية الجهاز السياسي من المتآمرين عـلى مصالـح الشعب العـربى ان وجـدوا .

لان الهياكل التى تبنى وجودها على تكميم الافواه وتحديد منـاطق تحـرك الفكر والجسم والطموح هي بالضرورة تصنع المـواد السـامة وتتناولهـا .. فالاعتماد على جماهير تخدع ببريق المظهـر .. كالاعتمـاد على سيـاج خشبى تسرب اليه السوس .. ان التـاريخ يخبـرنـا عن الدكتاتوريـات التى سقطت الواحدة بعد الاخرى .. فمدتها لم تتجاوز عمر من اوجدوها .. ولم يبق الا حكم المجموعة .

والانسان العربى اليوم يهـزأ بالممـارسات المشبوهـة .. ويعتبـر ذلـك خيانة فى حق الانسان يحتج ويصرخ كمرحلة تليها مراحل فاذا التهـم بـلا حصـر .

وها جاءك الطلق فانتبذى ـ الآن ـ منهم مكانا قصيا
ومدى يديك لريح البحار
واذكرى انهم ضيعونى صغيرا
واذكرى انهم حملونى كبيرا دماءهم المستباحه
ولكن ستنسلخ الارض من جلدها واخضب ايتها
النفساء يديك
اكحل عينيك .. امسح بالزيت جبهتك البارده
هو عصر جديد تدق سنابكه الارض

(المنصف الوهايبى ـ الاقلام ـ شهر ماى 1977)

تتجسد على ارض الواقع فى عالم الحس العميق بين جدران الانفس الشكلي التى تنعى وجودا اخرس يتقاسمه التجار فى سـوق النخـاسة .. تتجسـد

الغربة فى كل حركة وفى كل ايماءة .. الضياع القاتل كارثة على احساس الانسان .. لان بناء الانسان من اهم مهام الانظمة اذا ارادت ان يبقى سبب رئيسى لبقائها .. اما ان تحدث انفصاما بين جسمه وروحه .. بين فكره وواقعه فذلك من أشد الويلات عليها وعليه .

نجوع ونعرى
ولكننا فى المنافى
نغنيك يا حلوة الوجه
نحلم بالحب فيك
ونكتب عنك مواويل عشق
وشعرا

(قراءة الاسفار المحترقة ـ محمد الخالدى)

ان المثقف العربى لا يمكن ـ وقد آمن بذلك ـ ان يقف فى حدود الاستنكار والاحتجاج فعليه أولا أن يدخل فى صراع مع المتناقضات وتهيئة العقلية واعدادها لطرح البديل .. فهو يدرك جيدا ان الكلمة موقف .. لانه يؤمن ان لا فاصل بين القول والعمل .. لذلك كان لزاما عليه أن يبدأ بتشريح العلاقات .. والوظائف وجزاء الطموح المنتظر :

افر اليك من الاحباب
فيلقانى الحرس طوابير سلام ونباح
يتولون العد البرقى
بايد اذكرها تتعقب رأسى
والطلق يفيض على عثراتى

مولاتى :
هل تكفى ذاتى ؟
جاوزت حدود العبد
فكلفنى المعبود حياتى

(على دب ـ الرأى عدد 4)

والجيل الشعرى الجديد يستخدم كل امكاناته للتعبير عن الداء الدفين فى اعماقه يقترح مختلف الحلول التى يعتقد فى نجاعتهـا لاصلاح مـا افسـدته الظروف والآخرون هو يعرف جيدا التركة الموروثـة عـن عهـود الانحطـاط والاستعمار لذلك فهو يعلن ان هذا الجيل :

اذا ما أراد اختراق شعاب الليالى
فلينزع خرقته الصوفيه
وفى بحر دماء عروق صلاب يعوم
جيل يطهر مدن الشام
من وقع سنابك خيل الروم

(محمود الماجرى ـ بلادى الثقافية جانفى 1978)

كل شىء على الارض العربية يدعو الى الالتحام .. يدعو الى الضم والامتزاج.. كل شىء مهيأ لان يصبح مع الآخر شيئا واحد .. ان يعود كما كان .. صحيح أن هناك انقسامات على انفسنا تاريخيا .. لكنه انقسام كان لاختبار امكاناتنا ولابراز التناقضات التى حملناها .. وما كان انقساما عدائيا .. بل كان فكريا وفى مسائل استغلها العدو وعمق الشقة من خلالها الى مستوى الدم .. فهل يصح ان نبقى لعبة بايدى الاعداء :

تترقبين على الرمل مرور قافلة التيه بانت لعينيك
تلوحين لها بالمنديل يلوحون لك بالقرب
تكونين لهم الماء يكونون لك الرفاق
هى لحظة التلاقى ما عادت فى سجل التمنى
تجرين اليهم جريا .. جريا يجرون اليك
هى لحظة العناق

(سوف عبيد ـ الثقافة العربية ص 120 ـ العدد الاول سنة 1977)

ويستمر ترديد ذلك الحلم / الحقيقة على ألسنة المفكرين والمثقفين الاصليين .. دعوة للثورة على بقايا العبودية والقبلية وكل ما بلى من مظاهر الحياة .. ومـا تعفن من دواخل الاوضاع ... كيف لا يكـون ذلـك ومن نصيب الانسان فى الارض العربية :

غالبنى الزمن

دخلتك يا مغاور الهجرة

ويا الحنين الى الوطن

وعشت الاهانه

(نور الدين عزيزة ـ قصيد صفحات من جواز سفر)

ومن حين لآخر .. ترتفع الاصوات لتؤكد استمرار التعفن .. بلهجة حادة حينا وسافرة احيانا .. لفضح الاسباب .. وتكشف عن الوجوه من تحت الاقنعة الكاذبة .. وتقولها صراحة :

الهاكم التناطح .. الهاكم التناكح

الهاكم التملق .. الهاكم التملص

الهاكم التضاجع حتى ختنم الوطن

(**الصافى** السعيد ـ الاسبوع الثقافى الليبى ـ 29 ربيع **الاول 1389هـ**)

الآتـى ... يتحـلى :

ورغم تضخم الزمن الميت فى اذهاننا .. ورغم غرابة الحاضر الـذى ياكلنـا ونأكله فان **التوجه** للآتى هو من أكبر مهمات المثقف العربى اليـوم .. **الايمان الصلب** والعزيمة الصادقة هى السلاح الاول والرئيسـى .. والوعـى الكبير والمعرفة الواسعة **هى الطريق** الموصلة .. وهو يعتقد جازما انه لا يمكن **فصل الزمان** عن **الهدف** .. ففى ذلك **تفكك** لروح هذه الامة .. وجيل الشعراء اليوم هم خلاصة الصدامات العديدة .. وجنين المأساة .. لذلك فهم على يقين من ان الزمن لا يصمد امام الارادة . .وكما انهم يؤكدون على عامل الزمن فى بناء الامة .. هم يتألمون على ما يهـدر منه لفـائدة رواد الاستلاب الامبرياليين والصهاينة والرجعيين فى المشرق العربى وغيره .. اكثر مما يتألمون على الدماء المهدورة .. **هم يتالمون على الشرف العربى أكثر** من التذمر **من اقتطاع** جزء من الارض . ويتحسس الواحد افكاره فاذا هو :

منكسر هذى العشية ان الطريق أمامى

بركة حزن

يبللها بالدم المر جرح

(عبد الحميد مواعدة ـ الرأى عدد 12)

الشاعر العربي في تونس .. هذا الانسان الذى لا يختلف عن كل البشر في العالم الا من حيث طباعه الحسنة وقدرته على الجام شهواته ككل عربي أصيل .. لانه يرفض البديل لعروبته وشرفه مهما كان مغريا :

أحببتك فوق الحب
فكنت هواى .. وكنت جنونى
لكنك من أصل صهيونى
ان كنت رفضتك يا مارتين
فلأنى سمعتك أمس تغنين
(يورشليم شل هاف
شل نحوشت شل أور)

وترجمتها : أورشليم يا مدينة الذهب يا مدينة النحاس يا مدينة النور

(سالم الشعبانى ـ أغنيات منجمية ـ ص 57)

ورغم كل ذلك .. والى جانب الاعتزاز الكلى بالعروبة .. تحيا نماذج من مظاهر التعفن لا بد لها ان تنسحب :

هنا فى بلادى
على قمة الجلجلة (أين صلب المسيح)
وتحت صليب المسيح
تموت النسور اغتيالا
تموت العنادل فوق السفوح
وتحيا الخفافيش جذلى

(محمد على الهانى ـ الرأى عدد 15)

هكذا فى عصر الكتل والعصبيات والعنصرية العرقية والدينية ... اصبح العربى اينما كان يدعو الى لم الشمل لتشكيل قوة يقرأ لها ألف وزن فى الصراعات الكبرى .. وما ازمة البترول الا دليل قاطع على قدرة العرب على فرض وجودهم .. لذلك فليس هناك من يتردد فى النداء الى توحيد الامة العربية والقضاء على السلبيات واستخدام الطاقات العربية فيما ينفع الامة

العربية .. كل الاحرار فى العروبة يعتبرون الوحدة أمرا حتميا .. ولا بديل له فى عصرنا هذا .. فلا امان اليوم الا مع القوة .. ولا يمكن ان تتحد القوة مع التشتت والتجزئة .

ورغم ايمان العربى بكل ذلك ، فانه وطبقا لاخلاقه وطيبته يتمنى لو كان العالم اطفالا ينضحون طيبة وبراءة :

لو كان العالم أطفالا

ما احتجت نهارا لهويتى

ونذرت دمائى الى جنسى

(حسين العورى ـ الرأى عدد II)

وللاسف فهذا العالم اشرارا .. وذئاب تترصد الحمل لافتراسه مستعملة فى ذلك أفتك الاسلحة الا وهى تغريبه .. وابعاده عن جذوره الحضارية والتاريخية وان عز ذلك عليهم .. يلجؤون الى خطة التدمير الذاتى .. فاذا الشمال يطعن الجنوب .. فى صدره .. وان عجز ففى ظهره لقاء جزاء امبريالى صهيونى رخيص ذليل من يقظة ؟

وختاما :

أؤكد أولا انه ليس من حقى ان ادعى اننى استحضرت كل الاصوات التى تناضل فى سبيل تأصيل الانسان العربى .. وليس باستطاعة اى كان ذلك الآن .. بسبب حاجز النشر .. وأؤكد ثانيا اننى لم ادرس النماذج التى حصلت عليها طبق منهجية معينة .. ولا حتى تتبعت خطى تطورها تاريخيا وفنيا .. فكل ما هنالك انى جمعت بعض النماذج مما نشر اخيرا لكنها تلتقى كلها فى نقطة واحدة هى الدفاع عن اصالة الانسان العربى والشرف العربى .

قد تكون المآخذ كثيرة من حيث الجانب الفنى خاصة .. لكنى مقتنع بأن الرابط المشترك بين كل النماذج المشار اليها هو الحس القومى العربى .. لذلك لم يستوقفنى الجانب الفنى .. واتصلت مباشرة بالموضوع .. وعسى ان اعود الى ما اهملته فى فرصة قريبة .

أغراض الشعر التونسي الحديث

بقلم: البشير المشرقي

تقديم :

الشعر هو عملية خلق فنية تنطلق من الذات الفردية نتيجة معاناة أو « حالة شعرية » يعيشها الشاعر الفنان وهي مرحلة توتر نفساني يشبه الام المخاض التي يتبعها انفراج يتمثل في افراز القصيدة التي هي بمثابة وليد . ومعنى هذا الكلام أن الشعر قبل كل شيء هو تجربة نفسية شخصية تكون الذات الفردية محورها الاساسي ومدارها الرئيسي ، ولعل هذا هو ما دفع ببعض النقاد الى القول بنظرية « الفن للفن » التي يصورها الشاعر أبو القاسم الشابي في بيتيه التاليين :

أنت يا شعر فلذة من فؤادي   تتغنى ، وقطعة من وجودي
فيك ما في جوانحي من حنين   أبدي الى صميم الوجود

(*) ليس دورنا في هذه الدراسة أن نتكلم عن الاغراض الشعرية كما ألفنا أن نفعل ونحن نتصفح ديوان الشعر العربي القديم ، فنصنفه الى مدح وهجاء ورثاء ... وإنما سنستعمل الكلمة بمدلولها الواسع الشامل ونحاول أن نجعلها تستوعب أهم الموضوعات الشعرية التي تشكل في حد ذاتها محاور اهتمام في الشعر التونسي الحديث . فتصبح كلمة « أغراض » عندنا تقابل في الفرنسية كلمة Thèmes . وسنقتصر في استشهاداتنا على ما وقعنا عليه من شعر طفحت به مجلة « الفكر » لايماننا بان هذه المجلة الصامدة واكبت أكثر من غيرها الشعر التونسي الحديث وتتبعته منذ خطواته الاولى .

ولكن الانسان مدنى بالطبع على حد تعبير ابن خلدون ، وهذه « المدنية » تستدعى منه أن يتفاعل مع العناصر المحيطة به فيتأثر بها ويؤثر فيها ، وهكذا لا يمكن أن نتصور أن توجد تجربة فنية مستقلة عن تجارب المجموعة وإن بدت فى ظاهرها كذلك . فالذات الفردية عبارة عن نافذة تشرف على ما حولها ، أو هى بمثابة النهر الذى تعددت روافده ومشاربه فلا يستطيع المرء أن يفرق ما بين مياهه والمياه الاخرى التى تنصب فيه .

فالقضية إذن شائكة ، ولكننا مع ذلك سنعمل على تصنيف الشعر التونسى الحديث الى صنفين ، وسنحاول أن نولى الواحد منهما نفس الاهتمام الذى نوليه للآخر ، وهما « الوجدانية » أو « الغنائية » من جهة ، Lyrisme وما يعبر عنه عادة « بالالتزام » من جهة أخرى Engagement Littéraire أو Militantisme Littéraire ، وهو ما يطلق عادة على القصائد الاجتماعية والسياسية .

1 ـ الأغراض الوجدانية :

اذا ما تصفحنا ديوان الشعر التونسى الحديث وجدنا أن أغلبه يدور حول موضوعات ذاتية غنائية وفى مقدمتها « الغزل » الذى ما زال شعراؤنا يتيهون فى شعابه ويبكون حظهم التعس ويشكون من هجر الحبيب وصده ويفرحون لقربه ويأسفون لبعده ، فهذا الشاعر عبد المجيد بن جدو يغوص فى عينى حبيبته ويرحل عبرهما فى رحلة مضنية طويلة يحدوه الشوق والحنين :

عيناك كون من الالهام والسحر ففيهما خضرة الأمواج والبحر
عيناك كون من الأحلام يغمرنى أودعت عينيك معنى الليل والفجر
إنى محبك مضنى بالهوى كلف مازلت من كلفى فى غيمة السكر!(1)

وهذا الشاعر محيى الدين خريف يخرج من تجربته الغرامية وكله اعتقاد بأن حبيبته فوق الخيال والتصور ، وأنه يجرى خلف لمع سراب أو سحاب خلب :

---

(1) الفكر : أكتوبر 1968 ـ ص 33 .

حملت هواها بكأسي
وعشت الليالي أحدث عنها الضحى
حين يهطل شمسا على شجر البرتقال
وحدثت عنها الخيال
فلم يتصور لها صورة ، كيف لا ؟
وهي فوق الخيال ! (2)

وأما الشاعر رياض المرزوقي ، فانه يعترف لنا في قصيدته « أحبها » بأنه متيم مدنف كلف بحبيبته المدللة :

الشمس أدنى من بلوغ ما تريد !
أحبها
لو قدم الغير لها تبرا نضيد !
أكتب من دمي قصيد
يراه لا عيونها بل قلبها
عنوانه أحبها ! (3)

وهذا الشاعر محمد الشابي يبحر في لجة الذكريات التي تعبق بها المنديلة الزرقاء يوم العودة الى المدارس ، فيتذكر من أحبها وهام في عشقها :

عاد أكتوبر صافيا كالسماء   عاد في ثوبك الذي كالسماء
وطيور الأحلام يا أملي قد   خفقت .. بعد الصمت والاغفاء
ومظلات الذكريات بذهني   لم تخفف عني لظى الصحراء !(4)

ويستبد الشوق بالشاعر الصادق شرف أبي وجدان وتستولي عليه الصبابة فيدلج في ذكرياته مع الحبيبة النائية التي تبدو له أحيانا قريبة عن بعد وبعيدة عن قرب أحيانا أخرى :

---

(2) الفكر : أكتوبر 1974 — ص 20 .
(3) الفكر : فيفري 1969 — ص 51 .
(4) الفكر : أكتوبر 1973 — ص 30 .

كلما فكرت في الهجران يوما قد يحين ...
تخرج الآهة من صدرى على رتل الانين !
ضمني حتى تفيق الذهن من حلمي الحزين ..
فهو قد خيل لى انك طيف من حنين !
شك فى انك قربى .. شك حتى فى اليقين ! (5)

وتهز الشاعر عبد الحميد خريف ذكرى ليلة شتائية قضاها مع حبيبة مجهولة فيرسم لنا قصيدة « بماء الحب على ورق الورد » :

تمدين حفنة حلم حريرى
وأوراق ورد تحيط بتاج
الغد الآتى من جزر ماؤها عطر
وتربتها لؤلؤيه ...
مع موسم الياس والياسمين ! (6)

وأما الشاعر الشاب محمد أحمد القابسى فانه يدعونا فى قصيدته « الكشف ... » الى التأمل فى عشقه العميق الذى طغى على كيانه طغيان الطوفان ، فى لغة شاعرية جذابة :

عاشق يا ذات الظفائر المحمومة بالصيف والشتاء
ينفر من جسدى العشق أصدافا ومحار ..
عاشق يا ذات الضفائر المحمومة بالصيف والشتاء
ومن يطهرنى يا غجرية بمخاريط النسغ والنار ؟ (7)

ولكن الغزل وإن كان طاغيا على الكثير من القصائد ، فان الشعر التونسى الحديث لم يقتصر عليه بل نوع موضوعاته الوجدانية وعدد مضامينه . ولعل من أبرز هذه المحاور الذاتية ما نلمسه من تأمل وإغراق فى المعنى وتفلسف

---

(5) الفكر : جويلية 1972 — ص 75 .
(6) الفكر : ماى 1978 — ص 100 .
(7) الفكر : مارس 1975 — ص 55 .

أحيانا ـ يحوم حول الوجود الانساني والمنزلة البشرية وعالم النفس اللامتناهي واللامحدود .

فهذا الشاعر الصادق شرف ، أبو وجدان يصدع بغربته ويتشبث بها لان الغربة عنده ليست عبثا محضا وإنما هي بداية شعور الانسان بوجوده ووعيه بمصيره ومكانته من الكون طوال رحلته الوجودية التي يغلب عليها العطش والجفاف :

فآذهبي وفق غروبي .. وآتركيني في آغترابي ..
غربتي سر وجودي .. ووجودي في ذهابي
عطشي يربو .. وأتعابي على قلبي تضاريس صباح ورواب للغروب ..
وارتوائي في ضفافي بجفافي نبع خصب لانسيابي .. (8)

والى جانب هذه الغربة الوجودية نجد الشاب عبد القادر بن شرودة يعبر في قصيدته « بيان قبل الترشح لادارة الهموم » عن حالته النفسية المتأزمة . وما هي إلا حقيقة الانسان الأبدية في رحلته الوجودية المضنية :

لم أفكر طويلا في ذلك ..
منذ عقد فقط وجدت نفسي مهموما
أتأرجح في الفراغ
بلا مشنقة
وكنت أتخيل ـ والامر موكول الى النسبية
أن أرضي هي التي لا تتأرجح في الفراغ ! (9)

ولم يشأ الشعر التونسي الحديث أن يتجاهل ظاهرة انسانية خالدة تتمثل في حب الارض والوطن والتعطش اليهما والوفاء لهما .

كيف لا ، والارض حبيبة رقيقة تعطف على الشاعر وتطوقه برعايتها ، انها لصلة روحية وجدانية تلك التي تربط بين قلب الشاعر والارض التي يتغنى بها ويمجدها ويمتد حنينه اليها خلف الحدود والحواجز .

---

(8) الفكر : أفريل 1978 ـ ص 36 .
(9) الفكر : جويلية 1977 ـ ص 65 .

فهذا الشاعر جعفر ماجد فـي قصيدتـه « دمعتـان » يستعطـف موطنـه « القيروان » فى لغة شعرية فياضة :

أتيت على رغم هذا الزمان فلا تبدئى اللوم يا قيروان
ولا ترفضينى ولا تغضبى فلى ههنا .. ألف شأن وشان ! (10)

وأما الشاعر عبد الرحمان الكبلوطى فانه يصـور وفـاءه « لسـوسة » فى قصيدته « أبيات وفاء » :

أجبت نداءك لما دعانى فجئتك أسرع من « قيروانى »
وقلبى يحييك يا « سوسة » ويزداد فى خفقه خفقانى (11)

2 ـ الاغراض الاجتماعية والسياسية :

ورغم تعلق الشاعر التونسى الحديث بذاتيته وفرديته ، فانه آمن بأنه جزء لا يتجزأ من مجموعة بشرية اتحدت آمالها وآلامها فراح يبحـث خلالهـا عن حقيقة نفسه ومكانة الانسان عامة فى محيط تتجاذبه تيارات وملابسات عديدة. فهذا الشاعر محمد عمار شعابنية يتلمس طريقه بين الجموع البشرية المحتشدة على سطح المعمورة ، ويخرج من بحثه بأنه واحد من مكافحين كثيرين ، همهم كسب القوت وتحقيق الرخاء :

أنا من جموع تهرول خلف القطارات بحثا عن الخبز
والزيت
والقبلة الدافيـه
بساق قد انتعلت
وأخرى على العهد لما تزل حافيه ! (12)

---

(10) الفكر : فيفرى 1972 ـ ص 74 .
(11) الفكر : أفريل 1978 ـ ص 58 .
(12) الفكر : مـاى 1978 ـ ص 74 .

وينظر أحمد الحباشة الى نفسه فى مرآة الحياة فيرى أنه ما زال على قارعة الطريق يلهث خلف الخبز وهو يجرى وسط قافلة الجياع الصارخين :

ما زلت فى قارعة الطريق
ألقى أكفا تسأل الرغيف
تبحث عن رفيق !
لما أزل ...
ألهث خلف الخبز وهو يجرى (13)

ويصور الشاعر الصادق شرف أبو وجدان حالة العائلة الفقيرة التى يتمنى أحد أطفالها حذاء يذهب به الى المدرسة من الغد :

الطفل أدركه اللغوب .. ولم يعد بعد الأب ..
فيميل يسأل أمه : أماه : فات المغرب !
لم يأت بالثوب الجديد..أبى..ترى هل يكذب؟!
حتى حذائى قد تهرأ .. فى غد بم أذهب ؟!
— يا آبنى ترقب..!غير أن النوم لا يترقب!(14)

وفى قصيدة بعنوان « ونحن نحتج » نجد نفس الشاعر يخرج من تأملاته فى واقع الامة العربية أمام العدوان الاسرائيلى الغاشم ، بما يلى :

داست جباهنا نعال الهمجيه ..
أهذه جباهنا ؟ أم ليس هيه ؟
لو بقيت لنا جباه عربيه
لأعلنت بأنها منا بريه !. (15)

ويتطلع السويلمى بوجمعة الى مستقبل « فلسطين » الصامدة ، فيراه واعدا خصبا ، مبشرا بالنصر والتفوق :

---

(13) الفكر : جويلية 1974 — ص 40 .
(14) الفكر : أكتوبر 1972 — ص 77 .
(15) الفكر : أكتوبر 1973 — ص 56 .

... فقولى لهم : نحن خلف المتاريس نكتب للقادمين وصيه
سينفجر اللغم قبل الأوان
ونعبر منك اليك
ونحفر بحرا جديدا مكان الجبين ! (16)

ويطغى التأثر على روح الشاعرة جميلة الماجرى فتصرخ فى قصيدتها « لرفع الالتباس » بأن « فلسطين » ملك للعرب وليست لسواهم :

فلسطين ما كنت أسطورة
وما كنت شعرا بدون انفعال
يردده الناس فى الانديه ..
فلسطين ليست « لقيطا »
ولا « زانيه »
فنخشى التلفظ بآسمها جهرا
ويخجلنا أن نصيح :
فلسطين كانت لنا ..
فلسطين تبقى لنا ..
فلسطين من حقنا ..! (17)

هذه بعض الملاحظات والخواطر عنت لى وانا اتصفح بعض الاعداد من مجلة «الفكر» ، ردت أن أبسطها على القارىء علها تكون مثارا لبعض المسائل والقضايا التى تمس الشعر التونسى الحديث .

---

(16) الفكر : أفريل 1978 ـ ص 58 .

لمن نكتب الشعر ؟

بقلم فاطمة حيدري

في هذه الدراسة كان من المفروض أن تكون كلها شخصيـــة ـ ومـا دامت القضية هي مفهوم الشعر ـ ولمن نكتب الشعر ؟ التجأت الى بعض الشعراء كي استدرج آراءهم في هذا الموضوع . لتكون نابعة من ذات **الشاعـر** ـ والآراء تختلف في أي موضوع كان .

قبل أن نتساءل لمن نكتب الشعر ؟ أقول ما هو الشعر ؟

قال **الاستاذ الشاذلي القليبي** في كتابه « **نظرات في الشعر** » :

ـ الشعر مغامرة وجودية ، تخص علاقة الفرد بالواقع أو بغيره أو بالمجتمع، وأهم عنصر في الشعر هو الجهد الذي يعانيه الشاعر للتغلب على ما يجده في نفسه تجاه هذه الضغوط الخارجية ـ والتغلب على ما يجده في الواقع من نقص وفي نفسه من عجز ، وفي الزمان من قهر . »

ـ ورأيي الخاص هو أن الشعر صبغة فنية بمذاهبه وألوانه وأغراضه وهو مظهر الثقافة العربية ومرآة لحياة الانسان العقلية والاجتماعية ـ يصنع نفسه بنفسه وينسج ثوبه بيديه وراء ستار النفس حتى اذا تمت له أسباب الوجود ، واكتسى رداء النغم ارتجف أحرفا تلهث على الورق ـ والشعـر كالموسيقـى والرقص والرسم ، هو فن من بين الفنون ـ والفن هو تهذيب وصقل وجهـد متصل وتحسين مستمر .

وفي الفن كما في الطبيعة وفي القصيدة كما في الوردة وكما فـي اللوحـة البارعة ، وعن **نزار القباني** في كتابه « **طفولة نهد** » ص **ب ـ ج** ، يقـول :

« الشعر ليس اكثر من كهربة جميلة تصدم عصبك وتنقلك الى واحات مضيئة مزروعة على أجفان السحاب ، الشعر فن والتذوق الفنى كما قال الفيلسوف الايطالى **كروتشة** فى كتابه (المجمل فى فلسفة الفن) هو عبارة عن حدس غنائى ، والحدس Intuition هو الصورة الاولى للمعرفة وسابق لكل معرفة ، وهو من شأن المخيلة ، وهو بتعبير آخر ـ الادراك الحالى من أى عنصر منطقى » .

ـ اذن حسب البحث أقول : إن الشعر لا يتصدى دراسة مظاهر التجربة الخارجية لا التجربة ذاتها ، كما يدرس العالم النفسى نتائج الغضب والانفعال والسرور على جسد الانسان ، وكما يدرس علماء الفيزيا آثار التيار الكهربائى من ضوء وحرارة وحركة ـ هكذا تدرس آثار التجربة الشعرية فى العالم الخارجى أى بعد انتقالها من جبين الشاعر الى الورق .

حسب رأيى كل الفنون نهيىء لها الزمان والمكان ، نتحكم فى براجها ، نضرب لها البداية ونحدد لها النهاية ، الا الشعر فهو يهزأ بالحدود وهذه الهينمة الشاعرة لا تعرف موسما ولا موعدا مضروبا ، فكأنما هى فوق المواسم والمواعيد ـ وإن أراد أحد أن يتجاهل قيمة الشعر ـ فهذا من الخطاء لانه قضية من قضايا تراثنا ـ يتجدد ، يتطور ويتغير فى معانيه وصوره كما يتغير الزمن فنحس بشىء جديد ، هى المتعة الفنية والقدرة الخلاقة التى تنتج عنها مشاعر رفيعة ترتفع فوق كل الضرورات ـ تلك القدرة الفائقة التى يبنيها الشعر وهى كامنة فينا نحن ان أردنا القول .

إذن لمن نكتب الشعر ؟ إنه سؤال يطول حوله النقاش والشاعر فى حد ذاته يتساءل لمن هذه الاشعار؟ والقارىء يتساءل بدوره ما الفائدة منها؟ ولماذا يتكاثر الشعراء ؟ يقول **نزار القبانى** : من نفس الكتاب ص ـ م :

« لم اكتب الشعر لفئة من الناس روضوا خيالهم على تذوق الشعر وهيأتهم ثقافاتهم لهذا ـ إنى أكتب لاى انسان مثلى يشترك معى فى الانسانية وتوجد بين خلايا عقله ، خلية تهتز للعاطفية الصافية ، وللوحات المزروعة وراء مدى الظن » هكذا يريد نزار أن يكون الفن ملكا لكل الناس ـ كالهواء وكالماء ، وكغناء العصافير يجب أن لا يحرم منه أحد .

وإثر هذه الكتابة كانت لى وقفة مع الشاعر **محمد المرزوقى** وما دام صاحب شاعرية غنى بشتى الافكار تحدث لى فقال :

ـ الشعراء قسمان : قسم « برعاجي » لا يهتم الا بنفسه فينظم الشعر طبقا لأحاسيسه ونوازع نفسه وهذا يمكن أن يقال فيه ينظم الشعر لنفسه ، لكن بالرغم من انطوائه ونظم اشعاره لخاصة ذاته ، فان ذلك لا يمنع بعض المعانى والتخيلات الاجتماعية ، من التسرب الى شعره مستوحاة من البيئة التى يعيش فيها ـ والقسم الثانى ـ اندمج فى الوسط الذى يعيش فيه وتعمق فى شعبيته فأصبح مرآة لمجتمعه يحس باحساس شعبه ويتقمص نفس المشاعر التى يحملها ، فينظم ما يكتبه نتيجة لتلك المشاعر والاحساسات وهذا هو الشاعر الحق لأنه كانسان لا يمكن أن يعيش لنفسه فقط بل هو فرد من مجتمع يشمله ما أصابه من خير وشر وهذا هو الانسان الحق ، الطبيعى الذى عرفه **ابن خلدون** بقوله « الانسان مدنى بالطبع » فهو ينظم أشعاره ويستوحيها من وسط اجتماعى معبرا عن خواطر اجتماعية فى قوالب فنية يضفى عليها نصيبا من الجمال التعبيرى ومن خيال لامع وهو لا يكتفى بوصف ما رأى وما سمع بل يجتاز ذلك الى النقد والنصح والتوجيه بأسلوب جذاب يجعل لشعره وقعا فى النفوس ، وأحيانا يمجد الفردية بينما فى ظروف أخرى يمجد الجماعية .

ـ وأضيف الى هذا الكلام قولى : إن الشعر موهبة غير أن هذه الموهبة لا تلبث أن تتحول عند صاحبها الى ممارسة ودراسة طويلة لتقاليد ومصطلحات موروثة فى تاريخ الفن ، والشعر ليس عملا سهلا ساذجا كما يعتقد كثير من الناس بل هو عمل معقد غاية التعقيد وحسب الدراسة تبدو كلمة الشاعر معناها العالم والشعر معناه العلم ـ والعلم كما هو معروف يدخل فى باب الصنائع وهو فضيلة تتغنى بالقيم الروحية المطلقة ، والشاعر يحس بكل جارحة من جوارحه فيسجل شعوره ويعبر عن غبطته وطربه ويبحث عن الحقيقة المثلى فى تنظيم أشعاره ويحاول أن يدرس أسرار الناس وغوامضه الذاتية ويتوغل فى الاشياء الملموسة وان كان هذا الشاعر الحق يكتب لجميع الفئات فعليه أن يبحث عن المثل العليا وعن الحقيقة المطلقة وان لا يبقى جامدا أمام ما يذهله ويربكه ولا خاشعا أمام غوامض الحياة ـ والشعر من طبيعته ـــ (الانطلاق والتمرد ، ولا الاستسلام والاستكانة) حتى يستمد شعره من المعرفة العليا ، كما قال « **افلاطون** » إن المعرفة « تصعد من المحسوس المعقول وتخضع الاولى للثانية » ـ وتتجلى المتعة الجمالية التى نحس بها عند قراءة الشعر ، هى فى انصراف الشاعر الى التأمل والمعرفة بكيفية التقاط الافكار المبتكرة التى تهزه وتهز القراء كى تكون اشعارة قوية ومتميزة فيها حافز لمضاعفة الجهد وتطوير القدرات الابداعية حتى يقيها من الجمود لتكون ذات

القيمة المضمونة ما دام ابن بيئته ولسان حال مجتمعه ـ هذا الشاعر هو انسان ذو موهبة خاصة تغدق عليه أشعارا تزخر بكثير من المعانى الانسانية، وتحفل بصور شتى ، من صور النفس فى مختلف أحوالها وشؤونها ، والشعر الذى يأتى على لسان حاله هو كلام ، قوامه العاطفة والخيال والموسيقى وهو غريزة تفجر ينابيع موهبة اى انسان ذى حساسية مرهفة ـ اذن لمن يكتب هذا الانسان ؟ أجيب بصورة قطعية وأؤكد رغم أن الآراء اختلفت فى هذا القول ـ انه يكتب لذاته أولا .. يكتب ما يخالج نفسه من قلق وتشاؤم ثم بعد ذلك ينطلق نحو المجموعة التى تعيش حواليه ليعبر عن معاناة الفرد ، عن مشاغله ومشاكله فيصور لنا مختلف تقلبات الاوضاع الاجتماعية وقضايا الساعة ـ هو يكتب لجميع الطبقات ، للطبقة الشغيلة والمثقفة منها ـ لمن يفهمه ويستهويه شعره بما فيه من معان ـ ففى بعض المناقشات يجد السامع نفسه فى دوامة ، وتشغل باله قضية المفهوم ، الآتى : هل الشعر وظيفة ذاتية أم اجتماعية ؟ وهناك من يؤكد بأن وظيفة الشعر يجب أن تكون اجتماعية ولا شىء سوى ذلك ـ أقول ربما صحيح لان الفرد هو المجموعة ، والانسان لا يليق به أن ينسى ما يحيط به والشاعر كالمطرب ، والممثل يعيش لجمهوره ـ لكن من الخطا ، ان نرفض الوظيفة الذاتية لان الشاعر قبل كل شىء ينطلق من ذاته من المحيط الذى يعيش فيه ، من مشاكله لان هنالك دافع شخصية صادقة تنفجر من أعماقه فيكتب شعرا دون مسبق بحث عن أفكار أو معان ـ والشاعر قبل أن يرضى الناس ، يرضى نفسه ويكون صورة مما يكتبه ، ولكل منا ميزته الخاصة ومنهجه الذى يسلكه فى حياته وكتاباته ـ فالمطرب مثلا : نراه يتأثر بشاعر ما ، فيغنى له دون أن يجدد أشعار غيره ـ ولكل مطرب جمهوره الخاص الذى يهواه ويفضله عن الآخر ـ لان المجتمع فى حد ذاته لا نراه فى صورة واحدة ، فهو ينقسم الى عدة أقسام ـ فمشاكله تتنوع وأحزانه تختلف وكذلك افراحه ولكل منا حساسية خاصة .

والشعر يؤدى وظيفة فى كل المراحل ويتطور ، وسنة الحياة هى التجديد ، فكم بودى ان تكون هذه المخطوطات زاخرة بمعان متينة حية وصور صادقة خالية من كل زيف ونفاق حتى يشعر باطمئنان نحو ما يقدمه ، معبرا عن حركة الواقع حتى يكون قادرا على الاحتفاظ بشاعريته الكامنة فى ذاته والارتباط بواقع المجتمع يستمد منه خلاصة الحياة ومن مشاكله اشعارا قادرة على السمو بذلك الواقع المستمد من البيئة التى يخوضها يوميا ـ فلا عجب إن لم نجد فيما يكتبه ما يطابق الواقع الانسانى .

فمنذ الجاهلية نعرف أن الشعر ناتج عن شعور غريب يداهم صاحبه دون مسبق إعلام ويفرض وجوده ويحتل كل مكانة فى حياته ــ وأقــول بأنه فى بعض الاحيان يحرر أفكار الانسان ، ويتيح لكل فرد أن يرتاح الى نفسه لانه يكافح العنف عن حكمة جديدة ، فتتآلف الافكار ويصور لنا الـرقة والحـرية والحساسية والحب ويجعل من المستقبل صورا شتى ، وهو ليس مجرد صدى لاحساسنا ولا مجرد تعبير عن مشاكل اجتماعية ولا أداة عمل خاصة للحيـاة الجماعية ، فهو أيضا يصور لنا ذاتيتنا الثقافية ولا غنى لنا عنه لانـه صـورة صادقة تنذر بعواقب سيئة او خلاف ذلك ــ تنذر بانتفاضات مفـاجئة فى أى زمان ومكان ، فهو اذن مساعد ضرورى ان أردنا ما دام فنا من الفنون يقوم بمصلحة ما ــ وإن كان البعض لا يعترف بما يكتبه ــ فلا بأس فهو لم يجبـر أى انسان أن يقرأ ويفهم أشعاره هو لم يكتبها ليستجدى بها عطاء كما قال : « **أبو القاسم الشابى** »

شعـرى نفـاثة صـدرى إن جاش فيـه شعـورى
لا أنظـم الشعـر أرجـو بـه رضــاء الأمـيــر
بمــدحــة أو رثـــاء تهدى لـرب السـريـر
لا أقـرض الشعـر أبغى بـه اقتنـاص نـوال

والشعر فى نظرى كالسنما والمسرح تدرس مواضيعه وتنقد بقطع النظر عن أصحابها واتجاهاتهم حتى نستنتج العلاقة الاخلاقية والفكرية المكتسبـة من الجملة كل حسب نظرته ، لان كـل واحـد منهـم ينصـرف الـى أحاسيسـه الباطنية مهما كان نوعها سـواء أكـان ذلـك تفـاؤلا وسـرورا أو تشاؤمـا وسخطا على الوجود والناس ، وكل منهم يقع على مفاهيم جديدة تحـدد مـا يصبو اليه من قضايا اجتماعية تشغلـه طويـلا فيسيـر فى الخـط السـوى الالتزامى الذى سطره لنفسه لان ذلك له احساس شديد بالقضايـا الانسانية العادلة ، وفى نظرى ماذا يجدى الشاعر فيما يكتبه للطبقة الكادحة بمـا فيهـا من أبطال ما يجديه أن يمدحهم ؟ هل تتغير حاله هذه أو تلك ؟ وهل تنقلـب الاوضـاع ؟

أجل ، أنت يا من تريد أن يكون الشعر للكادحين ولهم خاصة ــ أقـول لك : إن الشعر ليس بأداة حرب ولو نزل الى الميدان بما فيه القديم والحديث لتحرر السجين وساد السلام فى أنحاء العالم ــ اذن لا نستطيع أن نحكـم على الشاعر أن يكتب لهذا أو لذاك بل علينا أن نقول له بأن يكون شاعرا طبيعيا فى مواقفه العاطفية والاجتماعية ــ هناك من يقول بأن هـذا الشـاعر أنـانى

والآخر عاجز لان شعره غامض ـ بكل صراحة هذا خطأ لأن المجتمع ينتمي الى طبقات وهناك من يحبذ الغموض لانه يجد لذة في التعمق والبحث كي يخرج منه بنتيجة ما ـ والآخر يفضل اللغة السهلة والعبارة الواضحة والتصوير البسيط ، كما يفضل صنف من الجمهور الاغاني الشعبية . والشاعر في حد ذاته يختلف عن الاخر . فهذا يندفع في وصف الواقع كما هو بعيدا عن التكلف بطريقة فردية من نوعها ، بسيطة حتى ينأى عن الذوق والآخر تراه أكثر منه ابداعا وموهبة ومعرفة بفنون القول كي لا يكون شعره ضعيفا ركيكا ـ وهذه الموهبة هي التي دفعت بالشاعر الى معرفة قوانين هذا الكون وسنن الطبيعة فهو لا يعتصر الشعر او يتطلبه ، لكنه يتولد في نفسه ثم ينبجس على لسانه في أية ساعة ، فيسافر بخياله ويترك أفكاره لعفو الخاطر ومحض المصادفة اذن لا تطلب من الشاعر أن يمدنا بحقائق كالحقائق العلمية ، فهو من باب الصنائع ووسيلة لغاية ما ـ فلو نعود بخطوات الى الوراء ، أيام **ابن هاني الاندلسي وابن دراج القسطلي وأحمد بن شهيد** ، ونرى كيف اتخذ الشعراء في القديم ، الشعر وسيلة للتقرب الى الحكام وكبار القوم بمدحهم ووصف مجالسهم وقصورهم ومعالم الحضارة في بلادهم حتى كان الشعر طريقة الى الثراء والجاه والنفوذ بفضل لسان الشاعر . يلهج بما يختلج في فؤاده نتيجة تلك الروح الشاعرية الموهوبة المتأملة في نفسه ـ فكلما تذوقنا الشعر وأحسسنا بأننا في حاجة اليه فهمنا بأنه تعبير جميل عن الشعور الصادق يجري كالدم في جسم صاحبه فينطلق هذا الاخير يصدر عنه الشعر دون تكلف لانه في الحقيقة موهبة طليقة تجتاز المستحيل في بعض الاحيان ـ والشاعر الحق هو الذي يعبر عن الشعر تعبيرا حرا وصادقا فيه دقة الوصف حتى تكون قصائده ناطقة في تلمسها المشاعر الحقيقية غير المزيفة ويبتعد عن الثرثرة اللفظية والتقليد والابتذال ـ استمع الى « **محمود البارودي** » (*) يقول :

ـ الشعر ديوان أخلاق يلوح به ما خطه الفكر من بحث وتنقير
كم شاد مجدا ، وكم أودى بمنقبة رفعا وخفضا بمرجو ومحذور

(*) محمود سامي البارودي من أسرة جركسية تنتمي الى حكام مصر المماليك ولد سنة 1838 م ـ 1904 م / 1255 هـ ـ 1322 هـ .
أنظر في الادب الحديث لعمر الدسوقي ، الجزء الاول ، ص 212 .

ـ فالشاعر فى نظرى قبل أن يكون صاحب رسالة قومية هو ابـن الحيـاة كأيها الناس ، يعبر أولا عن ذاته وعن ظروفه ثم عن خبايا الانسان وسر العالم والكون ، والشعر قبل ان يكون ترفهة هو ضـرورة هـامة لتوسيـع مـدارك القارىء حتى يتيح له وضوح الرؤية ويدفعه الى التعمق والتطور وقد قـال : « **نظمى خليل** » عندما نظر فى شعر أبى القاسم الشابى :

ـ كل انسان له فى هذا العالم رسالة يؤديهـا ورسالـة الشاعر أسمى الرسالات فهى رسالة العالم الاسمى للعالم الارضى وما الشـاعر الا رسـول أمين يحمل هذه الرسالـة ـ فهو الشخص الوحيـد الـذى يتصـل بالعالميـن عالم السماء بروحه واحساسه وعالم الارض بجسمه ومادته، « **فبودلير** » ينصح الشاعر بالبعد عن كل نزعة عاطفية ذاتية والانصراف الى المخيلة الناصعة التى تستطيع فى رأيه أن تنهض بواجبات لا تقوى عليها العاطفة كما يقول فى احدى رسائله : انه يعتمد أن تكون أعماله الادبية غير شخصية ، أى تكون قادرة على التعبير عن كل الاحوال الوجدانية التى يمكن ان يحس بها الانسان والاحوال المتطرفة منها بوجه خاص والشعر لا يكون شعرا بحق حتى يثبت مقدرته على أن يضع القلب فى حالة حياد ـ انظر ما قاله « **الدكتور عبد الغفار مكاوى** » : الشاعر يكتب لجميع الناس يـرضى بعضهـم ويسخط بعضهـم والشعـر فى صميمه يؤكد قيمة العالم وجدارة الحياة وتجربة الانسان ـ والشعر فى صميمه ـ احتفال وثناء ، عيد وغناء ـ بهجته ليست مجرد لذة ـ شكواه ليست مجـرد بكاء يأسه ليس مجرد قنوط واستسلام .

الشعر نظام حتى ولو عبر عن الاضطرابات والظلام الشعر أمل حتى ولـو صرح من اليأس » .

الى حد الآن لم أقتنع وتساءلت ما قول القارىء فى الغموض ؟ فى الشاعـر الذى يبتعد عن المواضيع السياسية ؟ وبدت لى هذه القضية عظيمة تستحـق الدرس طويلا حتى يقتنـع الجميـع ـ فالتقيت مـع الاستـاذ **رياض المرزوقى** تحدث لى فقال :

1) ـ قضية الشعر الذاتى قضية زائفة ، فكل الشعراء يكتبون من ذاتهـم ويوجهون كتاباتهم الى ذاتهم ، ولكن ذاتهم هذه هى فى واقع الامر جزء من بيئة تفرض نفسها ، بيئة لها مقومات وخصـائص ومميـزات من حيث المجتمـع ، والاقتصاد ، والسياسة ومن حيث النظريات والمعتقـدات ومن حيث المنـاخ الفكرى والثقافى ، والشاعر بالضرورة يعبر عن هذه البيئة .

2) ومثيل هذه القضية فى الزيف قضية المضمون والشكل ، فهل فى امكان الشاعر مثلا ان يكتب شكلا فقط ، فحتى جماعة (البرناسيين) وأهل (الفن للفن) لهم مضمون وإن مختلف التقسيمات : الشعر يصدر عن العقل ، أو العاطفة أو عنهما معا ، أو عن الخيال ... الخ ، ليست سوى تقسيمات خارجية شكلية تنسى ماهية الشعر ، وتهمل انتماءه الى الانسان بكل جوانبه فى تعددها وتناقضها وتمزقها وصراعها .

3) الغموض مسألة نسبية ، فاذا كنا نعنى بها الرمز قصدنا اتجاها قائم الذات يتوجه الى جمهور معين لا يكون بصفة حتمية عموم جمهور القراء ، أو المتذوقين ، واذا كنا نعنى ما تفشى فى الاشعار الحديثة وخصوصا أشعار الشبان من التواء ، وانعدام للتصريح فذلك له أسباب عدة أهمها العجز عن التعبير ، فمن لا يملك القدرة اللغوية ، ولا يكون ما يريد التعبير عنه واضحا فى ذهنه ، لا يمكن أن يوصل المعنى بصفة سليمة الى القارىء ، كما أن بعض الشعراء فى الشرق والغرب مرضى بأدواءمنها عقدة الاضطهاد ، والرغبة فى التمثيل ـ فى تمثيل أدوار الطليعة ـ ورأيى فى القضية :

« لست سوى محب
عبر عن شعوره البسيط
بأبسط الكلام ! »

4) السياسة ، يقول رياض المرزوقى هى آفة العصر الحديث ، فكل شىء « تسيس » ، وعلى من يتخذ موقفا سياسيا أن يضطلع بمسؤولية الكلمة ، « وألا يخشى فى الحق لومة لائم » ، فمن السهل أن نصيح عندما نأمن ، أو نحمل السلاح فى الصالونات الوردية أو فى مقاهى شارع باريس ، ومن اليسير أن نلصق شتى النعوت بمن لا يجرى مجرانا ، وان نقسم الناس الى «رجعيين» و « ثوريين تقدميين » ، ومن أصعب الصعاب أن نحمل على كاهلنا ثقل الحرف :

« لأننا نعلن ما نكتب دون أى لبس ..
لأننا أشعارنا واضحة كالشمس
نعتونا بالرجعية »
ضحوا بنا على مذابح « الثورية »
« قولوا عنى ما تبغون ..
رجعى .. قلق .. مجنون

ما تحكون

آهون من موت الاستقرار »

ثم إن الشعر السياسى ـ اذا أريد له أن يلعب دورا ـ تحتـم أن يكـون مباشرا لا التواء فيه ، ولنا فى الشاعر المصرى أحمد فؤاد نجم مثال وأى مثال.

5) « الشعراء كثيرون ، ولكنهم عند القتال ـ قليلون » ، فقد اختلطت اليوم مفاهيم الشعر ، وأصبح ترصيف كلام وأى كلام ، أو هذيان ، أو سب وشتم شعـرا :

« تضحكنى ثرثرة الشعراء

يضحكنى الطعن فى الخلف

تضحكنى أوراق اللف

تعد قصائد عصماء »

وقضية جدوى الشعر بل جدوى الادب بسطت عدة مرات ورأى بعضهم فى الشعر آنية زهر ، ورأى آخرون فيه بندقيـة ـ والجـواب أبسط من هـذا : فقول الشعر للشاعر أمر حيوى ، كالأكـل ، والشـرب ، والتنفس ، ولكنه يختلف عند القراء حسب اختلاف انتماءاتهم ، ومشاغلهم يمكن أن نجد فيه ما نجد فى فن الرسم والنحت من تسام وتذوق ، وانصهار .. ، ويمكن أن نرى فيه أداة لاثارة الافكار والقضايا ، ويمكـن أن نعتبـره عنصـرا من عنـاصر الشخصية الثقافية والتراثية للامة ، ورأيى أنه كحجارة المعالم الاثرية ، أو اللون البراق لسيارة جديدة ، أو نبضـة فـرح ، جـزء فى حيـاة الانسـان الوجدانية والذوقية والذهنية ، ومقومة من مقومات الحضارة البشرية .

والكتابة تكون للجميع او لا تكون ، لكن على الجميع التسلـح بالثقافـة ، والادراك والذوق لفهم الشعر وقبوله :

« الحرف عذابى ومصيرى

وصراطى يعبر بسطورى

وشعورى

ينزف فى هذى الاشعار ! »

وأخيرا أقول بأن الشعر ليس بفلسفة ولا الشاعر بفيلسوف .

لمن نكتب الشعر ؟ هى قضية النقاش فيها حاد ومثير ، ولكل رأيه ، أما أنا فقد أبديت رأيى ببحث بسيط فى هذا الموضوع وعلى ما اظن بلمحات كانت مقنعة ، الجواب عن هذا السؤال واضح تماما .

الشعر التونسي الحديث

بقلم . محمد العايش القوتي

عرف الشعر التونسي الحديث عدة هزات وكان ولا يزال محور نقاش وتقييم على مستوى الشكل والمضمون حيث مر بمراحل مختلفة ظهر خلالها الشعراء التقليديون والشعراء المجددون منهم من تمسك بالبحور الخليلية ومنهم من دعا الى عدم التقيد بها وخلق اشكالا جديدة ولقد كثر الجدل في هذا الصدد وتعالت الاصوات بعضها مندد والبعض الآخر مساند ومع ذلك لم تتحقق اية نتيجة نهائية تحدد الموقف .

ان المطلع على أحوال تونس الثقافية والفكرية لا ينسى أنها البلاد التي كان لها بعد القرن الثاني للهجرة أعلام من علماء الاسلام أمثال الامام سحنون ـ وأسد بن الفرات ـ تدوى بأصواتهم أركان جامع القيروان وأنها أغنت الثقافة العربية ـ على طول العصور بمثل مؤلفات ابن رشيق وابن شرف ـ وأبي القاسم الشابي وأنها كان لها طوال قرون أحد معاقل العلم الاسلامي الثلاثة الكبرى الا وهي جامع الزيتونة بتونس ، والازهر بالقاهرة ، والقرويين بفاس ، ثم انها فوق ذلك كله أنجبت للعالم بأسره أحد عمالقة الفكر الانساني : ابن خلدون .

فالمطلع أيضا على كتاب « الشعر التونسي المعاصر » للاخ محمد الصالح الجابري الصادر عن الشركة التونسية للتوزيع يتناول بالدرس قضية أساسية من قضايا أدبنا المعاصر هي « الشعر التونسي خلال قرن » أي من سنة 1870 ـ الى سنة 1970 ولئن كان أدبنا المعاصر ككل محتاجا شديد الاحتياج الى الدراسات النقدية العميقة المختصة فان شعرنا على الاخص احوج الى مثل هذه الدراسات لان الشعر كما يقول الاخ محمد الصالح الجابري في

كتابه « الشعر التونسي المعاصر » « كان وسيظل الشعر الاول من أسفار التراث الادبي لهذه الامة العربية من مغربها حتى مشرقها » .

ثم يأتي كتابه الثاني « ديوان الشعر التونسي الحديث » تراجم ومختارات الذى صدر عن نفس الشركة بامكانه الوقوف على نماذج من الانماط الشعرية المختلفة . وهي مختارات يدعم بها المؤلف كتابه الاول « الشعر التونسي المعاصر » خلال قرن ـ 1870 ـ / 1970 . ويقول في مقدمته التي جاءت تحت عنوان « الشعر أول المعرفة وآخرها » والتي تحدث فيها عن النماذج الشعرية المضمنة للكتاب « وهي مختارات تمسح واقع تجربة من الابداع والعمل الشعرى تمتد الى أكثر من قرن من الزمان سوف تختلف بالطبع الاذواق والميول في اصطفاء النماذج الجيدة فيه ، نظرا للفوارق البينة بين الاجيال الثلاثة التي عاشت تعاقب هذا القرن وتنوعت ثقافتها ومكوناتها » لكن رغم هذا كله فان الشابي ، والبشروش ، والحليوي ، ومحمود بيرم التونسي وغيره من الاعلام الذين ما زال انتاجهم مجهولا او يكاد يتطلب من نقادنا العناية والبذل مع الرجوع لجمع التراث الشعرى المشتت بين عشرات الصحف والمجلات والدواوين فنمهد به الطريق لدارسي المستقبل بالتعريف للخطوط العريضة والاساسية لشعرنا التونسي المعاصر مع تسليط بعض الاضواء الجديدة على الانتاج المختلف الاتجاهات .

كما عرف الشعر التونسي حالة تصدع كادت تذهب بأهم مقوماته إذ غلب على الشعراء القدامى حب النجومية والكوكبية رافضين كل التجارب الجديدة ، غالقين الباب أمام المواهب .

أما الشعراء الجدد فانهم أمام رفض القدامى لانتاجهم والحوار معهم شمروا عن سواعدهم وأخذوا يعملون بحثا عن مقومات شخصيتهم ، وبما ان الجهود كانت فردية لانعدام الارضية الواحدة التي هي المنطلق لكل التجارب ، فقد جاء أغلبها فاشلا . ونتج عن ذلك انعدام ملامح الابداع الفني في الحركة الشعرية ...

ومهما صلف القدامى ، فالجدد ـ رغم تشتتهم ـ أوجدوا عدة ملامح فنية لا تشبه من سبقهم نتيجة رفضهم للآخرين ، واثبتوا انهم لا يشبهون في شيء من تكبروا عليهم وبذلك حدثت القطيعة كنتيجة معقولة ومنتظرة ـ وهذا ما تعرض اليه الاخ محمد مصمولي بمقال نقدى نشر بمجلة الهلال صفحة « معارك أدبية »

حيث يقول فيه : « انني قد لا اسمي ما كتبه الشاعر نزار قباني (قصيدة نثر) وانما « شعرا منثورا » على أساس أن الشعر المنثور تمهيد « لقصيدة النثر » وعلى أساس ان هذه الاخيرة تمهيد لما يسمى « بالكتابة » الرافضة للشعر وللنثر معا ، والتى هى (كتابة – فن) وتفجير دائم للقوالب الجاهزة وللابنية الموروثة وللهياكل الخارجية التى تعكسها الهياكل الموروثة والابنية الجاهزة فى الفن .. » (1) رغم المصاعب التى تعترض الحركة الشابة فى الشعر، فقد علت – من حين لآخر – أصوات وان كانت متقطعة فهى تنبىء باستمرارية نضالها وبحثها الفعلى عن شخصيتها المرجوة ، وظل النقد الموضوعى فى إجازة طويلة لا يستطيع الكشف عن مكنونات ومخبآت مضامينها الشعرية وكان هو وحده الكفيل بذلك . نرجو المزيد من المتابعة والعناية من طرف النقاد والدارسين ·

---

(1) راجع مجلة « الهلال المصرية » العدد 3 – السنة 81 – مارس 1973 .

ملف الشعر

وا ذلاه !

شعر : الشاذلي عطاء الله

لئن كان درسا قاسيا آلم النفسَ   فآثاره في معنوياتنا أقسى !
وما كان جرحا في الأديم تزيله   المراهم أو تُمحى بقاياه أو تُنسى
ولكنّه جرح الكرامة ماله   دواء سوى أن يغسل الدمُ مامسّ

وأن يأخذ الأنف الأشمُّ بثأره   ويرفع عن عرنينه الذل والنكس
ويغسل عارا لفّنا بقتامه   ودنّس أرضا لم تكن تعرف الرجس
ويمحو خزيا كان أبشع صورة   لما اقترفت صهيون في غزوها القدس
وما سجلته من مخازٍ أدانها   بها قلم التاريخ إذ سوّد الطرس
فكم من مآس قد أذلّت رقابنا   وأرغمت المقهور أن يحنيَ الرأس

وكم من خطوب أرمضتنا بنارها   ومزّقت الأحشا وأرهفت الحس
وكان لها لذع السياط يهرىء ..   الجلود إلى أن لا تطيق لها جسا
وهل كهوان النفس بعد اعتزازها   هوان؟وهل أدوى من الذل أو أقسى؟
وهل كاهتضام الحق بعد وضوحه   وهل كظلامات تحيل الرجا يأسا ؟

ومن عجب أنا نعيش على المنى ... ونبني قصوراً من خيالاتنا ملسا
ونحلم بالمجد التليد يعود في ... نضارته الأولى ويضحى كما أمسى؟
ونحن نلوك القول حول موائد ... تدير على أنخاب ذلتنا الكأس !
نسير الهوينا دون هدي كأننا ... نرفه عن أرواحنا مادهى النفس
وأعداؤنا قد أجمعوا الأمر بينهم ... على غزونا واستقطبوا المكر والدس
ولم يكفهم ماشوّهوا من مآثر ... وماهدّموا حتّى أزالوا به الأس
وأبصارنا مصروفة وقلوبنا ... مشتتة الأهواء لا تدرك الحس
نعيش على مضغ الأماني كأننا ... سندركها من غير أن نبذل البخس
فما أبعد الأحلام عن واقع نرى ... حقيقته في الصبح لاتنقذُ القدس !

الاستاذ محمد مزالي يشرف على اربعينية

الفقيد محمد الهادي العامري

اقامت اللجنة الثقافية المحلية بالقلعة الصغرى أربعينية المرحوم محمد الهادي العامري بمشاركة اللجنة الثقافية الجهوية بسوسة وتحت اشراف الاستاذ محمد مزالي مدير مجلة « الفكر » ورئيس اتحاد الكتاب التونسيين وذلك يوم السبت 78/9/9 على الساعة السادسة مساء بقصر بلدية القلعة الصغرى .

وبعد الزيارة لمعرض انتاج الفقيد القيت كلمة اللجنة المحلية وتلتها كلمات الضيوف واخيرا كانت كلمة الختام التى تفضل بالقائها الاستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية وسننشرها فى العدد القادم .

خواطر

شعر : محمد المرزوقي

1) اعتذار

كفاني بلاء أنني متهوّر ... إذا نظرت عيني إلى مايثيرُها
وعفوا إذا شمتم بروقيَ أرعدت ... وسُحبي دنا رغم الحفاف مطيرُها
فعذري أنّي نحلة يستفزّها ... من الزهرة الفيحاء طبعا عبيرها
على أن أخلاقي المتينة كلّما ... تنبّهتُ للأخطا تصلّب سورُها

2) ردّي عليه شبابا

ضمَمْتُها لحنايا الصدر فانفجرت ... عواطفي وطغى في القلب بلبالي
ورُمتُ أن أطفىءَ الأشواق في قبل ... مجنونة أخصبتني بعد إمحال
كي أستردّ شبابي من محاسنها ... وأمسح الغيم عن أشباح آمالي
فأجفلت من سخافاتي فقلت لها ... لاتجزعي من عجوز شبه تمثال
لم يبق منه سوى ذكرى يردّدها ... أصبوة بقيت في الذهن كالآل
رُدّي عليه شبابا بات يذْكرُه ... ولا تضنّي بريّ المربع الخالي
فربّما اخضرّ عود إن تعهّدهُ ... طل ولو ظلّ دهرا بين أطلال

3) يا عربُ

يابني أمّي فضحتم قومكم ... وتنكّرتم لأمجاد العربْ
أصبح الخلف لديكم ميسما ... كلّ قيْل في طريق قد ذهب

سادرا في غيّه مستسلما لعدوٍّ كان في الخلف السبب
لو رأى أجدادُكمْ أحوالكُم لتجافى كلّ جدّ وهرب
(عرب) لكنّكمْ أبدلتم (عينكم : كافا) (1) وساء المنقلب

4) خطبٌ وشعارات

تسلّح القوم بالعلم الذّي ظهرت إليه في العالم الأرضيّ آياتُ
وحولهم من جنود الموت ألوية أشعةٌ وصواريخ وآفاتُ
ونحن، تدفعُ عن أوطاننا خطبٌ رنّانة ، وهتاف ، أوشعاراتُ
والشعب يسبح في أحلام يقظته النصف في سكرة والنصف أموات
ياويلكم إن أماط الدهر أغشية عن عينه واستفاقت فيه شحناتُ
فسوف يحطمُ ماقد شيد من خدعٍ كالسيل يصحبه هول وإعناتُ

5) لماذا اعتزلت ؟

يتساءلون : لم اعتزلت وكنتَ مَو صولَ التأنّس دائم الإينـاس
فأجبتهم : إن اعتزالي ناشىءٌ عن عمق تجربتي بغدر الناسِ

---

(1) عرب = كرب

تقدّم ...

شعر محسن محمد

تقدّم تقدّم ولا تألُ عزما
تقدّم وصارع جنود الظلامْ
فلا أنت تترك للحظّ وهما
ولا أنت تُخطىء خلق الحياة
حياة العيون حياة الجناح
وتُخفق - عمقك - رايةُ عزمكْ
وتطفو تعاكس هبّ الرياحْ
وأنت تصارع جند الظلامْ
وإنّي لأعرِف منك الجهادْ
وإنّي لأجهل فيك النصبْ
وإن كنت تعلم كلّ الأمورْ
وإن كنت تعرف أقصى البعادْ
وعمقك لطف وطيب ولينْ
إلى حين أن الظلال ... الظلالْ
تُحدّق فيك عيونا تغورْ
عيونا بعاد
تظنّ حقوقا عليك لها
حقوقا عظام
فياليتها لا تسيءِ الأدبْ
إليك أخي فارس الخالدين

* *

تقدّم تقدّم ولا تأل عزما
تقدّم وصارع جنود الظلام
إلى حين تحمل عبء البشر
إلى حين تملك غيب الدهور
وغيبُ الدهور وعبء البشر
لنعم القدرْ
وبئس النفوس التي لا تبرّ
أخوك أخي وأبوك أبي
تقدّم وصارع فما من نبي
سوى من تعلّم كلّ الأمور
سوى من تعرّف أقصى البعاد
وحُمّل عبء الحياة الشديد
وقاد الجهاد صغيرا كبيرا
وسوّى الظلام ضياء ونورا

* *

وإذْ ما أردتّ ضمان الخلودْ
تقدّم تقدّم أيا ابن أبي
تقدّم وصارع جنود المماتْ
فلا بدّ تبني صروح الحياة



في أرض الجبن والجهل...

شعر: نور الدين صمود

أ — متناقضـات

— 1 —

لم أسمع عن أرض يُوضَعُ فيها الرأسُ مكانَ الرِّجلِ
لم أسمع عن قوم لا فرقَ لديهم بين الظبية والعِجلِ
لم أسمع عن شعب لا يُدركُ أن المِزْهَرَ غيرُ الطَّبلِ
هـذا أمر لا يَخطُرُ في العَقـلِ
لكن يحدثُ في أرض يتفشَّى فيها الجبنُ مع الجهـلِ

— 2 —

محترفو خنقِ الأحـرارْ
من لا فرقَ لديهمْ بين الأفكارِ وبين الأبقارْ
نُصِبوا لرعايةِ نَشرِ الأفكار !
لا يخطر هذا في العقلِ
لكن يحدث في شعب يتفشّى فيه الجبنُ مع الجهـلِ

— 3 —

إن فَازَ جَـوادٌ في ميدانِ الرّكـضِ
تهتزّ لـه أرجـاءُ الأرضِ
وتغنّي لسنَابِكِـهِ الدنيـا ذاتُ الطّولِ وذاتُ العَرْضِ
لا يخطُرُ هـذا في العقـلِ
بل يحـدثُ في أرضٍ يتفشّى فيهـا الجبنُ مع الجهـلِ

— 4 —

لكنْ أربـابُ الفكـرِ وأصحـابُ الشعـرِ
من نذَرُوا العمرَ الغـالي لمقاومـة القهـرِ
مـا زالـوا في منطقـة الصِفـرِ
لايخطر هـذا في العقـلِ
بل يحـدث في أرض يتفشّى فيها الجبن مع الجهـلِ

— 5 —

مازلنـا نـزرع في أرضِ الملـحِ
ونَشُجّ بأقـدامِ الليـلِ جبيـنَ الصّبـحِ
ونـرشّ الملحَ المحـرق فـوق أليم الجـرح
لا يخطـرُ هـذا في العقـلِ ؟
لكن يحـدثُ في أرضٍ يتشفّى فيهـا الجبنُ مع الجهـلِ !

— 6 —

كـانت أصـواتُ الأحـرارْ
تخنقهـا أيـدي الأشـرار

لكنْ بعد سقوطِ عُروش الإستعمار
لم يك يخطر في العقلِ
أن يخنقها الجبنُ مع الجهلِ !

ب ـ ضيـاع

ـ 1 ـ

ضيّعتُ كياني
في هذا الكونِ السّاخرْ
ومضت تجري الأعوامْ
تمؤها الآلام
وأنا ما زلتُ أحسّ بقلبٍ تسحقُهُ الحسَرَاتْ
أنّي أحيا كالأمواتْ
في كونٍ مظلوم ظالمْ

ـ 2 ـ

ضيّعتُ لساني
في هذا البحرِ الزّاخرْ
أحسستُ بغربةِ صوْتي
في بيتي
أنكر صوتي كلّ الأصحابْ
أنكرني كلّ الأحبابْ
وتملّكني إحساس الطّيرْ
في سجن الأقفاصْ
وأخذتُ أحاولُ أنْ أشدُو

لكنّ لساني صارَ رَصاصْ
في كون آثم !!

— 3 —

ضيّعتُ زماني
في هذا الزمنِ الهادرْ
عمري المهدورْ
يمضي هَدَرَا
وغنائي السّاحرْ
أضحى هَذَرَا
ما أقسى هذا القَدَرَ القادر !!

ج — دماء الثورة في أعصاب الحروف

— 1 —

سكَنتْ في الروضِ بلآبلُه
لما نعقتْ في القفرِ الغربانْ
ووراءَ السحب السودِ توارتْ أنوارُ الشمسْ
لكنّ الحبرَ الأسوَد كالليلِ يسيل على صبحِ الطرْسْ
فتزولُ عن القلبِ بلآبلُه
وتغنّي في الروضِ بلابله
ويمزّق جلباب الظلمة قرنُ الشمس
وتعودُ إلى أعصابِ حروفي
دفقاتُ دماءِ العزْمِ الثائرْ

فتعرّي عورةَ كلّ جبّـــانْ
من فئـةِ الخصيّـــانْ
من أقـزَامِ السّلطـــانْ
ممنْ داسُـوا الحـرّيهْ
ممـنْ قتلـوا الأحـــرَارْ
ممّنْ شنقـُوا الثُّوّار
في أقصى الأرض وفي أدنَى الأرضْ

— 2 —

أعصَابُ حروفي يجري سَيـلُ الثورْ
تتدفّقُ فيها عَيـنٌ ثـرّهْ
تجعـلُ من ليـل الحبـرِ نهَارْ
ينسـابُ كشلاّلِ ضيَـــاءْ
يغسـلُ آلامَ الفقـراءْ
فتَصيرُ حروفي نَهـرَ مشاعِـــلْ
تتـدفّقُ منهـا الأنـــوارْ
تَصلـي بلظاها الأشـــرار
ويصيـر النّـورُ لهـذا الكـون شعَـــارْ
وتمـوتُ الظلمـةُ إذْ نَزْرَعُ في الآفـاق
آلافَ الأقمـــــارْ

فصل من كتاب المنازل والديار

شعر : محيي الدين خريف

كأنّك لم تكن جرحي وأغنيتي
وبيتي يمرح الأطفال فيه وتورق الدفلى
وتعشق زهرة الشعراء
في أطباقه السفلى
كأنّك لم تكن نافورة الأمطار،
تسكبها السماء على المدينةْ
في ليالي السهد والتعبِ
فمن لي بالخروج الآن من سغبي
وأنتِ النّار قد تأتي على حطبي

— 2 —

هجرتكِ يا ديار العمرِ
نكرتك حين ذلتني المسافة يا ديار العمرِ
بكيتك حين عشتُ بدمع طفلي يا ديار العمرِ
تركتكِ حين بعتُ هوى زماني يا ديار العمرِ

ولم أعشق سواكِ
وأنتِ أبعد من سماء الله عن عيني
ألمّ الحبّ فيك وبعد ما أشقى
أبعثره ومالي حيلة
وسواك لام ولجّ في اللومِ
وما يعنيه يا شبّابة السحر
وقد هومت في الآفاق يا شبابة السحرِ
أموت وتنطفي بلواي يا شبابةَ السحرِ
وأحضن آخرَ الأوطان يا شبابةَ السحرِ
وأطوي النهرَ ، أطوي الجسرَ يا شبابةَ السحرِ
لألثمَ وجهَ مولاتي
وقد تعبت ركابي من عبور البحرِ والسفرِ

— 3 —

سمعتكِ في حديث النّاس في المقهى
وكنت لهاث قلبي حين دار حديثهم
أصغى وأصغى يحتويني المد والجزرُ
وأذهب ثم أرجع
يلتقي حلمي بكلّ حرارة الأشواق في عينيكْ
وأسألهم فلا أحد يجيبْ
كبرتُ يا شوق الينابيعْ
وطالت بي ليالي السهد يا شوقَ الينابيعْ
وما جدوى انتظار طالْ
إذا ما أغلق المرفأْ
ومات بخاطري الترحالْ

تجاوز عمري السبعينْ
حصدْتُ سنابل الساعاتْ
أطعمتُ الجياع سقيتُهم من خمرة الفرحِ
وأبقيت الفراغ المر في قدحي
تمرّ مواكبُ الأشباحْ
ويمضي موكب ويجيء في أعقابه موكبْ
كثير هم ولكن لا أرى أحدا
سوى عينيكَ يا صوتَ الغريب النازح النّائي
سوى ما كان من عطش إلى الماء
وأنتَ الماء حتّى نهاية العمرِ
وأنت الحب حتّى نهاية العمرِ
وأنت ربابة الشعراء حتّى نهاية العمرِ
فلا تلوي خطاي
الخصب يكتبني وأنتَ الشهد في الثمرِ
وأنت الفلك أنت الموجُ
أنتَ نهايةُ السفرِ

أمّ كُلثوم

شعر: عبد المجيد بن جدو

يا قارِىءَ الكفّ قلْ لِي ماترَى بغدي   وما أضاعتهُ في ماضِي الزّمانِ يـدِي
قلْ لِي بربّكَ عن داءٍ أكابدُهُ   فالطبّ أعياه وصفُ الدّاءِ فِي كبدي
أدرِكْ فؤادِيَ قد باتتْ تعذّبُهُ   أحلامُ ماضٍ طواهاَ سالفُ الأمدِ
أيّامَ كانتْ بها الأيّامُ ضاحكةً   والأرض خضراء كالفردوس في بلدِي
غنّى بها الجدْوَلُ الرّقراقُ من طرَبٍ   والطّيرُ لم يبكِ منْ حزْنٍ ومن كمدِ
كانتْ كومضةِ إشعاعٍ تجلّلنِي   تزيلُ غمِّي ويمحو صوْتها نكدِي
كانتْ كبسمةِ فجرٍ حين تشهدُها   شبابهَا مثلُ أنسامِ الصّباح نـدِي
أبصرْتها مثلَ طيفِ الحلمِ شادِيـة   عصفورَةَ بيدِي طارَتْ ولم تعُـدِ
فأيّ قلبٍ وإنْ نامتْ لوَاعجُـهُ   غنّته صوْتا فلمْ يعشقْ ولمْ يُرِدِ
قد أبدعَ اللهُ في إنشائِهَا فبَـدَتْ   للعينِ ما مثلُهَا في النّاسِ منْ أحدِ
كانتْ كدوْحةِ نسرِينٍ تظلّلُنـي   فكنتُ في ظلّهَا ظلاً بلاَ جسَـدِ
ظلّينِ كنّا بدرْبِ الفنّ فامتزَجـا   فأصبحَا واحدا في الكُنهِ والعَدَدِ
قد كنتُ لاَشيْءَ في الدّنيا يروّعنِي   فبتّ منْ بعدِها جلدا بلاَ جلَـدِ
باتتْ بها مهجتِي تشكو مواجعهَـا   والرّوحُ من فرْطِ ماألقى الصدود صدى
فأيّ قلبٍ ضعيفِ الحسّ تنشِدُهُ   حمامةُ الدّوْحِ لم يطرَبْ ولم يَجِدِ

فالحبّ من قلبها نبعٌ يفيض بــه   ينساب كالسّيل في أحلامنا الجدُدِ
(فهذه ليلتي) من صوتها انبعثتْ   مرثية قد بكتْ فيها ضياعَ غدِ
ضياع يومٍ به كانتْ مراكبُنا   تمْضي رُويدا على بحرٍ بلا زَبدِ
بحرٍ به الموجُ ، والأنسامُ تدفعهُ   كثوْبِ حسناءَ قد وشّتهُ بالبردِ
كانتْ تقاسمنا الأتراحَ ما أرقتْ   عينٌ ، وما وجدتْ أمٌّ على ولدِ
أمستْ لها وقفةٌ في الحرْبِ نعرفها   ياكم حدتْ فتية في الحرْبِ كالأسدِ
تحدُو الكتائبَ في الميدانِ زاحفة   كأنّما الصّوْتُ من بدْرٍ ومنْ أحُدِ
مازال من لحنها في القُدْسِ ملحمةٌ   تحدُو طلائعنا منْ صوتها الغردِ
سارتْ وقد كانتِ الإسلامَ منهجُها   لمْ تلو عن قصدِها فيه ولمْ تحِدِ
كمْ آيةٍ رجّعتها وهي خاشعةٌ   يا آيةً في كتابِ الله لم تَرِدِ
إرادةُ الله سوّتها مغنّيـة   في مثلها الدّهرُ لمْ ينجبْ ولم يلدِ
بادَ الزّمانُ وولّى بعدَها ، وقضتْ   وصوتها الحلوُ لم يضعُفْ ولم يبدِ
كنّا وكانتْ رحابُ الأمسِ تجمعنا   واليومَ لحمتنا آلتْ إلى بددِ
توسّطتْ في الجنانِ ، الحورَ لابسةً   من بردةٍ أنشدتها أجملَ البُردَ
واستوثقتْ بعُرى القرآنِ لائذةً   أكرمْ به في جنانِ الخلدِ من سندَ
فاللهُ في جنّةِ الفردوسِ خلّدها   فضلا وأسكنها بالأرْضِ في خلدي

في ذكرى سعيد أبي بكر

شعر محمد الشعبوني

يا شاديا غنى الحياة وراحا   رجع الصبّاح وما رجعت صباحا
أين الهزار وأين منه نشيده   يحيي خلايا المنتدى إصباحا
ويصوغ في الأسحار أينع جنّة   ويبثّ في أزهارها الأرواحا
أين (النّديم) وأين في (ممتازه)   تلك الغصون الزاهرات (1) لقاحا
و العالم (2) الجوال يسمو فنّه   (ودليل (3) أندلس) برسمه لاحا
وحياة مؤتمر (4) أجاد فصولها   قلم السّعيد وخطّها إفصاحا
أوحى بها صورا ترفّ نضارة   والحق ينطق يا (سعيد) صراحا
يا رائد التجديد في خضرائنا   يا حافظا لقلوبنا المفتاحا
أحبابك الغرّ الميامين التقوا   يستلهمون الشعر و الألواحا
يتنافسون على هدى ومحبّة   يترشّفون من الرحيق الرّاحا
يستعذبون حياتهم في رقّة   ويوزعون من الهوى أقداحا
وبهم حنين للذّي أسرى ولم   يقطف من الزهرات بعد وشاحا
قد ذاب في روح الجمال وجوده   وله الجمال بدون زيف باحا
هي تونس (5) الخضراء تملك روحه   وبقلبه قد صورت (5) إيضاحا
مازلت أسمع والبلاد كئيبة   ويد الخلاف تجسّم الأتراحا

---

(1) ديوانه الزهرات نشر بالنديم تباعا
(2) مجلته (العالم)
(3) كتابه دليل الاندلس
(4) كتابه (مؤتمر البعث) وقد نشره فصولا (بالنهضة)
(5) مجلته تونس المصورة

و (سعيدنا) الغالي يناشد شعبه ... ويهزّ صوتا في الحمى صداحا
(حتى متى تبقى بلادي هكذا) ... ويزيد في دعم الوفا الحاحا
قد كان شعره في سبيل بلاده ... صحفا تفيض من الفؤاد فصاحا
وعلى العدوّ له مواقف حرّة ... أنعم بحرف الضاد منه سلاحا
وسل (الإقامة) وهي أدرى بالذّي ... لفح (الإقامة) لا يخاف جناحا
وصحيفة قد فضلت (أفعى) على ... جنس العروبة . صدّها نفاحا
ومن الصحافة ما يشرف أمّةً ... إن أخلصت فيها اليدان كفاحا
ومن التهكم ما يؤثر وقعه ... ويرد من يعنيهم أشباحا
ومن القصائد ما يرق عذوبة ... ويسيل في عرض الحياة قراحا
قد كنت أول شاعر متجدد ... روحا ومعنى بالجمود أطاحا
ناجيت أغصان (6) الخريف ولم يزل ... ذاك النشيد بدربنا وضاحا
صارعت أمواج الحياة بهمة ... وطويت أشباحا بدت ورياحا
ورفعت رأسك في الحياة مناضلا ... بالحرف . والحظ الجميل أشاحا
قد كنت للشعب الضعيف محاميا ... وبليله عند الشتا مصباحا
هذي قصائدك التي خلدتها ... بقيت تفيض محبة وصلاحا
هل تذكرون نداءه أن كفكفوا ... دمع الكلاب لكي تكفّ نباحا
ولتمسحوا دمع الحمير وأطعموا ... قططا تموء فلا تزيد صياحا
أما ابن آدم فهو أولى منطقا ... بالصبر والإيمان ويك سماحا
لك في ذرى التنكيت أبلغ قوله ... إذ لم يكن صوت الأديب مباحا
قد كنت تضرب ما تشاء بقوّة ... وتسير حقّا ماهرا سباحا
يا من رأيته مرّة وبجانبي ... رب الأنيس (7) وقد أجاد مزاحا

(6) قصيده الغصن الكئيب فى ديوانه السعيديات
(7) تعرفت على الفقيد بواسطة صاحب جريدة الانيس الزميل محمد احمد شبشوب

وعرفت أنّه لا يعيش لنفسه وشعاره أن ينشر الإصلاحا
قد ظلّ طول حياته متعذبا يبغي لتونس عزّة وسراحا
حتى إذا اختطف المنون (سعيدنا) وجم الرفاق وما دروا إفصاحا
وبكى لنعيه في الطبيعة عاصف أرغى على خضرائنا مجتاحا
وبكيت حين سمعت أنّ (سعيدنا) ركب السّماء مطية وجناحا
وأبى الرّجوع إلى الحياة ولهوها متشوفا للمنتهى طماحا
ياليته يرنو إلى أحبابه وهم هنا يتسابقون فلاحا
أسعيد والإنسان من آثاره يحيا ويلقى قيمة ونجاحا
ها أنت في كلّ القلوب منزّل فيها اتخذت مكانة ومراحا
ها أنت في (المكْنين) قلب شعورها والشّعب يحيا عهده أفراحا
والشعر عاد إلى الوجود بسحره وأعاد أركان الوفاء صحاحا
لوكان شاعرنا سعيد ههنا لاقام أيّام السّرور ملاحا
أسمعت روحه تستحث صفوفنا وتجوب هذا المنتدى والسّاحا
وتردّد اللحن الجميل المنتقى وتبارك المستقبل اللماحا
وكتائب الخضراء تحفظ ود من أوفى بعهده نحوها مرتاحا
أسعيد خذ عهدا على أهل الوفا أن يذكروا شعر الوفا الفواحا
ونشيدك الممتاز فوق شفاهنا نشدو بلحنه غدوة ورواحا

حــــــق ، وتحقـــــق ...

شعر : رياض المرزوقي

(1)

قالوا في الأمثال :
لا يوجد حق !
فالحقّ فتاة ومثال
تتبرّج في الأثواب الزرق
كطيف خيال .
قالوا : تأخذ حقّك يومَ قيامه
لاتطلب حقّك في الدنيا
أو حقّك في أيّ كرامه !
أترك لله القادر أن يمنحك الحقّ !

(2)

قالو في الأمثال :
لا تحمل همّا أو غمّا
فالدنيا أشبه بالحلم
والقدر الأعمى
يُعمي أو يصمي .
فلماذا صراع لا يجدي ؟
ولماذا الحرب
أحببْ أعداءك ، ذبْ في الحبّ
والمجد اتركه لربّ المجد !

منْ يصفعك يمينا
فليصفعك شمالا
إسمحْ وتسامحْ !

(3)

قال الثوّار
على خطّ النّار :
الحقّ بفوهة مدفعنا
نفتكّ الحقّ ولا فضلا
ونسابق بالعمل القولا
فالله يراقبنا فعلا
لكنّ الحقّ على وجه الأرض
منْ رغب النومَ ينامْ
لكنّ الأحلام
لا تشفي منْ فقد الأرض
فالحرب المفروضة حبّ
حبّ للأرض وللانسان ، وللاصرار
المجد !
منْ يصفعك يمينا
فاصفعه يمينا وشمالا
حقّق وتحقّق !

لطيور الزينة تبيض الصحراء

شعر : علي دب

« 1 »

وأعودُ إليكَ مُغَطّى بالوبـر الفضيّ
وفي عنقـود اللفظ الفـوّاحِ
ومن زهر البحر وأظفار الطيـب
وفوق النجمِ الريشـيّ
خلايا – وقناديلَ – وأحجارا حمراء
وحيتانا ، ومحارا تفاحيّا
أزعم أن الدنيا انفتحت في وجهي . فتمنعت
وأكـذب ،
أفحش من كل الشعراء ، وأغـوى

« 2 »

ورجعت لألقى أمّي في الوكر القـروي
« ترقّعُ جلبابا من كتّان أمْريكي – جاء على شكل هدايا
وتقاسمه التجّار « الوطْنيون » بأسعار رمزيّـة »
كانت تغرز خيطا أسودَ في الوجه الناعمِ فوق الكتّان
بدور المثل الشعبي على فوديها البيضاويـن
وتعرف من أحوال الدنيا أكثر منّي ...

حدثني عن أشكال العالم – قالت –
من هذا الثقب المعزول أطل ..
وبدأت أجوب الدنيا أمسح ورق الحلم
وأنفث في الأرواح دما .. :

« 3 »

– « أذكر بين محطات الكون نجوما في الأفلاك القصوى
لا ينزل منها صوت كنت وقفت عليها .. »
تتحدر مني الأخبار مدورة وأشد عصافير النوم
بقفاز ذهبي / فتجيء الأطيار تغلق جفني
باستار الورق الناعم ريشا مائيا
وبواكير الزهر يذر بها قلبي الملفوف :
– « ما أضيق هذي الدنيا بين محطات الدول الكبرى .. »
ارتجف الكتان وضحك الوجه الفائض صفا مطليا
يطفح من عينيها مسحا .
وفضاء ، يرسب فيه النغم الفارغ
هذا المهتز كظل مقطوع بالفجوات السود
وأسراب التعب الفاقع
– قالت : قرب لي الأسفار بهذا الجزء
الناحل من أطراف الصحراء
جاء الخبراء قوافل ومعدات حافلة بالأرقام
الأفرنجية والأسماء
أولمنا لهم سكروا
أفرغنا الأحلام الشعبية فيهم
قالوا : إن بلادا لا يحميها الإستثمار ،
ونقل الدم ،
لن تصبح في حجم البلدان الكبرى ..
ثم ارتحلوا ...

« 4 »

جاء البحر مغطّى بقشُور الحوتِ الزرقاء
تموّجَ فوق البحر لساني – قلّع صوْتيِ الألمُ
انقشع الغيمُ – تقلى النّبتُ ، الصخرُ ، النبعُ ضراما
وتغوّر شكلي
فالوجه تقسّم بين الأحجام القروية ، والصدرُ المُدْمِنُ
فيضٌ من ذوبان الأرجلِ والسّيقانْ ...
فقفلتُ الصدرَ على آخر سرّ يُرْمَى فيه
وأحكمتُ أُحاذِرُ أن يتقصّف ضِلعٌ فينزّ القولُ
وأبقى في أفواه البحر رصيدا للحيتانْ

« 5 »

ها أنّ السرّ تفيض حواشيه
تفوحُ على أسياخ الماء بقاياه
وندّتْ شفةُ الحيتانِ بأخفى الأسماء السريّة :
ويقول البحر : « بلا ضغط أشهدُ
أنّ الحوتَ الأصغرَ يأكلُه الأكبرُ في كلّ بحار الدنيا »
أسندت الرأس على ذيلٍ وبريّ الطُّول
تدثّر صوتي بين عيون الحيتان ذُؤَابَاتٍ ،
والخفقانُ الدائرُ خيطا دمويّا ،
تتقلصُ ... حتّى الأطرافِ السُّفلَى
– من كان يصدّقُ أنّ السرطاناتِ وأفراسِ البَحرِ؟
وتيجانِ المَاء
وأمّي
تَعـرِفُ
وأنا لا أعرف شيّا



كضحايا التميز ، هو العشق العربي ...!

شعر : الصادق شرف (ابو وجدان)

عندما تقفُ الأرض منشطرة بين الذاكرةِ والنسيان يبتدىء العشق .. ويرحل كلٌّ من الشطرين في لحظة مابعد العشق ، يرحل نحو الآخر منغمسا فيه حتّى المدى الأرحب ..
وَيْ كأنّ كلاً من الشطرين سيكونُ هو القربانُ المقدّس في رحلة الوجود الرحب .. من أجل العودة إلى الإنسان الإنسان .

* * *

I — رجـاتُ الميـلادْ ..

وتُدقّ الأرضُ برجاتِ الميلادِ .. الأرضُ تَدُقّ سنابكُها أرحامَ الذّاكرة العربيّهْ .. تتوغّلُ فيها ، في لحظةِ مابعد العشق ، وتجتازُ متاريسَ الإيقاف الخشَبيهْ .. تتحدّى سلطاتِ الحدّ .. وتعتنقُ الإنسانَ ، وما أمجدَ أنْ يُصبحَ عشقُ الإنسانِ قضيهْ .!
أن يصبح فلسفة عشقُ الإنسانْ ..
يتجاوز فشلَ الأديانِ ، به تؤمن كلّ الأديانْ ..
فمتى ينقضّ حمام / الإيمان بهذا الإنسان / على ليلِ الطغيانْ ..؟
وَيُمرْهمُ بجناح الحبّ جراحا تستنزفُ لبنـــانْ ..؟

ما أوسع خارطةَ الجرح . وما زالت تكبرُ .. تكبرُ .. تجتازُ حدودَ
الأرض .. يعمّ الطوفانْ ..
الجرحُ يطوفُ دموعا في كُلّ الجبهات يجعّد ذاكرةَ النسيانْ ..
والدمع يفيضُ عيونا تتجمّد كالوشم التوطينيّ على وجناتك يا فيروزْ ..
وجناتك لافتةٌ تعبرُها رجّاتُ الميلاد تجعّدها كجبين عجوزْ ..
ما أغربَ أن يتجسّدَ خدّ فتاةٍ مازالتْ جدّ فتيّهْ !!
فيروزُ .. وحوريّهْ ..
يا جُرْحيَ ذاكرتي العربيّهْ ..
جرحٌ في الشرق عميقٌ . يتعفّنُ محشوّا بالتبن الدارس .. وانسدّ الجرحُ
تنفّس في الساقيةِ الغربيّهْ .. يا عجبا .. أوراق التبن قد اخضرّتْ / في
جرح يقطعُهُ جرحٌ / تجسيمُ صليبٍ / نعبدُه أوليستْ تلك ثنائيّهْ !؟
جرحانِ اثنان قد انسدّا . فانفجرتْ مابين هلال الجرحين بُحيراتُ
الغربةِ مابين الإخوانْ ..
ما أخطرَ أنْ تنسدّ جراحٌ / أنْ تلتحمَ برصاص القهر عن الفيضان !

* * *

2 — ميلاد العشّاق ..

من عمق بحيرات الغربة ينطلقُ المجدافُ الآن إلى جزرٍ تتجمهرُ فيها الأشواقْ
للفتح يقوم شديدا مابين القلب .. وبين العين .. وبين الساقِ سباقْ ..
يتفتح أوراقا خشبُ المجداف .. وكم تولدُ من صلبِ الأخشابِ الأوراقْ ؟
كم يولدُ من بعض رسالات الغربة ! كم يولد آلافُ العشّاق ؟ !
في بدء الغربة يركبُنَا قلقٌ منشطرين ، ونركبه مهرا عربيا في المهمَهِ
يقتحم الآفاقْ ..

كخيـال عشيق يقتحم الخدرَ على المعشوقة من كلّ الأنفاقْ ـ
آه .. كم خـدّرَ لثمُ الأعناق شفاهَ العشّاق ؟! وكم مثّل عشاقُ القهر
بخـدْر الأعنـــاق !؟

لونمسكُ زمن القهر من الجيد نضيّقهُ ، أيدينا في عنق القهر خنـــاقْ ..
يا امرأة تشتاقُ إلى الفسحة .. تشتاقُ عبور الأصنام على ومضات بـراقْ ..

لا تخشيْ من ضيق الأنفاق علينـــا ..
إنّـا .. والضيقُ نوسّعه حيـن تكونين إلينا ..
الفرحَ الواعـــدْ ..
وحراكَ السّاعدْ ..
وثباتَ السّـــاقْ ..

*

3 — العشاق في أرحام المستقبل ..

العشق يلقّحُ أرحام المستقبل بمخاض البركان فنولد نحن العشّاق الشعراءْ..
القمحُ رعايانا ، ينضج في أبراج سنابله . والمنجلُ في قبضة حصّاد
أسمرَ كالعنبر عنترَ من أبناء الفقراء ..

(لا الشرقُ من الشرق) يحدّك بامملكة العشّاق .. نهارُ الإنسان حـدودْ ..
// أرحـام الأرض جـــدودْ .

(لا الغربُ من الغرب) يحدّك بامملكة العشّاق .. حدود الإنسان بغير حدود ..
// أرحـامُ الحقـد مقابـر كـلّ وجـودْ ..

(وشمالا) ، لا بالثلج نحدك بامملكة العشّاق .. نحدّك لابالماء ولكن بالأعماق
ما أعظم مملكة تتحـدّد بالأعمـاق .! أجـل بالأعمـاقْ !

(وجنـوبا) ، لا بالصحـراء نحـدّك بامملكـة العشّاقْ ..
بمخاض الصحـراء نحدّك .. بسـواد كـم يتحـرّق أن ينجب
طفلا عربيّا عملاقـا يتصارع والعصرَ العمـلاقْ .؟

العصرُ بسكينه ذات الوجهين يبدّل كلّ الأذواق ، أجلْ كلّ الأذواقْ ..
لا يبقي للّون ولا للطّعم مذاقا أيّ مذاقْ ..
ياطفلا عربيا لم يخش إلى الآن الكسين وقد تقتله نكتّه لا يقبلُ تبديــلاً ..
ياطفلا عربيا تطعنه السكين من الخلف ، فيبعثُ فينا الصرخات مواويــلاً ..
م وآله يطعنُ أمّه .. أمّاه لقد صارت طعناتك أنفاقا كدهاليز التّاريخ ومافتىء الدهليزُ رهيبا وطويلاً. طعناتك مازالت أنفاقا ، وعيونك أنفاقا آ ذانك أنفاقا ، مازال مصيرك أمّاهُ أنفاقا .. ونفاقا .. مازلنا نبصر قاطرة التجّار سماسرةَ المسخ إلى أعماقك تعبرنا من تلك الأنفاقْ ..
مأبشع أنْ تصبح كلّ جراحات الأمّة أنفاقا ! أنْ تفتح لعصابات النهب كنوزُ الأعمــاقْ !!
4 — المستقبل لزجٌ يا حوريه
فيــروزُ وحــوريّــهْ ..
ياجرحيْ ذاكرتي العربيّــهْ ..
مابين اللّحظة واللّحظة يغتالُ محياك دبيب النسيانْ ..
هاوجهك يرحل ياذاكرتي كرحيل الأدمغة العربيّهْ ..
كرحيل الخصبِ المتدفّق من خضرة عينيك الحالمتين بسلاّت من أعشـاب بحريّــهْ ..
لايرحل كالعطشان إلى الماء المتدفق نحوَ الشطر الآخرْ ..
بل هذا العطشان كجيل الداموس متى يولد يرحل في المنجم مكسورَ البهجة والخاطرْ .. كجبين الشغال تصبّب منحدرا للذقن المعشوشب / فالبعضُ تقاطــرْ .. /
/ والبعضُ الآخــرْ .. /
يتجمّد فوق لهيب الخديــنْ ..
كجمـود غدير من دمع في مقلة طفل في الغربة قد فقدَ الأبوَينْ ..
إنا لانرحل في أمسك يا امرأة المستقبلَ ، لانرحل إلاّ مكتوفيّ السّاقينْ ..

يتقاطرُ فينا المستقبلُ لزجا من رغوة شفتيكْ ..
كم نوغل كالزورق في لزج الرغوة ! لكنّا نفشل ، نفشل في إيقاف الزورق بين يديكْ ..
تيارُ الساحلِ يجرفنا للداخل . خافرة الداخلِ من طمي الرغوة ترجعنا لمرافيء زنديكْ ..
ما أجملَ أن يسرقنا إعصارٌ ناريٌ من ضفةِ عمقِ المنفى !!
يلقينا ميلادا آخر في جزر أخرَى ..
لا تسبحُ في الماءِ ، ولكنْ تسبحُ في عينيكْ ..

* * *

5 — جبهة الرفض لوجه الحمد ..

الأمواج الشرقيةُ تحملني عنوانا في قارورة بختٍ ألقاها للبحر فتى أسمرُ يعملُ بحّارا ..
وأخوكِ صغيرٌ ياحوريّةُ يلعب بالصنّارة ليلا ونهارا ..
يصطادُ صغار الأسماك أخوكِ صغيرٌ يصطادُ صغارا ..
قد تكبر كلّ الأسماك ولكنّه لن يكبر .. سيصيرُ ولكنّه ماصارا ..
سيظلّ صغيرا يصطادُ صغار الأسماك فتصطادُ القارورةُ صنارته ويجيء إليكِ بها مفجوعا بالشّمع الأحمر محتارا .. سيظل أخوكِ صغيرا ، فأنا محظوظ ، والقارورة تدخل وبلااستئذان وبدون جوازاتْ
في حلم فتاةٍ تحلم بالفارس كجميع الفتياتْ ..
وتفكّينَ المختوم ، فيقفزُ عنواني عصفورا مبتلاً يرعشه البردُ ، يصير العصفور كتابا محزون الكلماتْ .. ياحوريّةُ جاءتني منك رسائلُ غزلٍ بالعطر مضمخة .. ألتحقنَ بالبنج حياتي .؟ وصلتك رسائلُ

طيشي طافحة بالملح، ورائحة العرق المتخثر تتفجر فقاعا من عضلاتي .:
وصلتك الرائحة البكرُ تعشّقت خشونة قومي ..
وركبت صلابة لحمي المشويّ على كلّ الجبهاتْ ..
وجلسنا في صالون البلّور على نخب رسالتنا الأولى نتساقى نضحك من أنفه بعض الحركاتْ .. نتفلى بعض الصحف اليوميّة في باريس ، ونبحث عن شغل في ركن الإعلاناتْ ..

نتفسّح والليل بأوربّا أجمل مافي أوربّا من منتزهاتْ ..
ونزور « اللّوفرَ » نتجوّل في بعض شوارع ليل المخطوطاتْ ..
نقرؤها نضحك في حزن ، نبكي في صمت البسماتْ ..
هل تقرأ عيناك كما تقرأ عيناي جراح الكلماتْ ..
مخطوطات من تاريخ العشق العربيّ على صدر جدار يتآكل ..
ما بالك بالصفحـــــاتْ ..؟

هل تسمعُ عيناكِ حكايا في متحفنا الوطنيّ ؟ وهل أمتعُ من أن يسمعَ كلّ الأطفال بكلّ حكاياتي .؟ عن زورق صيّاد حطمه طربيدُ المحورِ والحلفاءِ معاً في كلّ الهجمات على كلّ الجبهــاتْ ..

ما كان ليحملَ ذاك الزورق غيرَ القوت لأطفال المحتشداتْ ..
العالمُ أصبح محتشدا لا يرحمُ أطفالا .. والزورق حطّمه المحور والحلفاءُ فما رحموا أبويّ ولا أبويكِ ..!
فدخلنا للكون يتيمين ولا نملك غير الألقاب الموروثة من مرض الإسقاط التــركـــي ..
فجهازُ تناسلنا مخصي كالثور الملقيّ على حلبات النقش الأربسكـي .:
شريان ثقافتنا مدنيّ بالطبع ، ومطبوع بالنوع على قنينة وسكـــي ..

عيناي .. وعيناكِ .. وعيناهُ .. وعيناهَا ..
كجَّات زجاج ، لم أرها ترنو إلا للطلل المُبكـــي ..
لم أرها تضحكُ باليمنى إلاّ وأراها باليسرى وطنا تبكـــي ..
ياوطنا من خلف بحار النّار تعلّمْنا الأشفاق علينا .. فلماذا لم نتعلّم منكَ الإشفاقَ عليكْ !؟ ولماذا لم نرحلْ عن إشفاق مشبوه ؟ لم تحرقنا نارُ التفجير ؟ ولم نبدأ في الحرق بـ(لبيكْ).؟ ولماذا لم نرفض في وجه الحمد (اللّهمّ لكَ الحمدُ) ونرفضها في الدّاخل والخارج وعلينا وعليكْ ..

(اللهمّ لكَ الحمدُ) أتقبلُ ياجبلَ الصّدمةِ حمدا محقونا بالشرْكِ // ؟
بخيانةِ أمتنا // بضياع العزّة والملكِ .؟

*

6 — حوريةُ ضَحيةُ العشقْ ..

ياواعدَ أمتنا بالعشق الباعث أمّتنا كضحايا التمييز ضحايا العشق العربيّ يسدّون دروب وصولِ الرفقاء إليكْ لن يولدَ في ملكوت العشق سواكَ جسريئا ، إسقاط السدّ عليكْ ....
...وعلينا أن نقطع أشواكا من شجرٍ يغمس ذاته في شفتيكْ
يا واعد أمتنا من جنة حبك لاتطردنا كن أرحمَ من ربّـــي ..
نحن عصافير النّار ونشتاق من الألم الموقوف علينا ، نشتاق إلى أن نتشجّــر بالحــبِّ ..
وركبنا جرح الذاكرة الآن لترحل ياحبّ .. فما أصدق أن نرحل منك إليكْ
ويحطّ بنا الجرحُ الطائر في ساحةِ أعلامِ الجامعةِ العربيّـه ..
ما أشبه ياطائرنا أعلام الساحاتِ بريش جناحيكْ .!

وتهبّ بريح جناحيك على الأعلام .. فهل تتحرّك أعلام الحريّة والعالمُ مكتظٌّ بسجون عربيّه ؟!

ما أجملَ أن تصبحَ عقداً في أعناق السُّجناء الحرّيّة .!

أعلامُ عمالقة تسبحُ في عاصفة الأفراح كأثواب بيض لعرائس أحلام تسحبُها لكن في عرس مآتمنا حوريّه .. فيروز تزوّجها القهرُ .. وحوريّةُ يغصبُها صعلوك الوشم الوثنيّ ، ويفتضّ غلالتها باسم المدنيّة أفلا تقتحمُ السيدةُ البكرُ بنا ساحات الاعلام كأسراب من نورس هذا البحر وتنتزعُ الإجماعْ ..؟ كشتات الغيم تجمعنا والرّيح رخاء .. كجواد الغيث هجومُ الطوفان على قحل الأوضاعْ .. لاتنقف إلاّ منْ رحم البحر السيّدة البكر لتوقف صفقات الإعلام ، وإبداعات الفائض في بنك الأوجاعْ .. لكنّ الحراسَ قد استلّوا منك مصاريبك بساحات الإعلام وصبوها خارج بوقك لم يبقَ بجوفك غيرُ فؤاد ملتاعْ ..

مازال فؤادُك يهفو للعشق الجامع . والجمع الدافع . والدفع المانع أمتنا من أن تطعن وبأيد عربيّه ..

مطعونتنا لم يعرفْ / أبشع منها في التّاريخ / التّاريخ ضحيّـه ..!

ما أبشع أنْ تطعنَ بيد العربيّ الحـرّيّـه .!

*

7 — عندما يصبح مشنقةً جيدُ الأم ..

وأدُقّ البحرَ بمجداف الأرض أنا الربّان أدقّ بريح الإقلاع الموج . أدقّ مرافئه بذراعي .. قد حاولَ قنّاصةُ وطني إجهاضي .. وقراصنةُ البحر الغرباءُ لقد شاؤوا أنْ ينتزعوا منّي ذاكرتي وشراعي .. وأنا داهمتُ جزائرَ معشوقاتي بالفتح .. ولكنّ أبا المعشوقة رجلٌ إقطاعي .. ماذا سأقول أنا العاشقُ والمَعشوقُ والعشقُ يغلّ ذراعي .؟

والسرْجُ بغير حصان .. والبلبل طارده زغبُ الغربان .. فما الداعي ..؟
أن أعشق والقهر يعود مع الحاضر بالفرح المسكون بأوجاع الحريّةِ
أوجـاعــي ..

بالظّمـإِ القابع في حلقي كثمالةِ ريقٍ بلهـاةِ المطعـونْ ..
هل يشرب من ريقِ المطعون العصفورَ ليصبحَ ريّانا ، والقلبُ بأحشائه
سيظـلّ هُوَ العطشـان . العطشانَ يكـونْ ؟

سيكون هو السّجـنُ ، هو السجـانُ ، هو المسجـونْ ..
أم يترك قلبه عرجونا في رأس النخلـةِ يتشامخُ والظمأ الأرضيّ بمسماره
يطعـنُ أمّ العرْجونْ ..؟
ماأسهل أن تصبح أمّ العرجـون عمـودا للشنقِ من الإمحال ، وأوّل
من يشنقُ في عنقِ النخلـةِ ذاك العرجـونْ !!
ما أبشع أن يشنـقَ طفـلٌ في جيدِ الأمّ ! وأن تصبح مشنقة ياجيـدَ الأمّ
أمـا كنـت حنـــون !؟
يا أولَ مشنـوق في جيدِ الأمّ بحبل الإمحال ، أيختنقُ الفجـر على بطحاءَ
بها يبطـحُ حتّى القانـونْ .؟
القانونُ يشجـره زمنُ الأفيـونِ .. فقم نحصـدْ
يا .. المنجـلُ ـ قبـلَ القمـح ـ حقـولَ الأفيـونْ ..
ونغـربل وجه الأرض ونزرعُه حُبّا ـ قبل القمح ـ وغابة زيتـون ..
قمْ نـزرع .. نحصـدْ ، ونحـبّ ، ونعشق فنكـونْ ../
كضحايا التمييز ضحـايا العشق العربيّ كثيرون ، كثيرون ، كثيرون .

1978 / 5 / 11



ينتجع السيف جسد الوردة

شعر : محمد أحمد القابسي

أطلع مع العشب
مع الرّيح أنتشر ... أتدفّق في المآزيب
أسأل عروس الماء والغرانيق
كيف يكون الوطن
وكيف تلوّن الأصباغ وجهي ؟
وجه المريدين وجهي
وأنا المباح طعني
وأشجار الخيانات تخرج من أصابعي
تطلع مع العشب
تخضر !

— 2 —

مع فيضان التوهج تأتين / مع المد / تخلعين ثوب الجسارة تلبسين ثوب التردي /
فهل نسمّي الأشياء بأسمائها ؟

أم نترك البحر يهيل ألوانه يعقد لأجلك مؤتمرا مع الرعد !
للاعتراف أفاتح سيّدتي
بأنّ قلائد الجيد المائيّة صارت سلاسل للسجن
وبأنّني تعبت
تعبت
شهق الحزن فيّ كالابراج
طفا عليّ وجهك المسروق كالأمواج
فهل أغير التخوم .. أقتلع الأشجار
وهل بماء الذهب نكتب (عهد الأمان)
أم بالدم الوهّاج !؟
تعبت
تعبت
أيّها السادة الأعزاء :
غنّوا معي أوقات الفخّار والعاج !

— 3 —

مرهفة أنتِ كالمطر البدائي ، كالشتاء
كيتم العصافير
بعد الظهيرة ، في المساء
مرهفة كالشعراء
كالفقراء
كحزن القرى
مرهفة كاليتم / كالحزن / كالإكتئاب
فامنحيني القرنفل

أودعيني أكحل بدمي جفنك المسكون بالخراب فقد آن أن تضفري
ورد البساتين بالسوادِ

وأن يكون للنار فيك لون الرمادِ
امنحيني القرنفل
أودعيني أضمخ قلبي في الأنهر
وأنتظر ثورة الماء !!

— 4 —

أحبّيني
أحبّيني
أنا القرمطي أيام الأعراب / أصياف على جلدى / شعاب الجزيرة
نافذات فى عروقى .
أحبّيني
هانوق القبائل تخب على جبيني / هانجمة الصبح تخرج من الليل تدخل عيني
أنا ضوء نجمة الصبح ، مدارها ...
صبارة النجود عطشها / فخذ الرمل / غبطة السيف رغوة البيداء
أنا القميص
الجرح
الدم القانى المحمرْ
فسافر أيّها الحزن
كالغيم
كالريح
سافر لا تستقر

واهجر عيون القرمطي
فلن تكون لك المقر !
ساعة انتجاع السيف
جسد الوردة
أمرُّ متعبا كطائر الصباح
أعبر من الحد إلى الحد جراحي
أغني لفوانيس الليل
أنشر في دمي شجر الحزن .

● **تعاون مع مجلة الموقف العربي القاهرية**

زار مجلة الفكر ، في هذه الايام الاخيرة السيد مرسي النويشي من مجلة الموقف العربي ، وكانت زيارته موفقة اذ تم الاتفاق على ان تعرف كل من المجلتين بالاخرى بصورة مطردة وتتبادلان المواضيع والدراسات والقصائد والبحوث الادبية .

وبهذه الطريقة تكون المجلتان قد جسمتا نوعا من الترابط والتعاون الذي ننشده جميعا .

من أجل حلم واحد

شعر : نور الدين عزيزم

رجعتُ ..
مازال ترابكِ عالقا في جسدي
مازال ترابك شيئا من كلامي ومن عرقي
ولاتزال أحلامي تدفعني إلى قادم أيامي . وقديمُ عمري
ما زال يشوّشُ أفكاري ويشحَذُ آلامي . وكنت عرفتني
المتوهّم عظمة . أسابق الأحزان

رجعتُ . وقعتُ في جوعي إليكِ . رجعت يا شمسك الغاضبة الكاذبة
يا مترقبة أخباري ، عندي لك أكثر من حاجة تشبه الغُرْبة .
وتشبهُ بقايا محبّة .

رجعتُ . بعد زمانٍ زمانٍ كنت في عين المكان .
لو تحوّلت . لو أتيتني . لو زحفت على الصحراء . لو زحفت
على صدري . كسّرتِ عظامي . سافرت عليّ بما فيّ
من حبّ امرأة قديم وكتابات قديمة .
رجعتُ . أصبح الجوع من طبائعي وعاداتي ومن أصدقاء وجائعي .
جمعت لك أكثر من حاجة ...

سألت عنك رفاق الصغر . سألت جيوبهم المثقوبة تفضح
جوازات السفر .

سألت عنك جراحهم

نباحهم

رأيتك في ثيابهم وكانوا أحبوك .

لمستك في أصابعهم فكأنهم نزعوا التراب العالق ودموك

وكان الصيف شتاء يابسا في وجوههم

رجعتُ أحملهم بما فيهم من يُبسٍ وواحات وانكسار ساعد .

رجعتُ ومعي من الزمن قطعهْ

ومن المكان قطعهْ

ومن النساء قطعهْ

تقودني جراحات الماضي إلى أنقاضي حيث تغتال اللحظاتُ
ويُجهض قادم العمر .

رجعتُ من أجل حُلم واحد مع شقوق الباب وغياب الشبابيك .

وعاديت الزّمنَ

الزّمنَ الناقمَ عليك

أنا إليك أبدا إليك يا حبيبتي العجوز

أنا منك كنز قمحيّ من تلك الكنور



قدر الخطاف العربي

شعر : احميدم الصولجي

قدري أن أطير ..
لا أن أغنّي
في فضاء التمنّي
قدري الحفر في الوجوه ..
لأنّي
جاهلي التاني
وطريقي صخور
بين من أسّروني ..
وبيني

★ ★

في فضاء الروح
أضحي
دوران الافلاك .... يضني
قدري - الآن - سفك دماء الأغاني
وغدا ..
تصدر الدموع القرار
قدمي في الدماء ...
ولكن
آن لي أن أعض جمرة حقدي
فالمواعيد أخفقت
والليالي سعير
بحضني
....
أتحد .... ؟
أتصدى .... ؟
نعم
سأعيش التصدي
فشظايا الاحقاد أكبر مني

★ ★

أأنا أجنبـــي ..؟
اسألـوني .. فإنّـي
عــربي لسانــي
ودمــي عــربــي
هـذه الأرض ..
كيف لا أفتـديها
بعينـــي ؟
يستبـدّون بــي
وجميع الأوجـاع تعرف عنّي
أنّني جاهلي التأنـي
يستبـدّون بــي
وضلـوعـي فضـاء
كبـرت فيه كلّ الطيـور
استحـالت شكاوى

★ ★

يبس - الآن - حتى الهـواءْ
وسمـائي ترشها قطرات الضياءْ

★ ★

يـا ضلـــوعـي
هنـا يسكـن الزمن المستبـــد
لا تنـام الجـراح بقلبـــي
ستغنّي لحـزنـي
حين تحشى مزاميره
بالتمنّـــي

سيدة الخبز والماء

شعر : محمد عمار شعابنية

لسيّدة الخبز والماء نكتب أشعارنا
على رُقعـة من دِمَانَا
ونكتم أسـرارنا ورؤانا
ونمضي

وكلّ القطارات ترقـب أسفارنا
وتمنحنا من فصُول المواعيد كلّ التواني
ولكنّنا لن نسافـر

فالطقس ما عاد معتدلا
والأغاني

مُهدّدة بالتكهرب والإختفـاءْ ..
فيا قشرةَ الأرض لا تأكلينا
فسيّدة القمح والزيت تعبُد أطفالها
وتُطعمهم جوعها وتجوعْ
وتعرف أنّ الذي شجّ أوْصالها
هُوَ الحزن يُلغي اخضرار الرّبيع
ويحرق في غبّش العمر أوْسمة الفاتحينْ

فما للمدائن تخرج أثقالها
وتُغرقُ في الوَحَلِ المُتَراكم أحذيّة العابرين
وتُدْخِل فينا اضطراب العصافير في ليلة العاصفه
وتُخرِجنا من شوارِعها الخائفة .

★ ★ ★

لأنَّ العُيون التي لم تنمْ
وقد لازم السهد أجفانَها
ترمّم في الظّلّ كيانها
وتشحذُ خلف المتاريس أسنانَها
لتنهش لحم الطّيورْ
وتسلخ جلد النّسورْ ..
فيا ريشَها المتساقط ماذا سيصنع منك المُرابُونَ
ماذا سيصنع منك الجياعْ
وفي السّوق كلّ النضائد محشوّة
ولكن .. لمن ستباعْ ؟

★ ★ ★

ولدنا معا
وكبرنا معا
لنبقى أصَابعَ كفّ تلازمُ قاماتِها بعضَها
وتحفظُ ميثاقَ لُحمتِها الشّامله
وتؤمنُ رغم التفاوت في الطّول والعَرْض
بالقسمةِ العادله

ولكنّنا ذات يومٍ خرجنا
كما يخرج القمح من جوف كيس
فكان الفراقْ
وكنّا انفعالات يوم الخميسْ
ولم نجتمعْ بعد
لَمْ نقتسِمْ بيننا غير حَضر التجوّلِ
حتى انتهى
فاقتسَمنا التّعاويذَ والألسنَ الواجفهْ

★ ★ ★

أرادُوا لَنَا خَندَقا وزريبَهْ
وأسيجة خلفها كيف يَلقى حبيبٌ حبيبَهْ
وهَا أنني أتوصّد منك بأغنية الإجتيازْ
لتخرجَ من جُرْح هذا الزّمن
ونعبر في فرحة واعتزازْ
طريقا إلى شُرُفات الوطن

مارس 1978

أبداً، إلى الغاية ..

كتابة : عبدالقادر بن شرودة

،،، وكمن يقبض زئبقا
أو ريحـا
هكذا كانت الكلمة المتقيه
الرافلة فى الأخلاق
وكنا نبحر الى جزائر الأحلام
بلا أحـلام ،،، !
فليسقط الوهم والسراب
إسطوانتين أثريتين
فى مدائن هذا العهد ،،
ولتنبثق حرارة الحياة
وشراسة الوعى
على أنقاض الطلول الارستقراطيه

●

قربنى إليك أيها الرب
بتوهجى كالبرق الحمرى
بانفلاتى كالموجة
باهتزازى كالأرض عند الاحياء ،،
وأجل تقواى الى ما بعد الانتصار على الطواغيت

●

إنك تنظر معى الى جيل يفيض حراره
كالنهر الساخن من جوف الصخر
تنظر معى الى الجماجم القاحلة كالسباخ
حيث تترسب الاساطير ،،
والى الجماجم الملتهبه
حيث عمود البرق
وحركة الزوبعه
فهبنى الكلمة ـ البرق
والكلمة ـ الزوبعه
وأجل فيض الماء والزرع ..
الى ما بعد الصحو

ما الذى صيرنى عبدا لسواك ؟؟
لسان كالفرس النافر ؟ يعدو ولا يقتحم !
ويصهل بلا حنين !
أم قلب كالطلل ؟
مملكة بلا شعب ،
ونهر بلا صخب ولا جرأة ،
أم هما الاصغران معا ، ؟؟
خانا توهج الصحو
وروعة الانعتاق ،،
ولذة العصيان ،،
خذهما اليك فى ساعة غفوه
وأعدهما الى أيها الرب
نهرين لا ينثنيان
أبدا الى الغايه ،،،.

عرس الجراح

شعر : حسين العوري

علامَ البُكاءْ ؟
فها الفجر يبرق خلف ستائر ليل الشّتاءَ
أراه على شفتيكِ ..
أعانقه في سما ناظريكِ ...
وألمحه في إحتضار المَسَاءْ
لماذا البكاء ؟ أجيبي ..
بوادر صبح الرّبيع تطلّ من الشرق .. تزحف .. تكبر ...
ألمحها في عيون الطفولهْ
على طرقات المدارسْ
أشاهدها في عيون الفوارس تأتي ..
بوادر صبح خصيب تدبّ وتزحف ... تعظم ... كاسحَة .. كاسحَهْ
فلا تحزني .. لاتلومي
إذا الصّمت ساد فإنّه ينذر بالعاصفهْ

غدا تحبلين ... بل اللّيلة .. الآن ..
ها أنّ رعد الدّهور يزمجر في قلبي ..
يعصف .. يدوي .. يزلزل هل ترغبين ..
وإن لم تريدي فإنّي نويت إغتصابك عنوَهْ
أيا إمرأة ما تزال تخاف معاوية والبطانَهْ
سأغسل وجهك بالماء .. رجليك بالطّلّ
يا من غرقت سنينا ببحر المهانَهْ
أقربي ... لا تخافي
لقد جئت بالنّار أغسل نهديك من بصمات الخليفهْ
وحين يعمّدك القلب بالدّم حتما تصيرين أرضا شريفَهْ
أقربي .. لا تخافي
أيا حلما ما يزال يراودني من زمان
ويكبر في خافقي كلّ يوم
وأذكره كلّ حين وآن
وينده قلبي حين أُساوم فيك
وحين ألام لأنّك سابحة في كياني
وكي يبعدوني ...
وكي يفصلونا ...
يدسّون ... يرشونني بالحسّان
ولكنّني لا أساوم
ورغم السّدُود .. ورغم الذّباب يطوق كاسي ..

يحاصرني سأقاوم
فحبّي أنا مثل فصل الشّتاء ، يغيب ولكنّه لا يموت
يعود ... يدمدم .. يقصف .. يهدم كلّ السّدود
ويحبل كلّ السّهول .. ولكنّه لا يساوم
إفتحي النّافذة
أرى الفجر يبزغ .. قومي افتحي النّافذة
وغادري هذا السّرير
تعرّي أمام الصّباح المطير
وعبّي من النّسمة العاطرة
إلام البكاء ؟ أجيبي
فهذا النّور يزحف .. يطلع من شرفات الغضب
وهذي الستائر ترقص جذلى وتنفض عنها ليالي الكآبْ
وهذي الجراح تكسّر كلّ السّيوف وتملأ ساحاتنا بالصّخبْ

حكم الشعب غربال

شعر : سعد الغزال

لاحتْ بوادرُ خلفٍ ، لامثيلَ لهُ　　في جيلنَا ، وتفشي القيلُ والقال
وشاعَ في كلِّ شبرٍ منْ مواطننَا　　تصادُمٌ ، واهتزَازَاتٌ ، وأقوَالُ
هذَا يحمِّلُ ذاكَ العبْءَ أجمعهُ　　ويختفِي ناقمـا ، ساءَتْ به الحالُ
وذاكَ يدفعُ ما قدْ جدَّ منْ تهمٍ　　بقوّةٍ ، ولهُ في الشتمِ سربَـالُ
وهؤُلاءِ حيارَى ، لاَ دليلَ لهُمْ　　فإنَّهُمْ في متاهاتِ الهوَى مالُوا
منِ المُصيبُ ؟ وعندي أنَّهمْ قممٌ　　وأنَّهمْ قادةٌ في الشَّعبِ أبطَالُ
منْ حقِّنا أنْ نناديهمْ وهُمْ بشر　　بأنْ يكفُّوا ، وما في النُّصحِ إخلاَلُ
إنَّ النَّصيحةَ لاَ تبقِي على فتنٍ　　وإنْ سكتنَا ، وخفنَا ، عمَّ زلزَالُ
لاَ نرْتضِي هرَجا يجتاحُ ساحتنَا　　ولاَ الشَّتائِمُ في الصفَّينِ تنهال

* * *

يا أيُّها الشَّعبُ حاذرْ فتنة ظهرَتْ　　وطوِّقِ الدَّاءَ ، إنَّ الدَّاءَ قتَّالُ
فلَنْ يسُودَ نزَاعٌ نحنُ ننبُذُهُ　　وليسَ ينجحُ أفاكٌ ، ودجَّـالُ
القوْلُ للشَّعبِ ، إنَّ الشَّعبَ منطقهُ　　فوْقَ الجميعِ وحكمُ الشَّعبِ غربْالُ
فانسفْ نخالةَ من زَاغوا ومن حجدُوا　　كرَامةَ الشَّعبِ واحكمْ إنَّهمْ زَالوا
وهذه أمّةٌ يسعَى لوِحدَتِهَـا　　أبناؤُها الكُلُّ ، شغَّـالٌ وبطَّالُ
في حبّها يلتقِي صِنفَانِ وَحدهُمَا　　عمّالُ حزْبٍ وَ حزْبٌ هوَ عمَّالُ
متى انقسمنَا ، وفي التَّارِيخ وحدتنا　　توَارَثتهَا مدَى الأزْمان أجيَـال

صور من مدن العشق

شعر : البشير المشرقي

مهداة الى صاحب : « رافض والعشق معي »

كَانَ يَا مَا كَانَ يَا أحبابَ قلبي !
فارسٌ قد هام بالحبِّ وأفنى في الخيالات شبابَهْ
عشق الحسنَ كما لم يعشقِ الإنسانُ يوما ..
صاغ من أعصابه السَّكرى ربابَهْ ..
في المحطّات التي لم تعرف الوحشة أبحَرْ ..
نَثَرَ الآمالَ أزهارا وزَعتَرْ ..
وعلى أُرْجُوحة الشمس غدا يَتلُو كتابَهْ !.
كانت الآمال في ضحكات « لَيلَى » ..
كانت الآمال في خصلات « لَيلَى » ..
لم تَكُنْ « لَيلَى » سِوَى طيفِ حمامَهْ ..
رشّة المُزْنِ .. وزخّات غمَامَهْ !..
ثمّ دار الفلكُ الدوّارُ دَوْرَهْ :

رحلتْ « لَيلَى » وكاد الفارسُ العاشقُ يذْوي مثل زَهــرَهْ !
وغدا في مدن العشق يُناجي الليل .. يشكُــوهُ هَــوَاه
وَيح قلبِ الفارس الولهان ، خَانَتهُ رُؤَاهْ !!...

★ ★ ★

أنا ذاك الفارسُ الولهانُ يا أحبَابَ قلبي !
عدت من رحلة حبي
كنت فيها فاقد الحظ على كُلّ الجهاتِ ..
وعلى كَفَّيّ بعضٌ منْ رفاتي
آهِ منْ أشباح لَيلاَيَ ، وَمِنْ أوْهَامِ ذَاتِــي !!.



والرياح عادة تأتي لسوافح

شعر : يوسف رزوقه

« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » سورة يس

1) عطشي والبحر الأبيض المتوسط يرسف في السلاسل :
قيل لي : إنّ العصافير تغنّي في بلاد الواق واق
فرحلت بجناحين من الشوق
وكنتُ فرحاً جداً وكان الغليان
في شراييني ، وكان الخفقان
في دمي الأزرق ...
منْ أين دخول الفيضان الدّمويّ يكون ؟ لايهمّ ...
فدليلي : منتهى العشق
وهذا العشق عند الشدّة — الردّة مفتاح ..

★

رحلتُ بنباح الحزن والرعب ، وقلتُ :
من بلاد الواق واق سأعود بصناديق الغناء
بشماريخ الهناء
بطقوس الفرح الفارط والزّهو العتيق

وأكون ملكا أو فارسا يختلف النّاس إليه
« ويقيمون الصّلاة » ثمّ « يؤتون الزّكاة » ثمّ ينهالـون بالمـاء عليه
ثم في قلبه يندسّون ، يندسّون ، يندسّون حتى الذوبان
فهو في الحبّ عريق
وهم الآتون من كل طريق ، غرباء يبحثون عن رفيق أو صديق .

★

وأكون مستعدّا للغناء ، هذه المرّة حتّى الإنطفاء
وأكون صادق البسمة فذّ الإنتماء
وأكون بشرا يكتب شعرا ناضجا قبل الأوان ..

★

.. وتمرّ سبع أيّام حسوما ويمرّ العام والعامان والجرح مسافر
ودخلت بخطى لصّ محاذرْ
وبلاد الواق واق واحةً قاحلة . كالحةَ الوجه اكتشفتُ
وانخطفتُ وانتحرْتُ
لحظة ثمّ اختبلتُ لحظاتٍ ، وانتبهتُ ،
كانت الواحةُ أعجاز نخيل خاويهْ
كانت الأرض متاهات ضياعٍ كاويهْ
لمْ أجدْ في النّخل روح « اللاّقمي »
وظمئْتُ ، واشتملت بالسّراب ، وارتخى قلبي حتّى حافة الهوّة
واثاقلتُ زحفا حلزونيّا وقلتُ :
سوف يساقط رطبامن العراجين جنيّا
وظللتُ في التماس الشيء حتّى شرب القيظ بقاياي ونسغي
وتمرّ سنوات ، سنوات ، سنوات وأنا الميّتُ حيّ
أسأل الماء وأرغي

في بلاد الواق واق ؟.
وتألمتُ كثيرا ، والرّجوع كان نهرا من دمي
ووجدتُ البحر ملجوم الفم
شحمه ذاب من الحبس — السّلاسلْ
شحمه ذاب من الحبس — السّلاسل ..

2) « واهجروهنّ ، في المضاجع واضربوهنّ » :
غضبة النّار لها يا شهرزاد تسجيدين
وظنوك : أنّ فيكِ الجبروتْ
فإذا أنت خيوط عنكبوتْ
تحتمين بالبكاء
ومن الهجر تذوبين شقاء ..
أزورك غبّا ، فأزداد موتا
وأزداد صمتا
وأهربُ منك هروبا أخيرا
وأطفىء كلّ غليلي ، أخيرا
في موجة النّار
في كلّ يومٍ أموت مرارا
وفي كلّ موتٍ أرى الإغتراب المكرّر ، والشمس
وهي تهبّ بدون احمرار
على صيحة الدّيك ..
هذا انتظار العصافير عند الشبابيك
يفرز لون الصّبابة والاشتهاء ، النزيف ...
وذاك صدى الزقزقات المضادة للموت يحفر جُرْح الرّصيف

هي الزقزقات رغيفْ
وجوعي عنيف ..

3) سرقوني يا غيمارا في شرخ الميلاد :
... وإنْ طائفتان « اشتبكوا » ياشهرزاد ، فادخلي بينهما
واحتكمي بالابتسام تارة .
والانفعال تارة أخرى وكوني لهما
في لحظات الغثيان « كسكروتا »
ويكون قاسما مشتركا بينهما

★

سرقوني ، فضحكتُ يا حبيبي
هبهب الكلبُ المصاب بجنون العظماء
واكتفى بالرّقص في تصعيد مبناه الخياليّ
عقدة الفنّ لديه :
أنْ يموت والنّباح بين فكّيه
وقد ينتقم اليومَ من الموتِ لكي يرحل في اليوم الموالي
ويكون في عداد العظماء
... ويكون الإنتماء ...

★

كلبُ بافلوف تخلّى عن لعابهْ
وارتمى في لحظة الصّحو على طارق بابهْ ..

★

4) يدحرجني عواء يتيمة مجذوعة الرّجلين والأمل :
فأسقط حافي القدمين والحلقِ

وتكبر عند منتصف السّقوط دوائر العشقِ
وآه
آه
آه
وتطوي آهتي كلّ العصور ، فيركع الجبل من الخجلِ
ويسقط حائط الأزلِ
ويُصبح لحظة في لحظة الصّدْقِ
تخرّ لها الرّواسي والجلاميدُ
وتنضج في الفجيعة والتباريح عناقيد
وتزهر في العصافير أغاريد

*

والرّياح عادة تأتي لواقح
والرّياح الآن تأتي خاصّة من سبخة الإنسان
في طبّاتها : رفت الرّوائح
والذبائح
والشّرائح
ومن النسيان يمتدّ لسان من دخان
وتكون لحظةُ الرّعب القصيره
وتكون وثبة الوعي الأخيره
« وعسى أن تكرهوا شيئا .. » وهذا زمن حلوه مالحْ ...
فالرّياح عادة تأتي لواقح ..
والرّياح الآنْ .. هوج تنشر القحط — الوباء
فمزيدا من عناء .

1978 3 . 21

مُعَاناة الارهَـاص الشـِّعْري

شعر الهادي نعمان

كمْ تائهٌ أنا في إرهاصِ أشعـارِي   وكمْ أعـانِي لدَى تسييرِ أوتارِي
وكمْ أنا في عذابٍ لستُ أنكرُهُ   منْ أجلِ إخضاعِ أوزانِي لتيّارِي
تيّارِيَ الشعـرُ في تأصيلِ مذهبهِ   منَ العمودِ إلى صعبِ الرّوِي الجارِي
مجرَى الصعوبةِ في ضرْبِ الكلامِ هوَى   منَ الأصالةِ في حبّي لإخطـارِي
وما خطورَةُ شعرِي في تمسُّكهِ   بالصّعبِ في الوزْنِ إلاّ من هوَى قارِ
قدْ قرّ عندِي قرارِي بعدَ تجربةٍ   مع الشّعورِ الوَفي إرْسـاءُ أفكارِي
على قواعدِ فنّ في القريضِ بدَا   لبعضهمْ أنّهُ ثقْلٌ على القـارِي
يـاليتَنِي أستَطيعُ الشعـرَ مِثْلهُم   لكنّهُ العجزُ منْ تعـديلِ أوْتارِي
هذي المعاناةُ كمْ ألقـى بها تعبا   في قوْلِيَ الشعـرَ في جبرِي وإجبارِي
والجبرُ في النفس والإجبارُ من خلدي   لأنّنـي هكذا في سجنِ أشعـارِي
أحيا المعاناةَ من حفظِي لمكتَنَز   مِنَ القديمِ وإنّي جـدّ محتَارِ
أهوَى الخرُوجَ من الأوْزَانِ منطلقا   بلاَ حدودٍ إلى مستقبلٍ جَـارِي
حتّى تعيش معِي دنيَا الشّبابِ هوَى   مجدّدَ اللّحنِ في تجديدِ أقمَارِي
لكنّني عاجـزٌ عنْ كلِّ تجربةٍ   أخـرَى وَهـذَا فَيضُ إنكَـارِي
على فؤادِي الذّي لمْ يستطعْ عملاً   جدّا جديدا وَهذَا صدقُ إقرَارِي
بأنّني عاجزٌ كيمَا أكـونَ فتـى   مجدّدا في تصَارِيفِـي بتَيّـَارِي
قدْ أقعـدَ الشّعرَ في نفسِي فلاَ حرَك   فليسكت الطيـرُ في وِجدَانِ أفكارِي
لاَلاَ أموتُ فلِي في القلبِ فيضُ منى   بأنّنى سوفَ أحيا جدّةَ القَـارِي

وأنّني سأغنّي في القريبِ هـوًى ... مجدّدَ اللّحنِ في آفاقِ أطيارِي
أقولُ شعرا جديدا في محاولَةٍ ... أخرَى وتجديدا لأوْكـارِي
وتلكَ أوكارُ شعرِي سوفَ أخضعُهاً ... لغايةِ العصرِ عصرِ السُّرْعةِ السّارِي
لأستطيعَ بيانا في خيالِ رُؤَى ... جديدَةٍ ذاتِ أبعاد لأَوْطـارِي
محلّقا في سماءٍ منْ جديد رُؤَى ... وهكذاً أستجيبُ العرْضَ للشّارِي
وأستطيعُ حدَاءً للحياةِ كَـما ... يريدُها النّاسُ منْ شعرِي وأطوارِي

◆ **الاديب محمد الحليوى فى ذمة الله :**

ارتحل عنا الاديب التونسى محمد الحليوى بعد مرض عضال الزمه الفراش طويلا ووافاه الاجل المحتوم فى الاول من سبتمبر 1978 .

وقد ولد فقيد الادب التونسى بالقيروان فى 3 أوت 1907 وتعلم بها ونشأ فى ذلك الوسط ميالا للادب والثقافة وشب يعمل على اخصاب الساحة الثقافية فى بداية هذا القرن تاركا آثارا قيمة منها أربعة كتب وهى : « رسائل الشابى » و « دراسات » و « مباحث أدبية » وكتاب « فى الادب التونسى » .

ويعتبر الفقيد من أعلام النهضة فى الادب التونسى الحديث فهو من جيل أبى القاسم الشابى والطاهر الحداد وقد شارك بانتاجه الذى نشره فى مجلة العالم الادبى والمباحث وغيرها من المجلات والصحف شارك فى اعطاء صورة حية لما يجرى على الساحة الادبية فى أول هذا القرن .

أفكر فيك ... وهذا شيء كثير!

شعر : محمد الشابي

أفكّر فيك ، وهذاك
شيءٌ كثيرْ ..
لأنّك ... بالفعلِ شيْءٌ كثيرْ..
لَديك : مناديـلُ ...
ورْديةٌ .. ونظّارتانِ ،
وثوبٌ حَريرْ ...
فهلْ إذْ أراكِ .. أشاهدُ ... منْ
أنا أحببتُها ... أمْ
أشاهدُ بنتَ الأميـر ..
معَ امرأةٍ ... منْ ولايةِ
(سليانةٍ) ، قدْ تكونَ
حُبّيَ الخطيـر ..
فطالعتُ تاريخَ ... منْ
عشقُوا .. وشاهدْتُ ، في
الحُلْم ، قلبي ... يطيـر ..
فهلْ تعرفينَ حبيبةَ
عُمري .. وهلْ تعرفيـن
الصّديقَ الكبيـر !؟.
يعوّضُ شعرُك .. كلّ
النّساءِ ... ويختصر الوجهُ

نجوَى الفقيـر ..
فلا أنا أحتاجُ ...
للأخرياتِ ، ولا العطرُ ، في
ثوبهن .. يثيـر ...
لأجلك .. قدْ أكتبُ
بالرّصاص ... وألهُو ..
وأقرأُ شعـرَ
(جريـر) ..
وأسأل من درّسُوكِ ... ومنْ
قدْ بقوْا في (تبرُسُق) .. وقتا
قصيـر ...
ومنْ قد يكونون
مالُوا .. إليك كثيرا ، ومنْ
جعلوك القرارَ الأخيـرَ ...
فإنّي أخافُ .. عليكِ ، لأنّكِ
رائعةٌ ... وعليك
التّمنّي كثيـر ..
وُجودُك ... يقنعُني ..
بالبقاء لَديـك ...
ويرْسُمُ شكـلَ .. المصير ...

أرجوحة الوجع العربي

شعر : بلقاسم امرزوقيت

آحزم الدنيا على مركبة الرفض مواويل مخاض
أتعرى في مسافات رحيلي نجمة سادرة ..
أنضو على أرصفة الفقر عناقيد ندوب
غطني ليل العصافير الحيرة
طوقتني طقطقات الزمن المهزوم
آويت إلى ذاكرتي ... أرهقني الندب ،، تلاشيت
على حصباء شط الكتب والقحط رضوضا حجرية
وتراات
واجهات الموت . فيض العالم الجائع . إعصار
الحضارات . قناديل عبور لبقايا جسدي ...
هاجر حلمي
مطمت أغصانها الريح ... التحمنا
قاسمتني غربتي . قارب الجاري ، قميصي . حزمة الندب.
مواويل رحيلي
لبثت عاما ، معي ، عامين ، عمري .
غدرت بي ،
أفكرتني .
أسقطتني بين ماء البحر والنار
طفوت

ضمني حزني وساح الخوف في جلدي قروحا
ناصبتني قريتي ، أشرافها ، قومي العداء
حملوني رجسهم ، أوجاع أطفال الشوارع
غضب الله وعصيان العبيدْ
شهروا بي
أفردوني ،
فرّ ، من حولي دعاة الثورات الخزفيّهْ
ومضيت
دثّر العشق طريقي
والتقينا
أخوة لي غرباء
فقراء
ضربوا في الأرض يستجدون أصنام المسافات ، يبيعون
جياعا دمهم :
من يشتري منّا الحياة
يسلخ الدنيا من الدنيا ، يدك الحمق روتين المحطات بدايات
التغربْ
يصبغ الليل ،
يمدّ الأذرع الحمراء كي نعبر خطّ الموت ، ننأى عن
تجاعيد المساحيق مرايا الوطن القبيح وقضبان
العبورْ
يجعل الرأس علامهْ
لملايين الضحايا الغرباء
ولاشباه الضحايا الجبناء

ماسحي أحذية التاريخ أبناء اللواط
وجهاء الزمن الدم
وهن العظم
وكنّا عصبة أسقطها التيّار ، دبّ الموت فيها
حملت ألواحها طوعا وكرها واستقرّت في قرار
البحر أحلام الرحيلْ
وانتهى التطواف في كلّ المسافات و « سلمى »
لم تخلّف ولدا يحرث وجه العربيّ المتداعي
يبذر الحنطة في كل المواسمْ
يورق الجلد على رابية الموت ...
« دمشق » امرأة حبلى و « لبنان » بغي طامث تقطر عشقا
تتحالى
تلبس العشاق في كل الفصول
تخلع العشاق في كلّ الفصول
تعرض الله على مشنقة الشهوة . ترسو في مآقينا
وراء الباب كان الدور .
كنّا
كنت تحتال المكان
تتخفّى
طائرا يبحث عن وكر ومرفأ
عربيّا
ينفث الإغراء في عينيك حلما
تتلظّى

تخنق الرغبة

تغفو خلف باب الوجع اليومي

تنهار نواقيس الإثارَهْ

يغمر الطمث مرايا الزمن المومس ، يسري في وجوه سكن القحط روابيها عفنَتْ ، داهمك السيل ، تسلقت خيوط الحلم عقم العربيّ التائه في غضب البحر ، تضاءلت ؛؛، تداعى العشق خلف الباب أخفينا الهزيمهْ

« واشتركنا في الجريرهْ »

وتعانقنا جراحا رضع الوهم دماها ، ركضت فيها الهزيمَّهْ

فتشت « سلمى » عن الإخصاب فيها نبشت كلّ بقايا العربي الفحل ، غاصت في خلايا الجدب أدمتها المسافات الضبابيّهْ

ــ تلاشت شهوة الأخصاب ــ

ضمّت « دم عثمان » وولت « راية سوداء » أمري ، أمركم ، أمر الضحايا الجبناء

ماسحي أحذيّة التاريخ أبناء اللواط وجهاء الزمن الدم .

قصة حب

شعر : محمد علي الهاني

هُنَا كُنَّا تَلاَقَيْنَا   فنَاجَى الحُبّ قلبَيْنَا
هُنَا في مَرْفَإِ الحُلْم   على الفَيْرُوزِ أرْسَيْنَا
وَ في محرَابِنَا لَيْلا   تَنَاغَيْنَا وَ صَلَّيْنَا
وَ بَيْنَ النُّورِ وَ العِطْرِ   عَلَى الرّيحَانِ أغفَيْنَا
نَسَجْنَا هُدْبَنَا شَالا   وَفَوْقَ الشَّالِ أسرَيْنَا
وَ في بيتِ الفَرَاشَاتِ ..   عَنِ الوَاشِي تَوَارَيْنَا
وَ رُحنَا نَغزِلُ النَّجْمَ   أكَاليلا لِرَأْسَيْنَا
عَلَى تَخت مِنَ الدّرّ..   نقَشْنَا فَوْقَهُ اسمينَا
هُنَا كُنَّا تَلاَقَيْنَا   فنَاجَى الحَبّ قلبَيْنَا
وَفي يَوْمٍ سَعَى وَاشٍ   فَأمسَى وَصلُنَا بَيْنَا
وَ ضِعنَا فِي مَتَاهَاتٍ   حَيَارَى رَغْمَ أنفَيْنَا
فَصِحنَا : إنْ تفَرّقنَا   وَ هَدّ البُعدُ جِسمَيْنَا
سَيَبْقَى حُبُّنَا دَوْمًا   رَسُولا بَيْنَ رُوحَيْنَا

قصيدتان إلى امرأة واحدة

شعر : لطفي عز الدين

— 1 — القصيدة الأولى (*) :

(1)

عيناكِ ترسل أنوارا ، تلتقطها عيناي
وروحك تنشد أنغاما ، تسمعها روحي
وتجول في خاطرك أشياء ، فتنطبع في خاطري
ويخفق فؤادك ، فيسجّل الخفقان في فؤادي
وفي نفسي سلك ، يلمسه شعورك ، فتنير نفسي
فإذا انقطع شعورك ، انطفأ نوري
وعدتُ إلى ظلمتي وبؤسي .

(2)

أنظري إلى القمر يناجي اللّيل
وانظري إلى اللّيل يقترب من الفجر
وانظري إلى الفجر يفتح ذراعيه للصّباح
وانظري إلى الصّباح ينطرح عند قدمي الشّمس

(*) قصيدتان من الشعر المنثور ..

وانظري إلى الشّمس تسكب حياتها في الأرض
ثمّ انظري إلى الأرض تفيض لبنا وعسلا وحياة وحبّا ...
فيا أنتِ التي هي كلّ شيء لي .. كوني قمري ، فأرى سبيلي
وكوني ليلي ، فأستر ذنوبي ..
وكوني فجري ، فيطلع صبحي ..
وكوني صبحي ، فتشرق شمسي ..
وكوني شمسي ، فأطّهّر وأبْرأ من جميع عيوبي
ثمّ أبدأ حياة جديدة تفيض هناء ونورا وحبّا .. ومتى حان القضاء ، أعود إلى الأرض طاهرا نقيّا كما جئت إليها .

— 2 — القصيدة الثانية :

يا صاحبة اللّحم
يا صاحبة الشّحم
يا صاحبة الشّعر الأسود كالفحم
يا نائمة فوق أرائك ملك فاجر
يا ملهمة الأشعار إلى الشّاعر
النّور يموت على وجناتك مثل دموع اليتم
وروائح ثغرك تفضح أسرار العطر ..
وتقتّل كلّ الأشواق .

(2)

يا عطرا يتضوّع من مزبلة في قصر الملك
يا نورا يتلألأ من أعين قطّ أسود
يا طيفا سحريّا يتهادى فوق الأكواخ الفقراء
يا أروع من قطعة موسيقى عصريّهْ
يا أحلى من آلاف الأبيات الشعريّهْ
يا أغلى من كلّ كنوز الدّنيا .. يا أنثى .



بكائية الزمان

شعر : أحمد الجابر

الجرح في لبنانْ
يبكي على لبنان
والليل في لبنان
بوجهه لونان
في يده الإنجيل
في فمه القرآن !..
لبنان جرحٌ ..
والجرح مهرجان
بحيرة من دمنا
تفيض بالنيران
لبنان ..
يا وطنا ...
لم تحتمل جراحك الأحزان
لبنان ..
يا ثغرنا الجميل
صرتَ بلا أسنان
قد سكر الموت ..
وصار كالطوفان
ينزل رعبا ,راقصا
لا يعرف اتزان
وليس يدري ..

ما قيمة الإنسان ؟...
ذبابة حقيرهْ
تفاهة كبيرهْ
أو أي شيء كان ...
من أجل ضحكة طويلهْ
ولعبة جميلهْ
يحذفها إثنان ..
ينتحر الإنسان
وينتهي بموته لبنان !...
من قتل الطفل البريء ؟
من قتل الإنسان ..
من قذف الصغيرهْ ؟..
ومزّق الضفيرهْ ..
من أحرق البنيان ..
أجب .. أجبني ...
يا لبنان ..
من قطف الورود ؟
وذبح البستان
من أتلف الوعود ؟
وأبكت الكمان ..
من سرق الليالي

من راحة الزّمان ؟؟..
يؤسفني ..
أن يقتل الطفل أباه
والأم تنتهي ..
يقتلها الأشباه ...
يحزنني ..
أن تنتهي حبيبتي
والحبّ هل يموت ؟..
قبلتها ...
فماتت الشفاه !..
يؤلمني ..
حبيبتي بيروت
في لحظة تموت
ونلتقي ..
والنار حولنا
لا تعرف السكوت
والبحر من فقدانها
قد فرّ منه الحوت !
اثنان يعشان
بينهما لبنان
يموت بالمجان
اثنان يخطبان
بينهما لبنان
قد فقد اللسان
اثنان يضحكان
بينهما لبنان
تمتصه الأحزان ..
هذا أخي ..

صفعني وفر
شكوته لأمّه
أمّي شكته لأبي
أبي أتاني ناظرا
في الأمر والضرر ..
مصرّحا منتظرا ..
أن حين يأتي المؤتمر
هذا أخي .. به تشرّفنا
هذي يدي .. بها تعارفنا
وذاك لي .. متى اعترفنا
يا أيّها القاضي .. بالله أنصفنا
قد كثر الضرر
وأندكت الثنايا
لم نعرف المقر ..
تنحنح القاضي وقال :
لا بدّ من نظر ..
فحين يأتي المؤتمر
سنفضح القضيّه ..
ونعرف الضرر
أنا هنا أموت
أختي هنا تموت
وكلّنا في شره يموت
والموت ذاته يودّ ..
لو يموت
هل تعرفون ما السبب ؟.
لبنان ينتهي ..
في سورة الغضب ..
هم . يعرفون ما القضيّه

فـي مجلـس الخطـب
وقـاعـة التصفيـق
هـم يدركـون الحـلّ للقضيّـه
لبنـان في الحـريـق
والنّصـر للعـرب !..
ونشـرب الكـؤوس
ونفقـد الرّؤوس
في ليلـة بالحـبّ
نعيشهـا للحـبّ
امـلأ لـي الكـؤوس
القـدس منّـا ينسحـب
لبنـان فينـا يلتهـب
امـلأ لـي الكـؤوس
فالنصـر للعـرب !
آه وآه يـا عـرب
كـم ليلنـا طويـل ! ؟
ودربنـا خشـب ..
بالأمـس في القـدس المـآل ...

واليـوم في لبنـان ..
قـد أينعت .. أنـوثـة الرّجـال
وصفقـت في وجهنـا
مهـزلـة الأجيـال ..
لأنّ فـي لبنـان ..
ينتحـر الجمـال ..
ويـذبـح الإنسـان !..
إنّي هنـا في آخـر الأنفـاس
أنتظـر الإنسـان !..
يـرضعني إحسـاسـي
ولـذّة الأمـان !..
فالحقـد بين النّاس ..
أفقـدنـا الحنـان ..
والنّـوم فـوق الكـاس
أفقـدنـا الإيمـان
والحـبّ للكـراسـي ..
أفقـدنـا لبنـان !..

منـزل تميم في 25 / 7 / 1976

أعراس الأحلام الورديّة

شعر : عبد الحي مواعد

(1)

حين هجرت القريه
كان القمر الأحمر يغمزني
وجذوع النّخل المحصود تودعني
« كان الماء الباقي في مجرى النهر
الشتويّ يفكّر »
بحلم بالماء الأزلي ...

(2)

حبّك يا بلد السحر يسكن في الأعماق
وأهازيج العشّاق
مازالت تقتلني
مازالت تسكن في الأحداق

(3)

حبّك يا بلدي
كسلام السنبلة الخضراء
لخيوط الشّمس الفضّية
(كسلام اللهب إلى زيت القنديل)
في ليلة عشق شتويّة
باقة عطر .. أزهار تنبت فوق
صدور العشّاق
أعراس الأحلام الورديّه

في خضم الأحرف..

شعر حياة الشيخ

قلتَ : مهلا خفّفي عنّي أسايا
اصبري ، فالصبر من أغلى السّجايا
بفتور قلتها ثمّ تواريت
عمدا كخيال في الزّوايا
قاتلا بالهجر نفسي تاركا
مهجتي نهب أعاصير المنايا
أسكب العمر دموعا لوعة
في ضلوعي ولهيبا في الحنايا
وأنا وحدي بصمتي يغرمُ اليأْس
قلبي يلعق الصّبر دمايا
وبصدري نار ذكرى لهوىً
كان من أوّله شبه بقايا
اصبري !! تبّا لها من أحرفٍ
سحقتني غلّلت سير خطايا
ينقضي الدّهر يجرّ العمر قهرا
وقدْ داس بنعليه صبايا
وأنا دوما أنا ما قلت حسبي
ولا مزّقت أغلال البلايا
طفلة ضائعة في الكون باحثة
عن نفسها بين الضحايا
لاتقلْ ثانية لي : اصبري
فأنا لست سوى بعض شظايا
سيّدي .. دعْ كلمات الزّيف عنكْ
سئمت الغدر ـ دعه لسوايا
إنّما يا جاحدا ثقْ أنت ما كنت
لولا هوسي ، حمقي هوايا ..

الحزن والحب ... والتشهي والوطن الفقير

شعر : الحبيب جغام

(1)

بين الإغفاءة واليقظة رأيتك ..
حبا يسافر في وجهك
ويداي نزيف الثورة
الحزن أمامي ينآى .. يفرّ ... يجري
وأنت تمرقين من بين يدي
تذبحين الرجاء
تحاصرين نار التعرّي في صدري
تضحكين ... وأنا أدخل فيك جنينا
عرفتك وأنا طفل أتخطّى الحيطان وأتلذّذ
بتجربة المخاض الصعب
فأبقى صغيرا أمارس عمليّة التشهي
وأبكي ، أصيح فأنساك ولا أنساك
مغلقة أنت في غسق أيامي
أحببتك : عشقت فيك وجهك المخصي بالملامح
مهندسا أكون ، أسطر فيك التوائي وأفراحي

رأيتك وطنا مُجرّحا شهيدا ...
وأنا نبي أرسُمُ جفن الأمل. العيد البعيدا
معا .. نشهد راية النهاية البداية
قولي لي ، كيف أتيت .. كيف سمعت .. وكيف أحببت ؟
غريبا كنت – لمّا انتظرتك – على أرصفة الإنتظار
طفلا يبحث عن موسم يموتُ فيه الفرح ويحيا
وجه الرفض ، هل أضمّه ؟...
وهل لون الجوع أحببته وكذا لون النّار ؟
الصخب يتخثر في أوصالي ... يتعرى
طفلا يتعرّى ...
من .. من دق رأسي ؟
من سرق العين الخضراء ؟
من أشعل النّار الحمراء ؟
لست الآن فقط أرفع احتجاجي
فطريقي ينهمر فيه الدم
من عصر طفولتي وأنا أحتجّ
... تلك لفافة حب ليوم الجدب أذكرها
تعَاليْ ، تعالي ، لنشقى معا ، ونكبر .. نكبر حتّى تصير الأحزان حبلى
وكوني عند زمن الصحو جسرا
وصبّي فوق أثخان الجرُح أحماضا ونارا
ولاتقولي إنّنا في حمأةِ الليل نشهق بالدوار
فالزهر مرتبك وهذا الحزن .. حزني
آنستي الحزن ممزوج بجوع الآخرين

(3)

جائع كالطفـــل
مقرورا كالطفــل
وبيني وبينك حكـايـة حبّ
أتشهّى وجهك كلّ مسـاء
ومواعيدي تمتدّ .. وتمتدّ
فخذيني إليك ...
دمُـوعا .. وبكـاء
رغم الرفض أحبّك صهيلا في داخلي
سكينـا يتخضب بدمـائـي
فمن الآن ، حفرتك فـوق الطفولـة رسما جميـلا
فالتحفي وجعي
وكـوني جـوعي وبكـائـي
يا فرحـا ، غائبـا ، مثل الطفل يكبـر كل يـوم
انتظرتك حتى انطفـاء جمـرة الحلـم
... ولـم تـأْتِ
نسيتُ جرحي حين رأيتُ عيون الفقراء تبكـي
وشـوقي لهم جسرا للـوصول إليك
... وتأتين بعد حنينـي
في وقـت متأخــر
فهل أقـول لرفـاقـي قد مـات الإنتظـار ؟
حبيبتـي ، — إن سمـحت لي —
سأشطب على مواعيد الإنتظـار
وأنسى بأنّـي أنـام خلف العيون

وأنسى أن لي رفيق أو وطن
فكيف . كيف آنستي سأشطب على رقصة الفقراء ؟
وكيف أنسى زمن الجوع والبكاء ؟
هذا زمن يهرب كلّ يوم
مفتض البكارة لا أفهمه ولا يفهمني
فمتى يستفيق من البيكر ؟
وهل يخصب الشمع شهدا مصفّى ؟
هذا زمن فينا كالدائرة ؟
ففي أي مساحة تكمن البدايه ؟
وفي أي زمن تبدأ الحكايه ؟
وفي أي محطة ألقى بهجة العطر والضوء والحريه ؟
هل سألقاك في الأغاني القديمه
وأحفظك . كما حفظتك عن ظهر قلب
في تخوم الهزيمه
بحثت عنك — حبيبتي — في كلّ مكان
في كلّ زمان
في الموقع الصفر . والأول
والثاني
وحتى أصحو من حُلمي
عشقتُ جميع الأطفال
جميع الفلاّحين والعمّال
ولمّا لم أفق من يقظتي تهدج وجهي كالدّمعة الجرّى
وهذا المقتول صديقي
وهذا الموقوف صديقي

بـه مارسوا اللعبـة فتهـدر الموت في الرفـاق
فـوق المساحيق ...

(5)

ما أنت إلاّ امـرأة
لكنّك لست ككلّ النسـاء
إنّي أدعـوك أن تنهلي من فرحي الطفلي
وأن تُعضعضي أشـداقك بالأمـلاء
كل أحـزاني تـدور حـول الفقـر وحـول الحُبّ
وحـول وطـن صار يحملني كبيـرا
وأمسيتُ أحملـه صغيـرا
كلّ أحزاني باسم الوطن تزهر فوق مجالس الرياء
وأنت يا حبيبتي ينتظرك إنسان
حزين كالإنسـان
للمرّة العاشرة بعد الألف يمـوت في وضح النهـار
فالحرّية يا حبيبتي — أحببت أم كرهت —
مبتدأ لم يبدأ
فكيف أسـوي الأمـر وكيف أفسر القضيـّهْ
صمتك الأحمق المتعنكب في الأركـان — حبيبتي —
يسقط كالوقت كالوجوه المحاصره
يـلازمني .. يرافقنـي
نهـايـة بـدايـهْ
يحتـويني كالدوائر .. يسرق منّي انتظاري
فيا فتـاتي متى نعانق رقّة اليوم الكبير ؟

(7)

هل أراها في دفء المكـان تبحثُ عنّي
هل أشهق ، هل أرى فرحي يخضـر

هل أرى زمني يخضر
كالورد يتضرج بالورد
ها أنت حبيبتي تأتين قمرا فيه أرسو إلى الأبد
وأنسى مداد القهر
الحزن .. الإستعمار
الهم المصفود
ووجهي بالآلم المكنوز مصفوع
وحبّي .. متسوّل يتجوّل
فأنتي يا وجعَ الماضي
فأنت القاعدة ، وكلّ ما ضادك الاستثناء
الوطن يتوغّل فيّ ، فينا جميعا
كالثورة ، كالرفض ، كالنزيف

(8)

هل أكتب اسمك فوق جدار الدهشة – الإيمان
هل أكتب للأجيال عن زمن أصبح فيه الحبّ خطيئه
فأنا ، قد عشقتك كفلسطيني يمتشق بندقيّه
يركض بين الفجر عاريا متفجّرا بين القتل والميعاد
إنني صليت للشيطان
وأوثر أن يقتلني الرجاء وأنا في آخر الزمان
هل يا حبيبتي ، كالمفجوع
هل سأموت كالمفجوع بصوت صاحب ممنوع ؟
« يا ولدى قد مات شهيدا »
في الحلم امرأة أحببتها أرضعتني الحليب دهرا قالت ..
« من مات فداء للمحبوب »
مات فداء للوطن المغصوب .
أتركيني أرى امرأةً تصبّ عليّ الماء ذات يوم
حتّى تفهمي أنّي أعشق الحزنَ من أجل عينيك .

شعراء صغار

شعر . كمال قداوسة

ياشاعرَ الوَهمِ والتهويم ما قيلاَ　　يكفي الخلائقَ تسوِيفا وتضليلاَ
ماذا دهاكَ ؟ ترى هل صغتَ معجزة ؟　　أم صغتَ من جيّدِ الآدابِ إنجيلاَ ؟
أم صغتَ للنّاسِ آياتٍ مقدّسة　　كأنما أنزِلتْ من فوْقِ تنزيلاَ
أم تدّعِي أنت في الأشعارِ فلسفة　　تخالُ شعركَ أنغاما ترَاتيلاَ
ما صغتَ إلاّ أباطيلاً ملفقة　　من بعد أنْ قد حسبتَ الشعرَ تهوِيلاَ
تظنّ قولكَ إعجازا وملحمة　　فكانَ قولكَ تلفيقا أباطِيلاَ
تظنّ شعركَ أحكاما وموعظة　　غابتْ عن الذكرِ منذ الأعصرِ الأولى
تظنّ جئتَ بما قد كانَ مستتر　　وكان بالأمسِ مستُورا ومجهولاَ
بئسَ العلومُ وبئس الشعرُ والكتُبُ　　إنْ كانَ ظاهرُها يخفي الأحابيلاَ
الشعرُ ليس كتاباتٍ مزيّفة　　وليسَ لغزا وللأشياءِ تهوِيلاَ
وليسَ سخفا وللمعنَى مرَاوغة　　ولاخدَاعا وتموِيها وتضليلاَ
إنّا لنفهمُ ما تأتِي العلوم بِهِ　　غيثا وطبا وتشريحا وتحليلاَ
ونفهمُ الفكرَ آدابا وفلسفة　　ونفهمُ الفنّ تصوِيرا و تمثيلاَ
ونفقهُ الدين إسلاما ورَهبنة　　ونقرَأُ الكتُبَ قرْآنا وإنجيلا
تعيِ العقولُ لغاتِ الأرضِ قاطبة　　هل فهمها صار مثل السّيفِ مفلُولاَ ؟
قدْ شنّفَ اليوْمَ هذا الشعرُ مسمعها　　وخدّر النفس والوجدان تدجيلاَ

نحاولُ البحثَ في المعنى فنفقدُه ... ونخطىءُ الفهمَ إن شئنا تحاليلا
إن كان أفضلنا علما ومعرفة ... أكسبتهُ اليومَ إبهاما وتضليلاَ
مابالنا بالذي بالشعرَ خبرتُهُ ... لاتقبَلُ الأمرَ مالمْ يحوِ تسهيلاَ
إن كنتَ تقصدُ تجديدا لِذي قدم ... أوْ تقصدَ السيرَ بالآداب تعجيلاَ
ما هكذَا نهضةُ الآدابِ نشأتُهَا ... بلْ زدْتَ نهضتهَا شوْكا عرَاقيلاَ
يكفي البيانُ بأقوال موَضحَة ... لا تسترُ الكُنهَ أو تخفي الأحابيلاَ
خيرُ المعارفِ ما قدْ بانَ مقصدُهَا ... وليسَ يحتاجُ تفسيرا وتأْويلاَ

كمال قداوين

المكنين

رحم الله هذا الشاعر الشاب

حيدر بشير صاحب قصيدة « من مخلفات ايام الاستسقاء » ص 205 بهذا العدد . رحم الله هذا الشاعر الشاب الذى فقدناه الى الأبد اثر صدمة كهربائية وقعت له بقفصة فى شهر جويلية 1978 .

ثلاث قصائد

شعر : محمد نجيب بوجناح

1 – سيّدتي :

سيّدتي ..
أيتها الجميلة ..
الرّشيقة القوامْ ..
أيتّها الحسناءْ ..
أرجوك ياسيّدتي
لاتلعني قصائدي ..
لأنّني .. لعنت مرّتين ..
شنقت مرّتين ..
شنقت يوم مولدي ..
ويوم أن كتبت ..
أرجوك ياسيّدتي ..
لاتلعني السّماءْ ..
إذا رأيت بدلتي البسيطة الزرقاء ..
يسكنها الشّقاءْ ..
لأنّني سيّدتي ..
من عالم الشّقاءْ ..

2 – الأمل :

مثلما تحمل حبّات المطر ..
أملا للكادحين ..
تحمل الأحزان شعرا .

3 – الشجرة :

في ذراعي شجره ..
في عروقي شجره ..
في حياتي شجره ..
وحكاياتي وأشعاري ..
وأوراق كتاباتي .. شجره .
تورق الحزن ..
وتعطي لبنا .. مرّا ..
كأنفاس اليتامى ..
وكموت الأشقياءْ .

لوحات من أزمنة الرسم على الجبين

تعبير : التهامي الهاني

(1)

بين يدي نخاس منفـــــي
أمضيت عقدة بيعي بالجملـه
وسجلتُ هويّة غربتي بالعملـه
يا منجّم الشـرق
هلاّ حفظتَ سورة الأمثال
وقرأتَ قصّة الأطفـال
وحفرت ملامح البدوي الأسمـر
في مرآة البحث والترحـال ...

(2)

من حكم باعة السجائر المفردة : « إيّاك واختزان الدخّان في صدرك ، فقد تموت مختنقا بضيق في التنفس .. »

(3)

داهمتنا جواسيس مدائن الترعب المخضّل خديعـه ...
هي أزمنة الرسم على الجبين فهلاّ قرأتم أشعار الرّاعي والرعيّـه ...

– دفتر القضيّه ..
– أحلاما زئبقيّه ..
في غمغمة الترف الأجوف وطوابير الجماهير الشقيّه ...
... دعنا .. دعنا .. دعنا ...
لايهمّنا غناء المرتزقة
في الكواليس المرمريّه
ولا تهمّنا قصيدة ثائر قديم
تنهش في نهم ، خزينة إلاهيّه ..
لكن ...
لكن ...
هذي خيول جامحه ...
هذي خيول جامحه ...
من أعنّتها تنفلت كلّ حين ..
وتستحمّ برذاذ كثيف
وترقص لكل زحف مخيف
...يامقاصل النفط !!
ياملاهي النفط !!
يا آخر أزمنة النفط !!
هذي حشود الأعراب على الحدود ..
تراقب القبائل حين تقتتل ..
لتصافح الغربان في المدن ..
لتصافح الغربان في المدن ...

(4)

كان راعيّا .. أمضى حياته يلهث خلف فحول الإبل العنيده ..
وفي زمن الوجود واللاوجود ، بدأ الرجل في حقن عرقه في

شبّابته حتّى امتلأت .. لكنّ السماء حينها جفّت فكشطت ...
وهلع النّاس — طبعا — من شرّ قحط غامـــــر ...
راح الرجل يسقي المزروع ويروي النبات من سلسبيل ماء الشبّابة إلى أن تفطّن إليه القوم وعلم بأمره السلطان ...
أرسل في طلبه ودعاه أن يوفّر الماء لأبناء جلدته ..
تقدّم الرجل من خزّان القرية وصبّ ما في جوف شبّابته القصبيّة ، لكنه الدم الأحمر القاني ... فسألوه ..
وتراكم الدّهشة جاثم على الوجوه ..
فقال : ذاك هو عفن الظلّ .. مدينتنا تفتقر إلى نوافذ وشبّابتي لا تعشق إلاّ الشمس ...
صلبوه .. صلبوه .. صلبوه ..
فتحطّمت شبّابة .. وأقتُحمتْ أسوار ثم سافرت قافلة ...

(5)

كان لجوفك يا مدن الغرب
صليل يراقص مهجتي ..
كان لجوفك يا مدن الغرب
لهيب يغازل مقلتي ...
كان بجوفك يا مدن الغرب
كان ...
كان ... كان يا ما كان ...
آه حاصرتني مزابل الكتب
وحشرتني في قرى العلب
حتّى جئتك يا مدائن الغرب
أبحث عن نخّاس منفيّ
لأمضي عقدة عودتي
بالمزاد العلني ...

شهادات في زمن المقت

شعر: عبد السلام بن عامر

لَوْ أنّ المقتَ جديدٌ في الأرضِ ، بَدأْتَ :
« في زمن المَقتْ ... »
لو أنّ الصمت مباحٌ في الزمن الأبديّ المقتْ ،
لاخترتُ الصمتْ ..
لكنّه أبديّ هذا المقتْ ،،
جبن هذا الصّمتْ ،،
وسأبدأُ : في الزمن — المقتْ ..
وسأصرخُ ، إذ أشهدُ ، حتّى الموتْ ..

1 — في الزمن — المقتْ ،،
يفتكُ بالشّعراء الكبتُ ،،
فيَنطلِقُ الصّوتُ ،،، ...
— في الزمن — المقتْ ،،
ويضيق السلطانُ بأصوات الكبتْ ،،
ويجهز للشعراءِ الموْتْ ،،

وبِذا قدعمّر في الأرضِ الجُبن
وكانَ الغُبنُ ،،

وَبِذَا كَانتْ « فلسفة الصّمتْ »!

— وَمن الزمَنِ — المَقتْ ،،
كُتبَ الشّعرُ ، فكانَ السَّوْطْ ،،

— في عصر السلطان — السّوْطْ —
وبَطِينا ،،
مُرّاً كان المَوْتْ ..
فلماذا لا نكتبُ نحنْ ،
في عصر السلطان — النّأبالمْ
في عَصر السُّرْعَةِ حتّى في المَوْتْ،،
من « حسن البختْ » ؟!

— عارٌ هذا الصّمتْ ،،
جُبنٌ نَرْضَى يَقتلنا الكبتْ ،،
وسأصرُخُ ، فليشهَدْ ، حتّى المَوْتْ ..

2 — في الزمن — المقتِ الماضِي الحاضِر والآتِي
قبل القرآن ، وقبل الإنجيل ، وقبل التوراةِ
وبَعدَ الحَاضر والآتِي ،

قبلُ وبَعدُ ،

ويَظِلّ الإنسانُ شَقِيّاً ،
يَقتَاتُ الآهاتْ ..
أبَدَ لا يَلقَى خيرَ الأزمَاتْ ،،

يخلقها الساسة في القصرِ ،
كيْ ترْضى في القصر النزَوَاتْ ،،
كيْ تكثر في القصر الخيرَاتْ ،،
ولكيْ يَرْضَى السلطانْ ،،
ويطربَ حاشية القصرِ ،،
ضرُورِيّ ترْديدُ الآهَاتْ ،،
وكلا شيْء آلاف الأموَاتْ ...
تَحتَجّ ؟
« وَغْدٌ لاَ تَفهَمْ »
تلك سِيَاسَاتْ ..
لاتَفهَمْ معنَاهَا ،،
تلك سياسَاتْ ! »

– هذا الإنسان ضحيّة نزَوَاتْ ،،
وسأصرخُ ، فلتشهَدْ ، أنَّا جبناء ، ونبقى
مَادَامتْ في الأرضِ حماقاتْ ،،
مَادُمنَا ، كيْ يحيوا ، نحيَا .. أمواتْ !

3 – في الزّمن – المَقتِ الأخرَقْ ،
ممنوعٌ تَصدُقْ ،،
تَحتَجّ عَنِ المَنعِ فتُخنَقْ ،،،
تَتَحدّى تُشنَقْ ،،

وينادَى في السّوقِ :
– زنديقٌ عدلٌ لو يحرَقْ !
– مجنون يهذي في المطلقْ !

– مغرورٌ يتطاول ،
عَدْلٌ لوْ يُشنَقْ !
وَيُخيفُكَ أنْ تُحرقَ أوْ تُشنَقْ ،،
تَعتذِرُ لدَيهِمْ ،،
تَنحازُ ،،
يَفُوزون ،،
وتَبقَى أبَدا تَخشى أنْ تُشنَقْ
فَلاَ تَصدُقْ !
– مَخنُوقِينَ ، ونَخشَى أنْ نُخنَقْ ،،
مَشنُوقِينَ ، ونَخشَى أنْ نُشنَقْ ،،
مَحرُوقِينَ ، ونَخشَى أنْ نُحرَقْ ،،
وسأصرخُ ، إذْ أشهدُ ، أنا حَمقَى ،،
لنْ نَسمُوَ ..
إنّ الرايةَ لنْ تَخفقْ ،،
مَادُمنَا نَخشَى أنْ نَصدُقْ !

4 – في الزمن – المقت – الجوْر – الآلام الأبديّهْ ،،
أنمارسُ ، كَيْ نَحيَا ، عَادات سرّيّهْ ؟ ،،
وَتُمَارسُنَا ، عَلَنَا ، عادات عَلنيّهْ ،،
تُشرعُهَا الأحكامُ العُرفيّهْ ،،
وتَظلّ الأقزَام ، الحشَرات الأرْضيّهْ ،،
وسأصرخُ ، إذْ أشهَدُ ، أنّي أتبرّأُ مِنْ جِنسِي
أنّي ..
ضِدّ الأقوَامِ الهَمَجيّهْ !

من مخلفات أيام الاستسقاء

شعر حميد رشيد

سنوات القحط والأرض صاهبة
إنه غيلان شهر الأزمات
خلف هذا السد ، أرض وعمار وحمار
ثم واد وحجارة ونخيل
واقتلعنا ألف نبتة
ثم قلنا : إنها صارت حكاية
وحكاية
خلقتها أمتي العصماء لابني
عندما هددها دمعا وقد صاح كثيرا وكذا
فحكت :
أمتي سيسي
ثلث العمر مضى كالإرتباك
كخيالات من الخوف إذا الليل دجى
أوكحلم الطفل في ليل الشتاء
وسلاف فارغ اللذة مشلول الأغاني
ومساحات فراغ وضياع
وليال ليس فيها
غير دمع .. وأماس .. وانهيار .. واحتضار
مرت الأعوام لا خير ولاخيرات فيها

كلّها أسطورة لم تتحقّق
كلّها داء وحـــزن وانتباه
ومضت أيّـام عمــــري
في مشاويــر التواشيـــح
كأحلام القنانـــي
والغوانـــي
والليالي الباريسيّـــه
وبـــروما
كانت الأعوام صهباء كصبح الضاحكيـــن
عندما يأويهم الليل إلى سجن رتيب
« كنت قد أفلست أخلاقا .. وجسما .. وحروفا »
بتّ ليلات طوالا لا غطا
غير الرّصيـف
وبقايا علبة عجفاء ضاعت من مشرّد
والنّواقيس إذا الإفطار عند الجائعيـــن
إنّه خبز وأشياء قليله

من خضـــر
ليس إلاّ
راهب الدّير عجوز وذكـــي
وأنا الزّائـــر كهل وغبـــي
ويدقّ الجرس
معلنا وجبة خبـــز وخضـــر
هكذا شاء القـــدر
وإذا يوم الأحـــد
فرصة الجائع نصف للدينـــار
ثم أطمار ووصل للمنامه
سبع أيّـام وتقصير شعـــر

وغسيل
إنّه شيء جزيل وجزيل
إيه أوديت وكان
إنّه الكود دازير
ساحل أشقر ممراح جميل وجميل
ساحل أشقر مضحاك كبير وكبير
وأوديت
إحدى أشيائي الكثيرة
حانة
علبة تبغ وقوارير شعير
وفتات
مهرجان الألف والسبعين يا « كان » وأوديت نديمي
زورق كنّا اكتريناه قبيل المهرجان
علب التبغ
وغليون فيليب
كلبه الأسود داراك
وقيثار وناي وذثار
واعتبرنا كأنّ أرجوحة عطر بابليّه
وانتهت رحلة أوديت إلى مونتي كارلو
عندنا جف المدام
لم يعد في داخلي
غير غبار من نقود
وثيابي وأنا
وأوديت الصّك يا « كان » وحرف الكلمات
زحلقت فوق رصيف السنوات
آه ما أتعس أيّامي
وما أبهى ارتطام النزوات .

بكائية أخرى من ملف أحزان المناجم

شعر : بلقاسم بن عبد الله

مدينتي ...
فوق بطحاء وجهك الضائع بين محطات القهر
تخاصمتُ فجأة معَ جُنودِ الفقر
وكنتُ وأنا أقاتل متسلّحا بالصبر
أدْعُو الرّبَّ طالبا النّصر
لكن الهزيمة أمطرتني برذاذ الحُزْنِ
وخسرتُ المعركه ..
عُدْتُ إلى الدّارِ : البطنُ خاوٍ ... القدم حافٍ
الرّأسُ كسكاس ...
مطبوخةٌ فيه شظايا هُمومَ النّاس
عيُونُ أولادي الجياع .. العُراة .. الحُفاة
تركبُ صهوةَ جوادِ الأمَلِ ... تُفتّش
عن مليم .. عن جرعَةِ ماءٍ .. عن رغيف خُبزٍ يابس

تفتّش .. تفتّش .. تفتّش ...
ويكون المحصُولُ بِضعَ أغنياتْ ..
للزّمنِ الحاقدِ مَا سجّلَ لهُمْ طلباتْ
لليلِ المُظلمِ مَا فاتْ ..
لحياةٍ بلا طَعمٍ ..
للجائعين في الهند .. في إفريقيا .. في فلسطين
يعيشُونَ في دُنيَا الأحياءِ الأمواتْ
يَسيرُونَ على دَرْبِ الإنقسَامَاتْ ..
هذَا بُورجَوَازيّ
هذَا اشتراكيّ
هذَا ....

آهِ يا قريتي :
متَى الضّمَانُ الإجتماعيّ يَسترحِمُ حَالِي .. ؟
متى التّنميَةُ الرّيفيّةُ تُحدّدُ مآلي .. ؟
متَى ...؟ متَى ...؟ متَى ...؟
إلى متَى تُحاصرُني مَأْسَاتي ..؟؟
إلى متَى تَقتلُني أحزَاني .. ؟؟

الرّحيل إلى مدن الزّوت

سعد عبد الله التويجري

1) أراكِ كقرص الكواكب ساقطة كالمذنبات .. تبختَر حلمك
بين اكتناز الشّموس هنا في صميم العلاقات يأكلك القرف
النّـدمُ ..
تأتين حاملة للنّخيل ، وأنت السّباخ التي وطئتها خيول التّتار ..
سرابٌ عناوين توقك نحو الطريق المغاير ..
وعندي لك حقل نخل .. تجذّر عمقا ..
وأنتِ التي قلتِ : هيا رفاق الملايين ، عُودُوا على صهوة
البرق .. حطّبوا الرّحال جنوب التفاهات ...
آهِ على عمرك يا نخيلات أجدادنا .. أبحر الأمل اليوم فوق
سطوح النّذالة كان في العمق عمار بن ياسر مثل تفاح الخطيئة
كان كالمدّ كالجزر يأكل أعطافه نهمُ الرمالْ ..
هُنا كان عمار بن ياسر ...

★ ★ ★

2) أرى قمّة التاريخ تعتصر الدّقائق .. تأكل عمرها / توقها / شوقها
تبّالها .. هذا الغراب منتصب على أكتاف آدم ينعقُ
ينعقُ ...

ينعقْ ...
ياللفضيحة .. ثوب عثمان تمزّقْ
مَنْ سيثأر للقبيلهْ ..
تبّالنا .. هذا المصير تكوّر قبل الرّجوع إلى الجريمهْ ..
ياصوت الغريبْ ...
على حصانه يطلع من قاع بئر ..
وتعفّن رمح رأس الغول .. فتته التّصديد
أينه سيفي .؟ أمزّق به المرافىء ..
علّني أستريحْ ..
هناك على بعد آلاف المسافات ألمح أبا ذرّ الغفاري
يجمع بين كفّيه رمل الصحاري
أراه يفتّش عنّا وعنكمْ ..
يلوّح للنجم أتعابَه / حبلَ المشانقْ
يا أبا ذرّ الغفاري ...

★ ★ ★

3) مظلم هذا المصير

أسمع الأيّام تحتكر الموانىء .. تجرح عمقها وكأنّي بها تضيع هذي الحقيقة تجمع أذيالها / عقمها لمّا رأت صوت المآذن يستغيثْ ...

هذا المصيرْ ..
منذ متى يجري .. يُسابق الرّيح والأنواء يعتصر دهره / عمره وهو الرّضيعْ ..
منذ متى .. وإلى متى يبقى القناع على وجوهنا ؟

هذا الغمام تقشّعْ ..
وأبو ذرّ الغفاري قادم نحو العشيرة .
ورأسه بين كفّيه يصيحْ ...

★ ★ ★

٤) أغدا تأتي الكواكب بضوئها .. تنشر البُشرى .؟
تزفّها للجميع ..

★ ★ ★

٥) قد لا نكون أوفياء ..
وسيرحل الأحرار بالتّفاهة تتجهُ نحو الشّمال
وثلوج أيّامنا تغرق في النّجيعْ
أغدا نضيعْ .؟
أغدا نعمّق المأساة .. نعتصر التّفاهة والتّنافر .؟
نجلد الأحياء والأموات .. نحتكر الزّعامة ونجوعْ ..
لم تنته الأيّام .. لا لم تنته ..
فغدا ستبزغ شمسنا .. ينهض عمار بن ياسر
وأبو ذرّ الغفاري
ونعود ...

أصداء الفكر

• **مزالي يحاضر امام الدائرة الحزبية باريانة :**

ألقى السيد محمد مزالي مدير مجلة الفكر ورئيس اتحاد الكتاب التونسيين مساء 22 أوت 1978 باريانة محاضرة بعنوان : (الحياة عقيدة وجهاد) . وفيما يلي مقتطفات من المحاضرة :

بدأ المحاضر بطرح الاسئلة التي ولدت مع الانسان والمتعلقة بمفهوم الحياة وعجز الانسان عن الاجابة عنها بما يشفي الغليل .

وانطلاقا من ان الحياة تافهة مآلها العبث اذ تنتهي الى الموت لجأ بعض الفلاسفة الى الزهد والتخلي عن متاع الدنيا بينما دعا البعض الآخر الى نوع آخر من الهروب والاغراق في اللهو والمجون والعنف ، بينما اعتبر رواد المذهب الانساني الانسان غاية كل شيء . وظل لغز الحياة قائما بلا حل يشغل بال المفكرين القدامى والمتأخرين .

ثم جاء القرن التاسع عشر وتقدم العلم وحقق فتوحات عظيمة فظن الناس ان العلم والعلم وحده ، كفيل بالاجابة عن كل تساؤلات الانسان وبايصاله الى اليقين ، ثم تبين ان العلم عاجز عن ذلك لم يستطع في يوم من الايام فك لغز الوجود ، فوجد الانسان نفسه اعجز من ذي قبل ، الا ان الفلسفة والادب من مسرح ورواية وشعر واصلا البحث عن كشف اسرار الحياة ومعمياتها .

ان الادب العربي الجاهلي والاسلامي زاخر بالتعبيرات عن هذا المشكل وقد تبلور هذا التعبير بصورة جلية في العهد العباسي بما توفر لديه من ترجمات للآثار الادبية والفلسفية الهندية واليونانية والفارسية .

فهذا أبو العتاهية القائل : (لدوا للموت وابنوا للخراب) وهذا أبو نواس وعمر الخيام يدعوان الى التغلب على الضيق باللهو والعبث وباغتنام الحياة قبل فواتها ، وهو ما يفعله اليوم كثير من الشبان فهل ظفروا بالسعادة ؟ كلا ! وما انغماسهم في المتع الا دليل فشلهم . ذلك ان الانسان يظل تائها ما لم يحركه ايمان وهذا معنى ان الحياة عقيدة وان الانسان المؤمن تزول حيرته وشكه .

ثم تطرق المحاضر الى مفهوم الرسالة المحمدية فبين انها تتضمـن فكـرة التبليغ وايصال التعاليم للناس .

الا انه من بين المؤمنين من لا يبلغ الرسالة مثل المتصوفة الذين ينعزلـون وينفصلون عن الناس وبذلك تكون الحياة عندهم مجرد عقيدة أى بـلا جهـاد بينما الحياة الاجتماعية هى مدار الايمان ومحور العبادة باعتبار الانسان غاية ووسيلة وقد أكد الاسلام ان خدمة الناس والالتزام بقضاياهم عبادة .

وقد ورد فى كتاب (ترجمان الاشواق) لابن عربى حديث نبوى شـريف يقول : « ما ابتلى احد من الانبياء بمثل ما ابتليت » اذ لم يقتصر عمـل النبى على استشفاف الحقيقة واعلانها بل انه عمل على تغيير الحياة والبشر لرفعهم الى الكمال . فالرسالة الحقيقية هى التى تفضى الى الفعل ، فبالفعل يقاس ما تنطوى عليه المثل من امكانات التطبيق وبالفعل نقيم الدليل على قدرة الارادة البشرية على تجاوز الصعاب واقامة أسس حياة جديدة . وهذا معنى ان تكون الحيـاة عقيدة وجهادا .

ان تاريخ الاسلام قائم على سلسلة من الاعمال وضعت الافكـار على المحك وكانت نتيجة ممارسة الفعل .

ثم تناول المحاضر الجانب السياسى من القضية فيما يتعلق بالشباب بوجه أخص . وضرب مثلا جهاد الاجيال التى حققت الاستقلال وانقذت البلاد من الذوبان والمسخ فسجن منها من سجن واستشهد من استشهد فأقاموا الدليل على وجوب اقتران العقيدة بالجهاد اذ عمدوا الى اقناع المـواطنين بأن الحـرية كالماء والخبز .

ثم تساءل هل الشباب التونسى يفهم الحياة بهذا المعنى وهل هـو يعـانى غصص الحيرة تواقا الى الفعل أم هل هو يميل الى اللذة والسهولة على غرار ما دعا اليه أبو نواس وأمثاله ؟ ماذا فعلنا حتى يقتنع الشباب بأن الحياة عقيـدة وجهـاد ؟.

ربما أخطأ الاولياء فى ظنهم بأن مهمتهم تقتصـر على الانجـاب والايـواء والطعام والاكساء وتدليل الابناء .

لقد اهملوا ابناءهم اذ اوكلوا أمر تربيتهم الى المدرسة واذ لم يتحاوروا معهم ولم يكونوا لهم بسلوكهم اسوة حسنة .

ربما أخطأنا فى نظامنا التربوى اذ اعطينا الاولوية المطلقة الى الكم وأولينا اهتمامنا الى الارقام فلم نتدارك الانحراف ولم نشغل بالنـا بمـا يختلـج فى صدور الشباب .

اننا نلاحظ بعد مرور اكثر من عشرين سنة من الاستقلال ان عددا كبيرا من شبابنا لم يدرك بعد كنه الحياة فلجأ الى البحث عن اللذة العـاجلة وأخـذ يشعر بالسخط والنقمة على المجتمع .

وهذه حالة لا يختص بها فى الواقع شباب العالم الثالث ، بل ان قسمـا كبيرا من شباب العالم المتقدم يعانى نفس الازمة ولكننا عندمـا نسافـر الى اوربا لا نرى هذه السلبيات لشدة انبهارنا بمظاهر الحضارة الغربية .

ان نفرا من التجار ملؤوا جيوبهم بالملايين بتملق غرائز الشباب فى العالم وبالكحول والمخدرات وبكل ما يبلد الحس فكان العنف وكان الانتحار وكان الطلاق وكانت القطيعة بين الاجيال .

لذلك لا يمكن ان نستمد علاج شبابنا من الانموذج الغربى بل ينبغى الرجوع الى مصادرنا وخصائصنا الحضارية . ولا يكون هذا العلاج الا باعطاء الحياة محتوى ومفهوما . ويتعين ان نبدأ بالجهاد الداخلى حتى يتبلور تصورنا للخير وطرق الوصول اليه . يجب اذن ان نروض الشباب بتدريبه على مقاومة الانانية ونوازع الجسد وان نخطط لذلك وفق ما نخططه لاى مشروع آخر .

ان القضية ذات ابعاد سياسية واخلاقية وثقافية يجب ان نستشفها من معانى شهر رمضان المبارك والالتزام الحق .

• اعلان المسابقة الادبية لعام 1978 ـ 1979 م. :

يعلن مجمع اللغة العربية عن مسابقة أدبية لعام 1978 / 1979 وموضوعها : « الطفولة فى الادب العربى » وذلك بالشروط الآتية :

جريدة « الرأى العام » و مجلة « الفكر » :

جاء فى العدد 5293 بتاريخ 1 / 8 / 78 من جريدة الرأى العام ما يلى :

« نشرت مجلة « الفكر » التونسية فى عددها الاخير المقابلة التى كانت قد أعدتها ونشرتها جريدة « الرأى العام » فى صفحة الادب والثقافة مع وزير التربية القومية ورئيس اتحاد الكتاب التونسيين محمد مزالى . وقد جاءت المقابلة فى مجلة « الفكر » ، عدد يوليو « تموز » تحت عنوان : جريدة « الرأى العام » تلتقى مع الاستاذ محمد مزالى . وقدمت المجلة نشر المقابلة بالفقرة التالية : فى ركن « الادب والثقافة » من جريدة « الرأى العام الكويتية » نشر الاستاذ سعيد فرحات فحوى محادثته مع الاستاذ محمد مزالى حول قضايا الادب والتربية تونسيا وعربيا وقد جاء الحوار ممتعا وطويلا دعا فيه الاستاذ محمد مزالى الى عقد مؤتمر قمة لتوحيد مناهج التربية فى الوطن العربى ، وحرصا منا على اطلاع قراء « الفكر » على ذلك الحوار ، ننشره كاملا كما جاء فى جريدة « الرأى العام » (راجع العدد 10 جويلية 1978) .

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى
رئيس التحرير: البشير بن سلامة
الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تلفون : 260.237
الحساب الجارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

• تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى اوت وسبتمبر
• قيمة الاشتراك السنوى :
اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 5 دنانير
اشتراك بالخارج 6.000 ستة دنانير
اشتراك الانصار 10 دنانير
• الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
• الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر
• المراسلات تكون جميعا باسم :
مدير مجلة « الفكر »
صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

صورة الغلاف للرسام فاضل غدبرة

الفهـرس

العـدد 1 ـ أكتـوبر 1978 السنـة الرابعـة والعشـرون

EL-FIKR-Revue mensuelle culturelle 24ᵉ Année N° 1 Oct. 1978

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم تونس
تحت رقم 844 / 78 – الايداع القانوني 4 / 87